

فوائد و عبر

تأليف

نعمان بن عبد الكريم الوتر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَتَقَدَّرَ فَارَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. فهذه فوائد فيها عظات وعبر تمر بي أثناء البحث والمطالعة، فأحببت تقييدها، وإتحاف إخواني بها؛ لعل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها وسامعها في الحياة وبعد الممات، ويجعلها من الباقيات الصالحات، إنه جواد كريم، بر رحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفائدة الأولى: وجوب إخلاص العمل لله عز وجل

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

هذا الحديث، بدأ به الإمام البخاري صحيحه، وبدأ به الإمام النووي رحمته الله رياض الصالحين، وكتابه المجموع شرح المذهب، والأربعين النووية، وبدأ به الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله عمدة الأحكام.

قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع شرح المذهب (١ / ١٦):

هذا حديث صحيح، متفق على صحته، مجمع على عظم موقعه وجلالته، وهو أحد قواعد الإيمان، وأول دعائمه، وأكد الأركان.

قال الشافعي رحمه الله: يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه. وقال أيضا: هو ثلث العلم. وكذا قاله أيضا غيره، وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام... وإنما بدأت بهذا الحديث تأسيا بأئمتنا ومتقدمي أسلافنا من العلماء رضي الله عنهم، وقد ابتدأ به إمام أهل الحديث - بلا مدافعة - أبو عبد الله البخاري صحيحه، ونقل جماعة أن السلف كانوا يستحبون افتتاح الكتب بهذا الحديث؛ تنبيها للطالب على تصحيح النية، وإرادته وجه الله تعالى بجميع أعماله البارزة والخفية.

وروينا عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله قال: لو صنفت كتابا بدأت في أول كل باب منه بهذا الحديث. وروينا عنه أيضا قال: من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث.

وقال الامام أبو سليمان أحمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي الشافعي الإمام في علوم رحمه الله تعالى: كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث الأعمال بالنيات أمام كل شيء ينشأ ويتبدأ من أمور الدين؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها. اهـ

وقال رحمه الله (١ / ١٣):

قال الإمام الشافعي رحمه الله: من أحب أن يفتح الله قلبه أو ينوره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، واجتناب المعاصي، ويكون له خبيثة فيما بينه وبين الله تعالى من عمل. وفي رواية: فعليه بالخلوة وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء، وبغض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب... وقال ليونس بن عبد الأعلى: لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل؛ فأخلص عملك ونيتك لله عز وجل. اهـ

وقال رحمه الله في "بستان العارفين" (ص ٥٣):

وقال الشافعي رحمه الله: لا يعرف الرياء إلا مخلص. يعني: لا يتمكن في معرفة حقيقته والاطلاع على غوامض خفياته إلا من أراد الإخلاص؛ فإنه يجتهد أزمانا في مطاولة البحث والفكر والتنقيب عنه، حتى يعرفه أو يعرف بعضه، ولا يحصل هذا لكل أحد، وإنما يحصل هذا للخواص. وأما من يزعم من آحاد الناس أنه يعرف الرياء فهو جهل منه بحقيقته. اهـ

الفائدة الثانية: من بديع حكمة الله في عدم إسلام كسرى وقيصر

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "ذيل طبقات الحنابلة" (١٤٦/٢): قال الوزير ابن هبيرة: ومما يقوي صدقه صلى الله عليه وسلم أن قيصر وكبار الملوك لم يوفقوا للإيمان به؛ لئلا يقول قائل: إنما ظهر لأن فلانا الملك تعصب له؛ فتقوى به، فبان أن أمره من السماء لا بنصرة أهل الأرض. اهـ العبرة منها ظاهرة والحمد لله.

الفائدة الثالثة: إن نجا الحجاج لينجون بها

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (١٥٨/٩):

قال الأصمعي: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا بأنني رجل من ساكني النار
أيحلفون على عمياء ويحهم ما علمهم بعظيم العفو غفار

قال فأخبر بذلك الحسن البصري فقال: بالله إن نجا لينجون بهما.

وزاد بعضهم:

إن الموالي إذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرما قد شبت في الرق فاعتقني من النار
اهـ

الفائدة الرابعة: هل يمكن لكبير السن أن يحفظ القرآن؟

الجواب: نعم؛ فالله تعالى يقول: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩ ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: " ومن يتحر الخير يعطه ، ومن يتوق الشريوقه "

وقد نقل عن الشيخ عبد الرحمن العميسان أن رجلا سأل الشيخ العلامة عبد المحسن العباد: هل يستطيع المرء أن يحفظ القرآن بعد عمر الخمسين؟ فقال الشيخ: نعم. وأنا ممن حفظ القرآن بعد الخمسين، والصحابة رضوان الله عليهم أدركهم الإسلام وهم كبار ومع ذلك حفظوا. اهـ ونقل عن الشيخ سعد السحيمي حفظه الله أن خالة له ختمت القرآن وهي في السادسة والثمانين من عمرها.

وحدثني أحد طلبة العلم عندنا في دار الحديث أن رجلا عاميا يعمل في البناء حفظ القرآن في سنة واحدة حفظا متقنا وقد جاوز الستين من عمره حتى إنه لقوة حفظه يحفظ أرقام الآيات من كل السور، والإمام أحمد رحمته الله حفظ القرآن مع كبر سنه وهو في السجن.

الفائدة الخامسة: مدائح لا تليق إلا بالله وحده لا شريك له

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (١١/٢٩٢): ومن شعر المتنبي قوله يمدح بعض الملوك:

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمته الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأخبرني العلامة شمس الدين بن القيم رحمته الله أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول: ربما قلت

هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع. اهـ

الفائدة السادسة: أبيات فيها حكمة

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في " البداية والنهاية " (١١/ ٢٩٢) ومن شعر المتنبي قوله:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وقوله:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وقوله:

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

اهـ

الفائدة السابعة: لا تطلع زوجتك على مقدار مالك

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في " صيد الخاطر " ص (٤٩): ومن الغلط إطلاع الزوجة على قدر

المال؛ فإنه إن كان قليلا هان عليها الزوج، وإن كان كثيرا طلبت زيادة الكسوة والحلي. اهـ

الفائدة الثامنة: كلب يقتل من يسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتسبب في إسلام أربعين ألف مشرك

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في " الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة " (٤/ ١٥٣): علي بن مرزوق

بن أبي الحسن الربيعي السلامي، زين الدين، أصله من الموصل، ولد سنة ٦٥٠، وتعانى التجارة،

ذكر عن جمال الدين، إبراهيم بن محمد الطيبي، أن بعض أمراء المغول تنصر فحضر، عنده

جماعة من كبار النصارى والمغول، فجعل واحد منهم يتقصص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهناك كلب

صيد مربوط، فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه، فخلصوه منه، وقال بعض من حضر:

هذا بكلامك في محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس، رأني أشير بيدي

فظن أني أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال، فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على

زردمته فقلعها، فمات من حينه؛ فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفاً من المغول . اهـ

الفائدة التاسعة: قد لا تندفع المكابرة أحياناً إلا بمثلها ليتبين أنه لا دليل عليها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " منهاج السنة النبوية " (٧/ ٢٩٦):

كالحكاية المشهورة عن قاسم بن زكريا المطرز، قال: دخلت على بعض الشيعة - وقد قيل: إنه عباد بن يعقوب - فقال لي: من حفر البحر؟ فقلت: الله تعالى. فقال: تقول من حفره؟ قلت: من حفره؟ قال: علي بن أبي طالب. قال: من جعل فيه الماء؟ قلت: الله. قال: تقول من هو الذي جعل فيه الماء؟ قلت: من هو؟ قال: الحسن. قال: فلما أردت أن أقوم، قال: " من حفر البحر؟ قلت: معاوية، قال: ومن الذي جعل فيه الماء؟ قلت: يزيد. فغضب من ذلك وقام. اهـ

الفائدة العاشرة: من أخلاق الكبار

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في " مدارج السالكين " (٢/ ٣٢٨):

الدرجة الثانية أن تقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلى من يجني عليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مصابرة.

هذه الدرجة أعلى مما قبلها وأصعب. فإن الأولى: تتضمن ترك المقابلة والتغافل، وهذه تتضمن الإحسان إلى من أساء إليك، ومعاملته بضد ما عاملك به، فيكون الإحسان والإساءة بينك وبينه خطتين: فخطتك الإحسان، وخطته الإساءة، وفي مثلها قال القائل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس يجدها هذه بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للورثة منها بحسب سهامهم من التركة.

وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه.

وما رأيت يدهو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه،

وأشدهم عداوة وأذى له فنهرني، وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسُرُّوا به ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في " البداية والنهاية " (٦١/١٤):

وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم في عزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وأذك أنت أيضا، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحدا منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له إنهم قد أذك وأرادوا قتلك مرارا، فقال الشيخ: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح.

قال وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا، وحاجج عنا. اهـ

الفائدة الحادية عشرة: من عجيب تلبس الشيطان على بعض المتعبدين

قال العلامة ابن الحاج رحمه الله في كتابه "المدخل" (٢١٥/٣):

حكى عن بعض المريدين أنه كان يحضر مجلس شيخه، ثم انقطع، فسأل الشيخ عنه فقالوا له: هو في عافية، فأرسل خلفه، فحضر فسأله: ما الموجب لانقطاعك؟ فقال: يا سيدي كنت أجيء لكي أصل، والآن قد وصلت؛ فلا حاجة تدعو إلى الحضور. فسأله عن كيفية وصوله فأخبره أنه في كل ليلة يصلي ورده في الجنة! فقال له الشيخ: يا بني والله ما دخلتها أبدا، فلعلك أن تتفضل علي فتأخذني معك؛ لعلي أن أدخلها كما دخلتها أنت قال: نعم.

فبات الشيخ عند المريد، فلما أن كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب، فقال المريد للشيخ:

هذا الطائر الذي يحملني في كل ليلة على ظهره إلى الجنة، فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر، فطار بهما ساعة، ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر، فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ، فقال له المريد: يا سيدي أما تقوم الليلة؟ فقال الشيخ: يا بني الجنة هذه؛ وليس في الجنة صلاة. فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد، فلما أن طلع الفجر جاء الطائر ونزل، فقال المريد للشيخ: قم بنا نرجع إلى موضعنا. فقال له الشيخ: اجلس ما رأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها. فجعل الطائر يضرب بأجنحته ويصيح حتى أراهم أن الأرض تتحرك بهم، فبقي المريد يقول للشيخ: قم بنا؛ لثلا يجري علينا منه شيء. فقال له الشيخ: هذا يضحك عليك يريد، أن يخرجك من الجنة، فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقي كذلك إلى أن تبين الضوء، وإذا هما على مزبلة، والعدرة والنجاسات حولهما، فصنع الشيخ المريد وقال له: هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان إليها؟! قم فاحضر مع إخوانك. اهـ

الفائدة الثانية عشرة: أهل اليمن جبلوا على غمط علمائهم وكبرائهم ودفن محاسنهم.

وقد توجع الإمام الشوكاني رحمه الله من هذا مرارًا وبين بعض أسباب ذلك وآثاره فقال في كتابه "البدر الطالع" (١/ ٥٩) في ترجمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال: وهو صاحب "مطلع البدور ومجمع البحور"، ترجم فيه لأعيان الزيدية، فجاء كتابا حافلا، ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسر له جمع ذلك الكتاب؛ لأن الزيدية - مع كثرة فضلائهم، ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار- لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم؛ فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم أو نثر أو تصنيف رأسا، وهذا مع توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف، والإكباب على كتبهم التاريخية وغيرها.

وإني لأكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي كانت سببا لدفن سابقهم ولاحقهم، وغمط رفيع قدر عالمهم وفاضلهم وشاعرهم وسائر أكابرهم؛ ولهذا أهملهم المصنفون في التاريخ على العموم، كمن يترجم لأهل قرن من القرون أو عصر من العصور، وإن

ذكروا النادر منهم ترجموه ترجمة مغسولة عن الفائدة، عاطلة عن بعض ما يستحقه، ليس فيها ذكر مولد ولا وفاة ولا شيوخ ولا مسموعات ولا مقروءات ولا أشعار ولا أخبار؛ لأن الذين ينقلون أحوال الشخص إلى غيره هم معارفه وأهل بلده، فإذا أهملوه أهمله غيرهم وجهلوا أمره. ومن هذه الحثية تجدني في هذا الكتاب إذا ترجمت أحدا منهم لم أدر ما أقول؛ لأن أهل عصره أهملوه، فلم يبق لدي من بعدهم إلا مجرد أنه فلان بن فلان لا يُدرى متى ولد ولا في أي وقت مات، وما صنع في حياته.

فمن عرف ما ذكرناه علم أن المترجم له رحمته الله قد أجاد في ذلك الكتاب في كثير من التراجم، وكان صاحب الترجمة من العلماء المشاركين في فنون عدة، وله أبحاث ورسائل وقفت عليها، وهي نفيسة ممتعة ونظمه ونثره في رتبة متوسطة. اهـ

وقال رحمته الله (٢/٩١-٩٢) في ترجمة الإمام ابن الوزير في ثنایا الحديث عن كتابه العظيم العواصم والقواصم:

وهو في أربع مجلدات، يشتمل على فوائد في أنواع من العلوم لا توجد في شيء من الكتب، ولو خرج هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله، ولكن أبى ذلك لهم ما جبلوا عليه من غمط محاسن بعضهم لبعض، ودفن مناقب أفاضلهم... والحاصل أنه رجل عرفه الأكابر وجهله الأصاغر، وليس ذلك مختصا بعصره، بل هو كاین فیما بعده من العصور إلى عصرنا هذا، ولو قلت أن اليمن لم ينجب مثله لم أبعد عن الصواب وفي هذا الوصف ما لا يحتاج معه إلى غيره. اهـ

وقال رحمته الله (١/٦٥) في ترجمة الحسن بن أحمد الجلال:

وكان له مع أبناء دهره قلاقل وزلازل، كما جرت به عادة أهل القطر اليمني من وضع جانب أكابر علمائهم المؤثرين لنصوص الأدلة على أقوال الرجال. اهـ

وقال رحمته الله (١/٢٣٤) : ... ولكن كان أهل العلم يخافون على أنفسهم، ويحمون أعراضهم؛

فيستكون عن العامة، وكثيرا منهم كان يصوبهم مداراة لهم، وهذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن، وتسلط العامة عليهم، وخمول ذكرهم وسقوط مراتبهم؛ لأنهم يكتمون الحق، فإذا تكلم به واحد منهم وثارت عليه العامة صانعوهم وداهنوهم وأوهموهم إنهم على الصواب؛ فيتجرؤون بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء وهضم شأنهم، ولو تكلموا بالصواب، أو نصرروا من يتكلم به، أو عرفوا العامة إذا سألوهم الحق وزجروهم عن الاشتغال بما ليس من شأنهم؛ لكانوا يدا واحدة على الحق، ولم يستطع العامة ومن يلتحق بهم من جهلة المتفكهة اثاره شيء من الفتن، فإننا لله وإنا إليه راجعون . اهـ

وقال رحمته الله: جُبِلَ أهل اليمن على غمط محاسن بعضهم بعضا، ودفن مناقب أفاضلهم، ولا أدري لِمَ هذه البخيصة والدسيسة، ثم تأملت وطالعت فإذا هي صفة غالبية في أكثر البلاد، والله أعلم أن الناس يزهدون في أعلامهم لما يشاهدون منهم من صفات نقص بشرية، لا يسلم منها أحد، ولما يظنون فيهم أنهم أصحاب مال وضياع. اهـ

وقال العلامة الصنعاني رحمته الله في "التنوير شرح الجامع الصغير" (٩/ ٥٢٨):

دأبُّ الأشرار إكفار نعم المشايخ، وهذا في الديار اليمنية كثير، وخلافه في الديار الشامية، وإن كان الكل أغليبا. اهـ

أقول: لقد رأينا ولمسنا ما قاله الإمام الشوكاني رحمته الله، وكثير منه منشؤه الحسد وقلة العلم، أو التعصب، أو الخلافات المذهبية والحزبية، ويجمع ما سبق وغيره قلة الدين والإخلاص، وضعف الإيمان بالقضاء والقدر، نسأل الله السلامة والعافية.

الفائدة الثالثة عشرة: من لم يعيش حرا بوطنه فوطنه قبره

قال الشاعر:

إذا لم يعيش حرا بموطنه الفتى فسم الفتى ميتا وموطنه قبره

الفائدة الرابعة عشرة: فضيلة العفو وأن الجزاء من جنس العمل.

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في كتابه تاريخ الإسلام (٤٢ / ٣٢٧) ترجمة مسعود بن محمد الهمداني: ذكره شيخنا ابن البزوري في «تاريخه»، وقال: كان على قدم حسن، وكان كثيرا ما يقول: الماضي لا يذكر. فقيل إنه رئي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال لي: يا مسعود الماضي لا يذكر، انطلقوا به إلى الجنة. اهـ

الفائدة الخامسة عشرة: أم عاقلة نفعت ولدها في دينه ودنياه

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في مفتاح دار السعادة (١ / ١٦٥): قال الحربي وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخل في بدنه، وكان منكباة خارجين كأنهما زجان، فقالت أمه: يا بني، لا تكون في مجلس قوم إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم؛ فإنه يرفعك، فولى قضاء مكة عشرين سنة. قال: وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرعد حتى يقوم. قال: ومررت به امرأة وهو يقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، فقالت له: يا ابن أخي واي رقبة لك؟! اهـ

الفائدة السادسة عشرة: العلم هو التجارة التي لا تغرق إذا انكسرت السفينة

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في مفتاح دار السعادة (١ / ١٠٧): ويحكى عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار في مركب فانكسرت بهم السفينة، فأصبحوا بعد عز الغنى في ذل الفقر، ووصل العالم إلى البلد فأكرم، وقصد بأنواع التحف والكرامات، فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم قالوا له: هل لك إلى قومك كتاب أو حاجة؟ فقال: نعم. تقولون لهم: إذا اتخذتم مالا لا يغرق إذا انكسرت السفينة فاتخذوا العلم تجارة. اهـ

الفائدة السابعة عشرة: علامة التوفيق والخذلان

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في مفتاح دار السعادة (١ / ١٢٨):

قال بعض العارفين: أجمع العارفون على أن التوفيق ألا يكللك الله إلى نفسك، وأجمعوا على أن الخذلان أن يخلي بينك وبين نفسك. اهـ

الفائدة الثامنة عشرة: الكذب ممقوت بالفطرة، ويستحق صاحبه العقوبة حتى عند الحشرات

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (ص ٦٩):

ولقد حدثني - يعني شيخ الإسلام - أن نملة خرجت من بيتها فصادفت شق جرادة، فحاولت أن تحمله فلم تطق، فذهبت وجاءت معها بأعوان يحملنه معها. قال: فرفعت ذلك من الأرض، فطافت في مكانه فلم تجده؛ فانصرفوا وتركوها. قال: فوضعت، فعادت تحاول حمله فلم تقدر، فذهبت وجاءت بهم، فرفعت، فطافت فلم تجده فانصرفوا. قال: فعلت ذلك مرارا، فلما كان في المرة الأخرى استدار النمل حلقة، ووضعها في وسطها، وقطعها عضوا عضوا. قال شيخنا - وقد حكيت له هذه الحكاية فقال:- هذه النمل فطرها الله سبحانه على قبح الكذب وعقوبة الكذاب. اهـ

الفائدة التاسعة عشرة: إذا أراد الله بعبده خيرا بصره بعيوبه

قال العلامة ابن قدامة المقدسي رحمه الله في مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٥٦):

واعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبدا خيرا بصره بعيوب نفسه، فمن كانت له بصيرة، لم تخف عليه عيوبه، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوبهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه، فمن أراد الوقوف على عيب نفسه فله في ذلك أربع طرق: الطريقة الأولى: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، يعرف عيوب نفسه وطرق علاجها، وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده، فمن وقع به، فقد وقع بالطبيب الحاذق فلا ينبغي أن يفارقه.

الطريقة الثانية: أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا، وينصبه رقيباً على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله.

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأً أهدي إلينا عيوبنا.

وسأل سلمان رضى الله عنه لما قدم عليه من عيوبه، فقال: سمعت أنك جمعت بين إدامين على مائدة، وان لك حلتين: حلة بالليل، وحلة بالنهار، فقال: هل بلغك غير هذا؟ قال: لا، قال: أما هذا فقد كفيتهما.

وكان عمر رضي الله عنه يسأل حذيفة: هل أنا من المنافقين؟ وهذا لأن كل من علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه، إلا أنه عز في هذا الزمان وجود صديق على هذه الصفة، لأنه قل في الأصدقاء من يترك المداهنة، فيخبر بالعيب أو يترك الحسد، فلا يزيد على قدر الواجب. وقد كان السلف يحبون من ينبههم على عيوبهم، ونحن الآن في الغالب أبغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا.

وهذا دليل على ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السيئة كالعقارب، لو أن منبهاً نبهنا على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً لتقلدنا له منة، واشتغلنا بقتلها، والأخلاق الرديئة أعظم ضرراً من العقرب على ما لا يخفى.

الطريقة الثالثة: أن يستفيد معرفة نفسه من السنة أعدائه، فإن عين السخط تبدئ المساوىء، وانتفاع الإنسان بعدو مشاجر يذكر عيوبه، أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفى عنه عيوبه. الطريقة الرابعة: أن يخالط الناس، فكل ما يراه مذموماً فيما بينهم، يجتنبه. اهـ

الفائدة العشرون: كيف بك أيها الداعي إلى الله إن نجوا وهلكت؟!

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص ٢٤٩):

ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رقق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسى: كيف بك إن نجوا وهلكت؟! فصحت بلسان وجدي:

إلهي وسيدي! إن قضيت عليّ بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي؛ صيانة لكرمك لا لأجلي؛ لئلا يقولوا: عذب من دلّ عليه.

إلهي! قد قيل لنيك صلى الله عليه وسلم: اقتل ابن أبي المنافق! فقال: "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه".

إلهي! فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل عليك. حاشاك والله يا رب من تكدير الصافي. اهـ

الفائدة الحادية والعشرون: تطاول الصغار على الكبار لا يدوم

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في بدائع الفوائد (٣/٢٣٦):

شجرة السنوبر تثمر في ثلاثين سنة، وشجرة الدباء تصعد في أسبوعين فتقول للسنوبرية: إن الطريق التي قطعتها في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين، ويقال لي شجرة، ولك شجرة. فقالت لها السنوبرية: مهلاً حتى تهب رياح الخريف، فإن ثبت لها تم فخرك! اهـ

الفائدة الثانية والعشرون: من خاف عدوا وقرأ قرآنا حجه الله عن عدوه

قال الإمام القرطبي رحمته الله في تفسيره (١٠/٢٧٠) في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعْ لَهُ يُخَوِّفْكَ مِنْهُ لِيُخَفِّيكَ وَيُبَدِّلَ اللَّهُ قَلْبَكَ بِمِثْلٍ بِهٖ﴾

يَبْنِيكَ وَيُبَيِّنُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٥٥﴾ الإسراء: ٤٥ - بعد أن ذكر أحداث وآثارا - :

ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منشور من أعمال قرطبة مثل هذا، وذلك أني هربت أمام العدو وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض، قاعد ليس يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا عليّ ثم رجعا من حيث جاءا، وأحدهما يقول للآخر: هذا ديبلة، يعنون: شيطاننا. وأعمى الله وعجزهم أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك. اهـ

الفائدة الثالثة والعشرون: تبليغ الحق والصدع به سبب لحفظ الله للعبد

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في تفسيره فتح القدير (٢/٦٩) في الكلام على قوله تعالى: ﴿* يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ص وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ المائدة: ٦٧:

وقد رأينا من هذا في أنفسنا، وسمعنا منه في غيرنا ما يزيد المؤمن إيمانا وصلابة في دين الله، وشدة شكيمة في القيام بحجة الله، وكل ما يظنه متزلزلو الأقدام ومضطربو القلوب من نزول الضرر بهم

وحصول المحن عليهم؛ فهو خيالات مختلقة وتوهمات باطلة، فإن كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة؛ لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. اهـ

الفائدة الرابعة والعشرون: مؤذن أعمى يعرف طلوع الفجر برائحته

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله في شرح عمدة الأحكام (١/ ٥٧٥): حدثني رجل أنه كان في بلدهم أعمى يعرف طلوع الفجر برائحته! نعم برائحته، بدون أن يشاهد، فإذا شم رائحته قام فأذن، فإذا طالع الناس الفجر وجدوه قد طلع. فأنت تعرف للفجر رائحة فقد سمعت أو قرأت في بعض الكتب الطبية أنه يندفع مع طلوع الفجر غازات أو شيء يشبه الغازات، ولهذا حثوا على أن تفتح نوافذ المنازل عند طلوع الفجر؛ لتدخل هذه الغازات التي توجب الحياة. اهـ

الفائدة الخامسة والعشرون: فيمن يحضر مجالس العلم ولا هم له إلا تتبع الزلات

قال الإمام ابن حزم رحمه الله في الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص: ٩٢): إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علما وأجرا لا حضور مستغن بما عندك طالبا عثرة تشيعها أو غريبة تشنعها فهذه أفعال الأردال الذين لا يفلحون في العلم أبدا . انتهى

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (١/ ١٨١):

مثل الذي يسمع الحكمة ولا يحمل إلا شرها كمثل رجل أتى راعيا فقال: أجرني شاة من غنمك، فقال: انطلق فخذ بأذن شاة منها، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم. اهـ

وقال العلامة الصنعاني رحمته الله في التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٥٢٨):

وهذا هو لئيم الطلبة وخبيث الحضار عند العالم، متتبع العثرات، وكاشف العورات، ودافن الحسنات، وما أكثر هذا النوع - لاكثرهم الله -؛ فإنهم الذين أفسدوا معالم العلم، وملأوا المواقف على العلماء أحاديث كاذبة... وبئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم؛ فإنه لا بد لكل جواد من كبوة ولكل صارم من نبوة.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاياه

فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء وأذاعه، ودافع عنهم إن سمع قادحا فيهم. اهـ

الفائدة السادسة والعشرون: بعض الناس طباعه كطباع بعض الحيوانات

مدارج السالكين (١/٤٠٦): ومن الناس من طبعه طبع خنزير؛ يمر بالطيبات فلا يلوي عليها، فإذا قام الإنسان عن رجيعة قمّه، وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوي فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه، فإذا رأى سقطة أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبها فجعلها فاكهته ونقله، ومنهم من هو على طبيعة الطاووس ليس له إلا التطوس والتزين بالريش وليس وراء ذلك من شيء، ومنهم من هو على طبيعة الجمل أحقد الحيوان وأغلظه كبدا. ومنهم من هو على طبيعة الدب أبكم خبيث وعلى طبيعة القرد.

وأحمد طبائع الحيوانات طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوسا، وأكرمها طبعا وكذلك الغنم، وكل من ألف ضربا من ضروب هذه الحيوانات اكتسب من طبعه وخلقه، فإن تغذى بلحمه كان الشبه أقوى فإن الغاذي شبيه بالمغتذى.

ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما تورث أكلها من شبه نفوسها بها، والله أعلم. اهـ

الفائدة السابعة والعشرون: من علامات الشقاء أن تشغل بعيوب الناس وتنسى عيوبك

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في طريق الهجرتين (ص ١٧٢):

وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسى عيبه وتفرغ لعيوب الناس، فالأول علامة السعادة، والثاني علامة الشقاوة. اهـ

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٢٥):

الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه؛ عمي قلبه

وتعب بدنه وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه، ولقد أحسن الذي يقول:

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا
عليك وأبدوا منك ما كان يُستر
وقد قال في بعض الأقاويل قائل
له منطلق فيه كلام محبر
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم
فإن عبت قوما بالذي ليس فيهم
وإن عبت قوما بالذي فيك مثله
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه
متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم
فسالمهم بالكف عنهم فإنهم
فلا عيب إلا دون ما منك يُذكر
فذلك عند الله والناس أكبر
فكيف يعيب العور من هو أعور
أشد إذا عد العيوب وأنكر
عيوبا ولكن الذي فيك أكثر
بعيبك من عينيك أهدى وأبصر

اهـ

**الفائدة الثامنة والعشرون: من سكت عن عيوب الناس التي لا ضرر في السكوت عنها سترها عليهم
ستر الله معايبه**

قال أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه عيوب النفس (ص ١٢):

ومن عيوبها اشتغالها بعيوب الناس عما بها من عيبها ومداواتها: في الأسفار والانقطاع، ومحبة الصالحين والالتزام بأوامرهم، وأقل ما فيه - إذا لم يعمل في مداواة عيوب نفسه - أن يسكت عن عيوب الناس، ويعذرهم فيها، ويستر عليهم خزاياهم، رجاء أن يصلح الله بذلك عيوبه؛ فإن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من ستر على أخيه المسلم ستر الله عورته، ومن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته).

سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت زاذان المدائني يقول: رأيت أقواما من الناس لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فستر الله عيوبهم وزالت عنهم تلك العيوب، ورأيت أقواما لم تكن لهم عيوب، اشتغلوا بعيوب الناس، فصارت لهم عيوب. اهـ

الفائدة التاسعة والعشرون: يخرج الحي من الميت

ذكر جماعة من المؤرخين ومنهم: الإمام ابن جرير رحمته الله في تاريخ الأمم والملوك (٣/٣٧٧)، والحافظ ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (٦/٣٨٥)، أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما فتح حصن عين التمر، وغنم جميع ما في الحصن، ووجدوا في كنيسة الحصن بابا مغلقا، وفيه أربعون صبيا يتعلمون الإنجيل، ففرقهم على بعض المسلمين، فأسلموا وكان منهم: أبان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونصير: والد موسى بن نصير القائد المسلم الكبير فاتح الأندلس وشمال أفريقيا وسيرين: والد محمد بن سيرين إمام التابعين ويسار: جد محمد بن إسحاق بن يسار إمام المغازي والسير فسبحان من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي.

الفائدة الثلاثون: عند أن يظن التافهون أنفسهم شيئا

يذكر أن بعوضة وقعت على شجرة فلما أصبحت قالت للشجرة: استمسكي فإني أريد الطيران فقالت الشجرة: أنا لم أشعر بك حين وقعت، فكيف أشعر بطيرانك؟!

الفائدة الحادية والثلاثون: كل من في القبور كان لهم حوائج ما قضوها

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في حفظ العمر (ص ٥٩):

وقد روينا: أن أكبر جنود إبليس: سوف، وكان بعض العلماء يقول: احذروا سوف.

دخل بعض العلماء مقبرة، فقال: لا إله إلا الله، ما فيهم أحد إلا وله حوائج ما قضاها، يقول: سأفعل. اهـ

الفائدة الثانية والثلاثون: من أراد الكل فاته الكل

ويروى للمثل قصة خيالية، وهو أن يهوديا كان يحلج العطب (القطن)، ويهزج بقوله: "الشرق لي والغرب لي، والكنز الذي تحت رجلي"، فسمعه رجل فقال: لا شك أن مع اليهودي كنزا، فاهتبل فرصة خروجه من محله، واقتحم محله، وأخذ يبحث عما يوجد في محله، فوجد جرة مملوءة نقودا فأخذها، فلما عاد اليهودي عرف أن تلك الجرة قد سرقت، فقدر في نفسه أن السارق لا بد أن يتردد على المحل ليسمع شكوى اليهودي، فكان اليهودي يهزج بقوله: "لو خلاها كان أملاها"، فندم السارق على استعجاله، وأعاد الجرة في اليوم التالي إلى محلها، فلما رآها اليهودي نقلها إلى مكان حريز، وكان يردد المثل ... "من طلبه كله فاته كله"، وفي معنى المثل قول الشاعر:

طلبت بك التكثير فازددت قلة
وقد يخسر الإنسان في طلب الرياح

اهـ. كتاب الأمثال اليماني للأكوع (٢/ ١٢٤٥)

الفائدة الثالثة والثلاثون: البلاء موكل بالمنطق

قال الخطيب البغدادي رحمته الله في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٥):

قال ابن الدورقي: اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد؛ فحضرت صلاة يجهر فيها، فقدموا الكسائي يصلي، فارتج عليه في قراءة: قل يا أيها الكافرون!
فلما أن سلم، قال اليزيدي: قارئ أهل الكوفة يرتج عليه في قل يا أيها الكافرون؟!
فحضرت صلاة يجهر فيها، فقدموا اليزيدي، فارتج عليه في سورة الحمد!
فلما أن سلم قال: احفظ لسانك! لا تقول فتبتلى، إن البلاء موكل بالمنطق. اهـ

الفائدة الرابعة والثلاثون: من قواعد الشرع العظيمة تأليف القلوب ولو بترك بعض المستحبات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١):

وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ الأنفال: ١ ويقول: ﴿

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴿١٣٣﴾ آل عمران: ١٣٣ ويقول: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
 الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٥﴾ آل عمران: ١٣٥. وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة
 والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة كما أن الخارجين
 عنه هم أهل الفرقة. اهـ

ومثل ﷺ كما في مجموع الفتاوى (٤٠٧/٢٢) لتأليف القلوب بما يتعلق بالجهر أو الإسرار
 بالبسملة فقال:

وكذلك الأمر في تلاوتها في الصلاة: طائفة لا تقرؤها لا سرا ولا جهرا: كمالك والأوزاعي، وطائفة
 تقرؤها جهرا: كأصحاب ابن جريج والشافعي، والطائفة الثالثة المتوسطة: جماهير فقهاء الحديث
 مع فقهاء أهل الرأي يقرؤونها سرا كما نقل عن جماهير الصحابة، مع أن أحمد يستعمل ما روي
 عن الصحابة في هذا الباب، فيستحب الجهر بها لمصلحة راجحة، حتى إنه نص على أن من صلى
 بالمدينة يجهر بها، فقال بعض أصحابه؛ لأنهم كانوا ينكرون على من يجهر بها.
 ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في
 الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغيير بناء البيت؛ لما في إبقائه
 من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متما،
 وقال الخلاف شر.

وهذا وإن كان وجها حسنا، فمقصود أحمد أن أهل المدينة كانوا لا يقرؤونها فيجهر بها؛ ليبين أن
 قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة أم الكتاب على الجنابة وقال: لتعلموا أنها سنة، وكما جهر
 عمر بالاستفتاح غير مرة. اهـ

الفائدة الخامسة والثلاثون: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه

قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه (٢٧/١) حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاد، قال: سمعت أبا
 إسحاق الطالقاني، يقول: سمعت ابن المبارك، يقول: لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى
 عبد الله بن محرر لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة، فلما رأته كانت بعرة أحب إلي منه. اهـ

الفائدة السادسة والثلاثون: من أمهات العظماء

توماس أديسون وهو طفل رجع من المدرسة وبيده ورقة فقال لأمه: قالت لي المعلمة: أعطها لأمك لكي تقرأها لك. وأثناء القراءة نزلت دموع أمه، فسألها: لماذا تبكين يا أمي ماذا كتبت المعلمة؟

فقلت له: إنها تقول إنك أذكى وأقوى من المعلمين وإنهم ليس لديهم معلمين يستطيعون أن يتعاملوا مع مستوى تفكيرك؛ لأنك أذكى من الطبيعي وطلبت المعلمة أن أعلمك وأهتم بك بنفسي.

وبعد أن أصبح من عباقرة القرن توفيت أمه فحزن عليها كثيرا وبعد مدة من الزمن وهو يفتش في أغراضها وجد تلك الرسالة، وعندما قرأها وجد مكتوبا فيها:

ابنك ضعيف ذهنيا وغبي، ولذلك لا نستطيع أن نستقبله مرة ثانية في المدرسة، فتأثر جدا، فكتب في مذكراته: توماس أديسون كان طفلا غيبيا، حولته أمه إلى عبقرى القرن. اهـ

الفائدة السابعة والثلاثون: الأصمعي والبقال ومثلهما كثير

قال التنوخي في الفرج بعد الشدة (٣ / ١٦١ - ١٦٥):

وجدت في بعض الكتب عن الأصمعي، قال: كنت بالبصرة أطلب العلم، وأنا مقبلٌ، وكان علي باب زقاقنا بقال، إذا خرجت باكرا يقول لي: إلى أين؟ فأقول: إلى فلان المحدث، وإذا عدت مساء يقول لي: من أين؟ فأقول: من عند فلان الإخباري، أو اللغوي.

فيقول: يا هذا، اقبل وصيتي، أنت شاب، فلا تضيع نفسك، واطلب معاشًا يعود عليك نفعه، وأعطني جميع ما عندك من الكتب، حتى أطحها في الدن، وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة، وأنبذه، وأنظر ما يكون منه، والله لو طلبت مني بجميع كتبك جرزة بقل ما أعطيتك!

فيضيق صدري بمداومته هذا الكلام، حتى كنت أخرج من بيتي ليلا، وأدخله ليلا، وحالي في خلال ذلك تزداد ضيقا، حتى أفضيت إلى بيع آجر أساسات داري، وبقيت لا أهتدي إلى نفقة يومي، وطال شعري، وأخلق ثوبي، واتسخ بدني.

فأنا كذلك متحيرٌ في أمري، إذ جاءني خادم للأمير محمد بن سليمان الهاشمي، فقال: أجب الأمير.

فقلت: ما يصنع الأمير برجل بلغ به الفقر إلى ما ترى؟ فلما رأى سوء حالي، وقبح منظري؛ رجع فأخبر محمد بن سليمان بخبري، وعاد إليّ ومعهُ تخوت ثياب، ودرج فيه بخور، وكيس فيه ألف دينار.

وقال: قد أمرني الأمير أن أدخلك الحمام، وألبسك من هذه الثياب، وأدع باقيها عندك، وأطعمك من هذا الطعام، وإذا بخوان كبير فيه صنوف الأطعمة، وأبخرك؛ لترجع إليك نفسك، ثم أحملك إليه.

فسررت سرورا شديدا، ودعوت له، وعملت ما قال، ومضيت معه، حتى دخلت على محمد بن سليمان، فسلمت عليه، فقرّبني ورفعني.

ثم قال: يا عبد الملك، قد اخترتك لتأديب ابن أمير المؤمنين، فاعمل على الخروج إلى بابه، وانظر كيف تكون، فشكرته ودعوت له، وقلت: سمعا وطاعة، سأخرج شيئا من كتبي وأتوجه. فقال: ودعني، وكن على الطريق غدا.

فقبلت يده وقمت، فأخذت ما احتجت إليه من كتبي، وجعلته في بيت وسددت بابه، وأعدت في الدار عجوزا من أهلنا، تحفظها.

وباكرني رسول الأمير محمد بن سليمان، وأخذني، وجاء بي إلى زلال قد اتخذ لي، وفيه جميع ما أحتاج إليه، وجلس معي ينفق علي، حتى وصلت إلى بغداد، ودخلت على أمير المؤمنين الرشيد، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام.

وقال: أنت عبد الملك بن قريب الأصمعي.

قلت: نعم، أنا عبد أمير المؤمنين بن قريب الأصمعي.

قال: اعلم أن ولد الرجل مهجة قلبه، وثمره فؤاده، وهو ذا أسلم إليك ابني محمدا بأمانة الله، فلا تعلمه ما يفسد عليه دينه، فلعله أن يكون للمسلمين إماما.

قلت: السمع والطاعة.

فأخرجه إلي، وحولت معه إلى دار، قد أخليت لتأديبه، وأخدم فيها من أصناف الخدم والفرش، وأجري علي في كل شهر عشرة آلاف درهم، وأمر أن تخرج إلي في كل يوم مائدة، فلزمته.

وكنت مع ذلك أقضي حوائج الناس، وأخذ عليها الرغائب، وأنفذ جميع ما يجتمع لي أولاً فأولاً إلى البصرة، فأبني داري، وأشتري عقارا وضياعا.

فأقمت معه، حتى قرأ القرآن، وتفقه في الدين، وروى الشعر واللغة، وعلم أيام الناس وأخبارهم. واستعرضه الرشيد، فأعجب به، وقال: يا عبد الملك، أريد أن يصلي بالناس، في يوم الجمعة، فاختر له خطبة، فحفظه إياها.

فحفظته عشرا، وخرج فصلي بالناس، وأنا معه، فأعجب الرشيد به، وأخذ نثار الدنانير والدرهم من الخاصة والعامة، وأتني الجوائز والصلوات من كل ناحية، فجمعت مالا عظيما.

ثم استدعاني الرشيد، فقال: يا عبد الملك، قد أحسنت الخدمة، فتمن.

قلت: ما عسى أن أتمنى، وقد حزت أمني.

فأمر لي بمال عظيم، وكسوة كثيرة، وطيب فاخر، وعبيد، وإماء، وظهر، وفرش، وآلة.

فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في الإلمام بالبصرة، والكتاب إلى عامله بها، أن يطالب الخاصة والعامة بالسلام عليّ ثلاثة أيام، وإكرامي بعد ذلك.

فكتب إليه بما أردت، وانحدرت إلى البصرة، وداري قد عمرت، وضياعي قد كثرت، ونعمتي قد فشت، فما تأخر عني أحد.

فلما كان في اليوم الثالث؛ تأملت أصاغر من جاني، فإذا البقال، وعليه عمامة وسخة، ورداء لطيف، وجبة قصيرة، وقميص طويل، وفي رجله جرموقان، وهو بلا سراويل.

فقال: كيف أنت يا عبد الملك؟ فاستضحكت من حماقته، وخطابه لي بما كان يخاطبني به الرشيد.

وقلت: بخير، وقد قبلت وصيتك، وجمعت ما عندي من الكتب، وطرحتها في الدن، كما أمرت، وصبيت عليها من الماء للعشرة أربعة، فخرج ما ترى. ثم أحسنت إليه بعد ذلك، وجعلته وكيلي.

اهـ

الفائدة الثامنة والثلاثون: من ظن أنه يستغني عن العلم فليبيك على نفسه

قال الخطيب البغدادي رحمته الله في الفقيه والمتفقه (٢/ ٧٨ - ٧٩):

كان أبو يوسف مريضا شديدا المرض، فعاده أبو حنيفة مرارا، فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلًا، فاسترجع ثم قال: «لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير».

ثم رزق العافية، وخرج من العلة، فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه؛ فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسا في الفقه، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه، فأخبر أنه قد عقد لنفسه مجلسا، وأنه بلغه كلامك فيه.

فدعى رجلا كان له عنده قدر، فقال: "صر إلى مجلس يعقوب، فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء، وأنكره، ثم إن رب الثوب رجع إليه، فدفعت إليه الثوب مقصورا، أله أجره؟ فإن قال: له أجره، فقل: أخطأت، وإن قال: لا أجره له، فقل: أخطأت" فصار إليه فسأله، فقال أبو يوسف: له الأجر، فقال: أخطأت، فنظر ساعة ثم قال: لا أجره له، فقال: أخطأت. فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال له: «ما جاء بك إلا مسألة القصار؟»، قال أجل، قال: «سبحان الله! من قعد يفتي الناس وعقد مجلسا يتكلم في دين الله وهذا قدره: لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجازات؟!» فقال: يا أبا حنيفة علمني، فقال: «إن كان قصره بعد ما غصبه فلا أجره؛ لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجر؛ لأنه قصره لصاحبه» ثم قال: «من ظن أنه يستغني عن التعليم فليبيك على نفسه». اهـ

الفائدة التاسعة والثلاثون: نحن نتكلم في أناس لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ زمن قديم

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في تاريخ الإسلام (٧/ ٥٣٦): وقال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي:

سمعت أبا بكر محمد بن مهرويه الرازي يقول: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مائتي

سنة... قال ابن مهرويه: فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدثته بهذا، فبكى وارتعدت يدها حتى سقط الكتاب، وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية. اهـ

الفائدة الأربعون: أئمة لم يتفق لهما الحج

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (٤٥٥/١٨): قال القاضي ابن هانئ: إمامان ما اتفق لهما الحج: أبو إسحاق، وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني، أما أبو إسحاق فكان فقيراً، ولو أراد له حملوه على الأعناق، والآخر لو أراد له لأمكنه على السندس والاستبرق. اهـ

قلت: وهناك عدد من الأئمة لم يتفق لهم الحج، منهم: الإمام ابن حزم، وقد حج عنه عدد من أهل العلم، منهم مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ.

ومنهم: الإمام الشوكاني، وقد حج عنه عدد، منهم طالب علم كبير أعرفه.

الفائدة الحادية والأربعون: من كان ضعيف الحفظ بطيء الفهم فلا يياس

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (٤٥٨/١٨):

قال الشيخ أبو إسحاق - الشيرازي - : كنت أعيد كل قياس ألف مرة، فإذا فرغت أخذت قياساً آخر على هذا، وكنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيت يستشهد به حفظت القصيدة التي فيها البيت. اهـ

الفائدة الثانية والأربعون: دعاء أمي

يذكر بعض المؤرخين أن الزمخشري كان مقطوع الرجل فسئل عن ذلك فقال: دعاء أمي. وذلك أني أمسكت عصفورا في صباي وربطته بخيط في رجله، فجذبتة فانقطعت رجله بالخيط، فتألمت أمي لذلك وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله. فلما كبرت وكنت في سفر إلى بخارى لطلب العلم سقطت عن الدابة، فانكسرت رجلي ووجب قطعها. اهـ

الفائدة الثالثة والأربعون: قل الثالثة وادخل

استأذن رجل على إبراهيم النخعي فقال: أبا عمران في الدار؟ فلم يجبه.

فقال: أبا عمران في الدار؟ فناده: قل الثالثة وادخل. اهـ

الفائدة الرابعة والأربعون: الفرج بعد الشدة

روي أن رجلا ركب البحر، فانكسرت السفينة، فوقع في جزيرة، فمكث ثلاثة أيام لا يرى أحدا ولم

يذق شيئا، فتمثل بقول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

وصار البر مسكن كل حوت وصار البحر مرتع كل ذيب

فسمع هاتفا يهتف:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ويأتي أهله الرجل الغريب

قال: فما لبث أن رأى سفينة قد أقبلت فلوح لهم فحملوه فأصاب خيرا كثيرا. اهـ

حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٨٩) وروح البيان لإسماعيل حقي (٦/ ٤٤١).

الفائدة الخامسة والأربعون: جنود المتصدق

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٣):

المتصدق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جند ولا

عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر، والله المستعان. اهـ

الفائدة السادسة والأربعون: اللهم يا رازق النعاب ارزقني

قال الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٨):

قال الله ﷻ: ﴿وَكَيْفَ أَتَىٰ مِنَ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِفْقَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِرَءُوفًا وَّيَّكْرُمًا﴾ العنكبوت: ٦٠ ، يرزق الضعيف الذي

لا حيلة له كما يرزق القوي، وكان من دعاء داود عليه السلام " يا رازق النعاب في عشه " يريد فرخ الغراب؛ وذلك أنه إذا تفقأت عنه البيضة خرج أبيض كالشحمة، فإذا رآه الغراب أنكره لبياضه فتركه؛ فيسوق الله تعالى إليه البق، فتقع عليه لزهومة ريحه، فيلقطها ويعيش بها إلى أن يحمم ريشه فيسود، فيعاوده الغراب عند ذلك ويلقطه الحب. اهـ

الفائدة السابعة والأربعون: رجل بألف

قال الماوردي رحمته الله في أدب الدنيا والدين (ص ٣٠١):

قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم! قال: نحن ألف رجل، وفينا حازم، ونحن نطيعه، فكأننا ألف حازم. اهـ

الفائدة الثامنة والأربعون: وترعى عين غيرك في ديارك

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٠):

لما سمع أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله ابن الجوزي ينشد تحت داره:

ستنقلك المنايا عن ديارك ويؤيدك الردى دارا بدارك

وتترك ما عُنيت به زمانا وتُنقل من غناك إلى افتقارك

فدود القبر في عينك يرعى وترعى عينُ غيرك في ديارك

فجعل المستضيء يمشي في قصره ويقول: إي والله: وترعى عين غيرك في ديارك ... ويكررها ويبيكي حتى الليل. اهـ

الفائدة التاسعة والأربعون: كيف بك إن نجوا وهلكت؟

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص: ٢٤٩):

ولقد جلست يوماً، فرأيت حوالي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسي: كيف بك إن نجوا وهلكت؟! فصحت بلسان وجدي:

إلهي وسيدي! إن قضيت عليّ بالعذاب غداً، فلا تعلمهم بعذابي، صيانة لكرمك، لا لأجلي، لئلا يقولوا: عذب من دل عليه.

إلهي! قد قيل لنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقتل ابن أبي المنافق! فقال: "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه".

إلهي! فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل عليك. حاشاك والله يا رب من تكدير الصافي. اهـ

الفائدة الخمسون: الله يحفظ دينه بمن يشاء

قال شيخ الإسلام رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٧/٢١٥):

ولو لم يخلق البخاري ومسلم لم ينقص من الدين شيء، وكانت تلك الأحاديث موجودة بأسانيد يحصل بها المقصود وفوق المقصود. اهـ

الفائدة الحادية والخمسون: من عجائب دعاة مساواة المرأة بالرجل وفطنة العلامة البيهاني

جرت مناظرة بين العلامة البيهاني رحمه الله وبين رجل يدعو إلى مساواة الرجل بالمرأة، فجعل ذلك الرجل يتكلم والبيهاني ساكت، ثم قال له البيهاني: أما الآن فاسكتي وأنا أتكلم، فغضب الرجل وقال: تخاطبني بخطاب المرأة؟!!

فقال له البيهاني: كيف تدعو إلى مساواتها وأنت لا ترضى أن تساويها في مجرد ضمير الخطاب؟! فانقطع المناظر، وجعل الناس يضحكون منه. اهـ أريج الأزهار بجمع الفوائد والطرائف والأشعار (ف ١٣).

الفائدة الثانية والخمسون: الناس لا يرضون عن خالقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم

قال أبو نعيم في الحلية (٦/٣٠٥): قال الربيع بن صبيح: قلت للحسن: إن ههنا قوما يتبعون السقط من كلامك ليجدوا إلى الوقعة فيك سبيلا. فقال: لا يكبر ذلك عليك؛ فلقد أطمعت نفسي في خلود الجنان فطمعت، وأطمعتها في مجاورة الرحمن فطمعت، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلا؛ لأنني رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم، فعلمت أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم. اهـ

الفائدة الثالثة والخمسون: عواقب الإعراض عن نصائح العلماء في الفتن

قال ابن سعد رضي الله عنه في الطبقات الكبرى (٧/١٢٠):

قال سليمان بن علي الربيعي: لما كانت الفتنة: فتنة ابن الأشعث إذ قاتل الحجاج بن يوسف، انطلق عقبة بن عبد الغافر وأبو الجوزاء وعبد الله بن غالب في نفر من نظرائهم، فدخلوا على الحسن فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة وفعل وفعل؟ قال: وذكروا من فعل الحجاج.

قال: فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين. قال: فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العليج! قال: وهم قوم عرب. قال: وخرجوا مع ابن الأشعث. قال: فقتلوا جميعا. اهـ

الفائدة الرابعة والخمسون: النعيم لا يدرك بالنعيم

قال العلامة ابن القيم رضي الله عنه في مفتاح دار السعادة (١/١٤٢):

قال إبراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم، ومن آثر الراحة فاتته الراحة، فما لصاحب اللذات وما لدرجة وراثه الانبياء.

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

اهـ

الفائدة الخامسة والخمسون: دعوة زوجة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه

ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه "مجاوب الدعوة" (ص ٣٢): أن بعض بني راسب قال: كنت أطوف بالبيت، فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت وهو يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل! قال: فقلت: ألا تتقي الله؟ قال: إن لي شأنا، آليت أنا وصاحب لي لئن قتل عثمان لنلظمن حر وجهه، فدخلنا عليه، فإذا رأسه في حجر امرأته ابنة الفرافصة، فقال لها صاحبي: اكشفي عن وجهه، فقالت: لم؟ قال: ألطم حر وجهه، قالت: أما ترضى ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال فيه كذا وكذا. فاستحيى صاحبي فرجع، فقلت: اكشفي عن وجهه قال: فذهبت تدعو عليّ، فلطمت وجهه، فقالت: ما لك! ييس الله يدك، وأعمى بصرك، ولا غفر لك ذنبا، قال: فوالله ما خرجت من الباب حتى يبست يدي، وعمي بصري، وما أرى الله يغفر ذنبي. اهـ

الفائدة السادسة والخمسون: دعوة مظلوم سرت بليل لم يغفل الله عنها

ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٤/١٣٦): أن يحيى بن خالد البرمكي كان وزيرا لهارون الرشيد، ثم حصل بينهما وحشة؛ فسجنه حتى مات في قيوده في السجن، وفي أثناء سجنه قال له ولده جعفر: يا أبت! بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس؟ قال: فقال له أبوه: يا بني! دعوة مظلوم سرت بليل، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

رب قوم قد غدوا في نعمة زما والدهر ريان غدق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

اهـ

الفائدة السابعة والخمسون: فضل النفقة على طلبة العلم والعلماء

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٣/ ٦٧٩):

كان يحيى بن خالد البرمكي يجري على سفيان بن عيينة كل شهر ألف درهم، وكان سفيان يدعو له في سجوده يقول: اللهم إنه قد كفاني أمر دنيائي؛ فاكفه أمر آخرته، فلما مات يحيى رآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بدعاء سفيان. اهـ

الفائدة الثامنة والخمسون: قصة النجاشي وكيف رد الله عليه ملكه

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨١): في بيان دفاع النجاشي عن الصحابة رضي الله عنهم لما هاجروا إليه، وأبى أن يردهم لكفار قريش، وقال لوفد كفار قريش حين أعطوه رشوة ليرد الصحابة إليهم: ما أخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه.

وذلك أن والد النجاشي كان ملك الحبشة، لم يكن له ولد إلا النجاشي. وكان للنجاشي عم، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة. فقالت الحبشة: لو أنا قتلنا أبا النجاشي، وملكنا أخاه لتوارث بنوه ملكه بعده، ولبيقت الحبشة دهرا، فقتلوه وملكوا أخاه. فنشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما، فغلب على أمر عمه، فلما رأت الحبشة ذلك قالت: إنا نتخوف أن يملكه بعده، ولئن ملك ليقتلنا بأبيه فمشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا فقال: ويلكم! قتلت أباه بالأمس، وأقتله اليوم؟! بل أخرج به فباعوه من تاجر بستمائة درهم فانطلق به في سفينة، فلما كان العشي هاجت سحابة من سحاب الخريف، فخرج عمه يستمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته، ففزعت الحبشة إلى ولده فإذا هم حمق ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم وضاق عليهم ما هم فيه، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعتم. قال: فخرجوا في طلبه وطلب الذي باعوه منه، حتى أدركوه فأخذوه منه، ثم جاءوا به، فعقدوا عليه التاج وأجلسوه على سرير الملك، فجاء التاجر فقال: إما أن تعطوني مالي وإما أن أكلمه في ذلك فقالوا: لا نعطيك شيئا قال: إذن والله أكلمه قالوا: فدونك. فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستمائة

درهم حتى إذا سرت به أدركوني فأخذوه ومنعوني دراهمي فقال النجاشي: لتعطنه غلامه أو دراهمه. قالوا: بل نعطيه دراهمه. فلذلك يقول: ما أخذ الله مني رشوة حين رد عليّ ملكي، فأخذ الرشوة فيه.

وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه وعدله. اهـ

الفائدة التاسعة والخمسون: مرض فحفر له ابنه قبراً وجهاز أكفانه، فعوفي الأب ومات الابن ودفن في قبر أبيه

ذكر العلامة بدر الدين الأسدي في كتابه الكواكب الدرية في السيرة النبوية (ص ١٥٩): أن نقيب الأشراف بدمشق مرض مرضاً شديداً أيس منه، ففوض السلطان نورالدين النقابة وما كان بيده من الولايات إلى ولده، واشتغل بتجهيز والده، وترتيب أكفانه، وحفر له قبراً، فاتفق أن عافاه الله، وانطرح ولده مريضاً، فمات في اليوم الخامس، فجهز بذلك الجهاز، ودفن بذلك القبر الذي حفره لوالده. اهـ

الفائدة الستون: عطس الميت فمات المغسل!

ذكر العلامة بدر الدين الأسدي في كتابه الكواكب الدرية في السيرة النبوية (ص ١١٠): أن رجلاً صالحاً من أهل باب الأزج شرقي دمشق مات، فتودي للصلاة عليه بمدرسة الشيخ عبد القادر فلما أريد تغسيله عطس وعاش وشهق المغسل فمات. اهـ

الفائدة الحادية والستون: ذكاء أعرابي

قال العلامة ابن الجوزي في كتابه الأذكياء (ص ٩٠):

ولي أعرابي البحرين، فجمع يهودها وقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ قالوا: نحن قتلناه وصلبناه. قال: فقال الإعرابي: لا جرم. فهل أديتم ديتة؟ فقالوا: لا. فقال: والله لا تخرجون من عندي حتى تؤدوا إليّ ديتة! فما خرجوا حتى دفعوها له. اهـ

الفائدة الثانية والستون: أبيات كان السلف يستحبون أن يتمثلوا بها عند الفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٤ / ٩):

وقال ابن عيينة: عن خلف بن حوشب: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن، قال امرؤ القيس:

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء ينكر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقبيل
اه

الفائدة الثالثة والستون: من غلو الخوارج

قال الإمام اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم (٢٣١٧).

قال أبو العباس الأصم رحمه الله:

طاف خارجيان بالبيت فقال أحدهما لصاحبه: لا يدخل الجنة من هذا الخلق غيري وغيرك. فقال صاحبه: جنة عرضها السموات والأرض بُنيت لي ولك؟! قال: نعم. فقال: هي لك. وترك رأيه. اه

الفائدة الرابعة والستون: إذا كثر الطاغون أرسل الله الطاعون

قال الزمخشري في الكلم النوابع (ص ٦٩):

إذا كثر الطَّاغُونَ أرسلَ اللهُ الطَّاغُونَ، ما استَهَانَ قوم بالدين إلا حاق بهم الهوان ونفاهم الزمان كما ينفى الزَّوَانُ. اه

قال ابن منظور في لسان العرب (٢٠٠ / ١٣):

والزوان: ما يخرج من الطعام فيرمى به. اه

الفائدة الخامسة والستون: العلامة الأنصاري ينصف أهل اليمن

قال العلامة المحدث حماد الأنصاري:

أهل اليمن هم العرب حقاً، ولا نظير لهم في الأخلاق، وما وصفهم به النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: "الإيمان يمان، والحكمة يمانية" لم يوصف به عربي قط. ثم قال الوالد: وترى الزيدي الذي يخالفك في الاعتقاد يتعامل معك أحسن معاملة". اهـ

المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري **رَحِمَهُ اللهُ** (٢/ ٦٩٣).

وقال **رَحِمَهُ اللهُ** (٢/ ٧٥٥): ما خدم علم الحديث في القرن الحادي عشر والثاني عشر إلا أهل اليمن، وعلى رأسهم الشوكاني المحدث الكبير، الذي خدم الحديث خدمة لا مثيل لها في ذلك الزمن. اهـ

الفائدة السادسة والستون: علماء كبار من أئمة الإسلام يمدحون كتبهم

قال الإمام الشوكاني **رَحِمَهُ اللهُ** في بداية كتابه فتح القدير (١/ ١٥):

فهذا التفسير، وإن كبر حجمه، فقد كثر علمه، وتوفر من التحقيق قسمه، وأصاب غرض الحق سهمه، واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد، مع زوائد فوائد وقواعد شوارد، فإن أحببت أن تعتبر صحة هذا؛ فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة، انظر تفاسير المعتمدين على الرواية، ثم ارجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية، ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين، فعند ذلك يسفر الصبح لذي عينين، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو لب اللباب، وعجب العجاب، وذخيرة الطلاب، ونهاية مأرب الألباب. وقد سميته: «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير». اهـ

وقال السمين الحلبي **رَحِمَهُ اللهُ** المتوفى سنة (٧٥٦هـ) عن كتابه الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:

وهذا التصنيف في الحقيقة نتيجة عمري وذخيرة دهري؛ فإنه لبُّ كلام أهل هذه العلوم. اهـ
الشاملة: أرشيف ملتقى أهل التفسير

وقال العلامة محمد بن يوسف الصالحي المتوفى سنة (٩٤٢هـ) في كتابه سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٣-٥):

فهذا كتاب اقتضفته من أكثر من ثلاثمائة كتاب، وتحريته فيه الصواب ... وسميت هذا الكتاب: «سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد».

وإذا تأملت هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمري وذخيرة دهري، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يمنّ عليّ بالنظر إليه في دار النعيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقبل الشروع في مقاصد الكتاب أثبت ما فيه من الأبواب، وهي نحو ألف باب. والله الهادي للصواب. اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٧٤) في الكلام على مبحث القياس:

قد أتينا على ذكر فصول نافعة وأصول جامعة في تقرير القياس والاحتجاج به، لعلك لا تظفر بها في غير هذا الكتاب. اهـ

وقال في آخر البحث (٢/ ١٩٩):

وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد، وذكرنا من مأخذهما وحجج أصحابهما وما لهم وعليهم من المنقول والمعقول ما لا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من أولها إلى آخرها، ولا يظفر به في غير هذا الكتاب أبداً، وذلك بحول الله وقوته ومعونته وفتحته، فله الحمد والمنة، وما كان فيه من صواب فمن الله، هو المان به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وليس الله ورسوله ودينه في شيء منه، وبالله التوفيق. اهـ

وقال رحمه الله عقب بحثه لمسألة الاستثناء في الكلام (٤/ ٦٢):

وهذا بعض ما يتعلق بمخرج الاستثناء، ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب. اهـ

وقال عن كتابه حادي الأرواح كما في مقدمته (ص ٥٠):

فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التي لا تظفر بها في غير هذا الكتاب البتة، ونحن اختصرنا الكلام في ذلك، ولو بسطناه لقام منه سفر ضخمة، والله المستعان وعليه التكلان وهو الموفق للصواب. اهـ

الفائدة السابعة والستون: المنصور والطاعون

خطب المنصور يوماً بالشام، فقال: أيها الناس، ينبغي لكم أن تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم؛ فإني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم.

فقال أعرابي: إن الله أكرم من أن يجمعك أنت والطاعون علينا. اهـ نواتر الخلفاء (ص ٩٣)

الفائدة الثامنة والستون: عامة الطواعين تقع في الربيع وترتفع في أول الصيف

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في كتابه بذل الماعون في فضل الطاعون (ص ٣٦٩)

عامة الطواعين التي وقعت في بلاد المسلمين على مر التاريخ إنما تقع أثناء فصل الربيع ثم ترتفع في أول الصيف. اهـ

الفائدة التاسعة والستون: تزوج الإمام إسحاق بن راهويه امرأة؛ لأن عندها كتب الإمام الشافعي

قال أحمد بن سلمة بن عبد الله النيسابوري: تزوج إسحاق بن راهويه بمرأة رجل كان عنده كتب الشافعي وتوفي، لم يتزوج بها إلا لحال كتب الشافعي، فوضع جامع الكبير على كتاب الشافعي، ووضع جامع الصغير على جامع الثوري الصغير.

وقدم أبو إسماعيل الترمذي نيسابور، وكان عنده كتب الشافعي عن البويطي، فقال له إسحاق بن راهويه: لي إليك حاجة، ألا تحدث بكتب الشافعي ما دمت بنيسابور، فأجابه إلى ذلك، فلم يحدث به حتى خرج^(٦).

^(٦) **إسناده صحيح.** أخرجه ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي» ص (١٢٤ - ١٢٥) قال: أخبرنا أحمد ابن سلمة بن عبد الله

النيسابوري، به. ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١٢٢/٩)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٢٦٦/١ - ٢٦٧)، وابن عساكر في

«تاريخ دمشق» (٣٦٩/٥١)، وأحمد بن سلمة النيسابوري ثقة حافظ، ترجم له الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٠٢/٥) بقوله:

قال الحافظ البيهقي **رَحِمَهُ اللهُ**: قلت: أراد إسحاق - مع عظم محله من العلم - أن يرتفع اسمه فيما وضع من الكتب في الفقه دون الشافعي، وأراد الله تعالى أن ترتفع كتب من كان يقول: ما أبالي لو أن الناس كتبوا كتبتي هذه ونظروا فيها وتفقهوا ثم لم ينسبوا إليَّ أبدًا.

فكان ما أراد الله **عَزَّوَجَلَّ** دون ما أراد غيره. اهـ

الفائدة السبعون: أردت شينا فصارت زينا

قال الحافظ الذهبي **رَحِمَهُ اللهُ** في تاريخ الإسلام (٦/ ٥٧٥):

قال الحاكم: سمعت أبا الطيب محمد بن أحمد الوراق: سمعت أبا بكر الفسوي: سمعت عثمان بن سعيد الدارمي يقول: قال لي رجل ممن يحسدني: ماذا كنت لولا العلم؟

فقلت: أردت شيناً فصار زيناً، سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت أبا معاوية يقول: قال الأعمش: لولا العلم لكنت بقالاً. وأنا لولا العلم لكنت بزازاً من بزازي سجستان. اهـ

الفائدة الحادية والسبعون: من أجمل ما قيل في خذلان الإخوة

قال أبو الحسن القيرواني:

فكانوها ولكن للأعادي	وإخواناً حسبتهمو دروعاً
فكانوها ولكن في فؤادي	وخلتُهُمْ سهاماً صائبات
لقد صدقوا ولكن عن ودادي	وقالوا قد صفت منا قلوب

أحد الحفاظ المتقنين، رافق مُسْلِمَ بن الحجاج في رحلته إلى قتيبة بن سعيد، وفي رحلته الثانية إلى البصرة، وكتب بانتخابه على الشيوخ، ثم جمع له مُسْلِمُ الصحيح على كتابه. اهـ

وقال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٧٣): **الْحَافِظُ، الْحُجَّةُ، الْعَدْلُ، الْمَأْمُونُ، الْمُجَوِّدُ، أَبُو الْفَضْلِ النَّيْسَابُورِيُّ الْبَزَّازُ، رَفِيقُ مُسْلِمٍ فِي الرَّحْلَةِ.** اهـ

الفائدة الثانية والسبعون: صورة مشرقة من تواضع العلماء لبعضهم

قال العلامة السفاريني في غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢٨٥/١)

كتب الإمام الشافعي رحمته الله للإمام أحمد رحمته الله ما لفظه:

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارني فبفضله أو زرتَه ففضله فالفضل في الحالين له

فأجابه الإمام أحمد رحمته الله:

إن زرتنا فبفضل منك تمنحنا أو نحن زرنا فللفضل الذي فيكما

فلا عدمننا كلا الحالين منك ولا نال الذي يتمنى فيك شانيكما

اهـ

الفائدة الثالثة والسبعون: عودوا فقد عاد لي الزمان

حكى أن بعض الحسدة وشئ بالوزير الكاتب ابن مقله، الذي انفرد في زمانه بعلو الخط وحسنه، وادعى انه غدر الملك في بعض الأمور، فأمر الملك بقطع يده، فلما فعل به هذا الأمر لزم بيته وانصرفت عنه الأصدقاء المحبون، ولم يأتَه أحد إلى نصف النهار.

فتبين للملك أن الكلام عليه باطل، فأمر بقتل الذي وشئ بابن مقله، وردّه إلى ما كان، فلما رأى إخوانه أن نعمته عادت إليه، عادوا له يهنونه وأقبلوا إليه يعتذرون، فانشد:

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا

عاداني الدهر نصف يوم فأنكشف الناس لي وبانوا

يا أيها المعرضون عني عودوا فقد عاد لي الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى. اهـ مجاني الأدب في حدائق العرب (٢٣٥/٣)، الدرر الكامنة

الفائدة الرابعة والسبعون: أعمالك جند لك أو عليك

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ٢١٣):

الأعمال جند للعبد وجند عليه ولا بد، فللعبد كل وقت سرية من نفسه تهزمه أو تنصره، فهو يمد عدوه بأعماله من حيث يظن أنه يقاتله بها، ويبعث إليه سرية تغزوه مع عدوه من حيث يظن أنه يغزو عدوه، فأعمال العبد تسوقه قسرا إلى مقتضاها من الخير والشر، والعبد لا يشعر أو يشعر ويتعالمى. اهـ

الفائدة الخامسة والسبعون: سبب إسلام يهودي عاقل

قال الإمام القرطبي رحمته الله في تفسيره (١٠ / ٥):

قال يحيى بن أكثم: كان للمأمون مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة. قال: فلما أن تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم. قال له: أسلم حتى أفل بك وأصنع. ووعدته. فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف. قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما. قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال: أأنت صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت مع ما تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشترت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشترت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى بن أكثم: فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الخبر فقال لي:

مصدق هذا في كتاب الله وحيه. قال قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله وحيه في التوراة

والإنجيل: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ المائدة: ٤٤، فجعل حفظه إليهم فضع، وقال ﷺ: ﴿

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩ فحفظه الله ﷺ علينا فلم يضع. اهـ

الفائدة السادسة والسبعون: إنما يقدر الإنسان عمله

قال شيخ الإسلام رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٤٣٨/٢٧):

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد آخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، وكان أبو الدرداء بدمشق وسلمان الفارسي بالعراق، فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدر أحدا، وإنما يقدر الرجل عمله، والمقام بالثغور للجهاد أفضل من سكنى الحرمين باتفاق العلماء. اهـ

الفائدة السابعة والسبعون: ما ضاق مكان بمتحابين

قال ابن الأنباري في نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص ٧٠):

قال الأثرم: دخل اليزيدي يوماً على الخليل وعنده جماعة، وهو جالس على وسادة، فأوسع له، فجلس معه اليزيدي على وسادته، فقال له اليزيدي: أحسبني قد ضيقت عليك! فقال الخليل: ما ضاق مكان على اثنين متحابين؛ والدنيا لا تسع اثنين متباغضين. اهـ

الفائدة الثامنة والسبعون: قسم الله الأعمال بين عباده كما قسم الأرزاق

قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (١٨٥ / ٧):

كتب عبد الله بن عبد العزيز العمري العابد كتاباً إلى مالك يحضه إلى الانفراد والعمل، ويرغب به عن الاجتماع إليه في العلم، فكتب إليه مالك: إن الله ﷻ قسم الأعمال كما قسم الأرزاق؛ فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة، ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم له والسلام. اهـ

الفائدة التاسعة والسبعون: لا يجتمع مع القتال وباء في قطر واحد

قال العلامة المناوي رحمه الله في فيض القدير (٦/٤٣٩):

الوباء مرض عام وقد جرت العادة الإلهية أنه لا يجتمع مع القتال بالسيف في قطر واحد؛ فإن وقع الوباء في قطر لا يقع السيف معه وعكسه، والجراد إذا وقع بأرض لا نبات للزرع معه؛ لأنه يجرّد الأرض بأكله ما فيها، فتصير جردا لا نبات فيها؛ ولذلك سمي جرادا. اهـ

الفائدة الثمانون: «وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب بهن ضنين»

قال الحموي في معجم الأدباء (٤/١٦٤٦):

وحدث أبو زكريا التبريزي قال: رأيت نسخة من «كتاب الجمهرة» لابن دريد، باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي، وحملها إلى تبريز، فنسخت أنا منها نسخة، فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها
فقد طال شوقي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبعتها
ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصيبة
صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة
مقالة مشوي الفؤاد حزين
«وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين»

فأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال: لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه، وكان الفالي قد مات.

قال المؤلف: والبيت الأخير من هذه الأبيات تضمنين قاله أعرابي فيما ذكره الزبير بن بكار عن يوسف بن عياش قال: ابتاع حمزة بن عبد الله بن الزبير جملاً من أعرابي بخمسين ديناراً، ثم نقده

ثمنه، فجعل الأعرابي ينظر إلى الجمل ويقول:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين

فقال له حمزة: خذ جملك، والدنانير لك، فانصرف بجمله وبالدنانير. اهـ

الفائدة الحادية والثمانون: الأخت مقبرة خزيمة يرجى الإفادة!

بعد ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م، وبعد أن تولى القاضي عبد الرحمن الإرياني رئاسة الجمهورية، أصدر قرارا يقضي بكفالة أسر شهداء ثورة سبتمبر، وكان الناس من المشايخ والأعيان يأتون إليه في القصر الجمهوري لكي يعتمد لهم الرئيس رعاياهم من الشهداء.

أحد أبناء القبائل شاهد ذلك الإقبال، فذهب معهم إلى باب مكتب الرئيس، وكان قد فهم أن الشهداء يمنحون راتبا شهريا، ففرح القبيلي بذلك، ولمح من بعيد ما الذي يُكتب في طلب ذلك، فكتب للرئيس تقديمًا نصه:

فضيلة القاضي / عبد الرحمن الإرياني حفظكم الله ...

نطلب منكم ان تمنحوني راتبا شهريا؛ لكوني أحد شهداء الثورة، ولكم الشكر.

مقدم الطلب:

أخوكم الشهيد فلان الفلاني.

قرأ الرئيس الإرياني التقديم فذهل! ثم سأله: ما اسم الشهيد؟! وما صلة قرابتك به؟!!

فقال له: أنا الشهيد يا سيدي الرئيس.

فضحك الرئيس وكتب في راس قائمة التقديم ما يلي:

الأخت مقبرة خزيمة حياكم الله...

أفيدونا مشكورين ما سبب رجوع المذكور من لديكم؟ اهـ

مقبرة خزيمة: مقبرة مشهورة في مدينة صنعاء.

الفائدة الثانية والثمانون: قل للذي بصروف الدهر عيرنا

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١١/ ٣٤٨):

وقد كان شمس المعالي قابوس عالما فاضلا أديبا شاعرا، فمن شعره قوله:
قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن نشبت أيدي الخطوب بنا ومسنا من توالي صرفها ضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ومن مستجاد شعره قوله:
خطرات ذكرك تستثير مودتي فأحس منها في الفؤاد ديبا
لا عضو لي إلا وفيه صباية وكأن أعضائي خلقن قلوبا
اهـ

الفائدة الثالثة والثمانون: الرشيد بين الغزو والحج

كان هارون الرشيد يقضي غالب سني خلافته بين الغزو والحج حتى قال فيه أبو المعلى الكلابي:
فمن يطلب لقاءك أو يردده فبالحرمين أو أقصى الثغور

البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٠٣/١٠).

الفائدة الرابعة والثمانون: العالم لو خالفك فإنه يعذرك والجاهل يبدعك أو يكفرك

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٣٨٨/٥):
فإذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان
ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الألفة، ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرك، والجاهل الظالم
يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بلا حجة، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة، وسيرته
الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب، فإن الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل

العلم، والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم . انتهى

الفائدة الخامسة والثمانون: هذا الوقت سوف يمضي

طلب أحد ملوك الهند من وزير له أن ينقش على خاتمه عبارة إذا قرأها وهو حزين فرح، وإذا قرأها وهو مسرور حزن، فنقش الوزير على خاتمه: "هذا الوقت سوف يمضي"

الفائدة السادسة والثمانون: اختلاط الرجال بالنساء أصل الطاعون وأصل كل بلاء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الطرق الحكمية (ص ٢٣٩):

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة ولما اختلط البغايا بعسكر موسى، وفشت فيهم الفاحشة أرسل الله إليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفاً، والقصة مشهورة في كتب التفاسير.

فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا، بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشى بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية - قبل الدين - لكانوا أشد شيء منعاً لذلك.

قال عبد الله بن مسعود رضي عنه: "إذا ظهر الزنا في قرية أذن الله بهلاكها". اهـ

الفائدة السابعة والثمانون: من عجائب الطاعون والوباء

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٣/٢٦) في أحداث سنة ٥٩٧هـ:

فيها اشتد الغلاء بأرض مصر جدا، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء، ثم أعقبه فناء عظيم، حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحواً من مائتي ألف وعشرين ألف ميت، وأكلت الكلاب والميتات فيها بمصر، وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير، يشوى الصغير والداه ويأكلانه، وكثر هذا في الناس جدا حتى صار لا ينكر بينهم، فلما فرغت الأطفال والميتات غلب القوى الضعيف فذبحه وأكله، وكان الرجل يحتال

على الفقير فيأتي به ليطعمه أو ليعطيه شيئاً ثم يذبحه ويأكله، وكان أحدهم يذبح امرأته ويأكلها، وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى، بل يعذر بعضهم بعضاً، ووجد عند بعضهم أربعمئة رأس، وهلك كثير من الأطباء الذين استدعون إلى المرضى، فكانوا يُذبحون ويؤكلون، كان الرجل يستدعى الطبيب ثم يذبحه ويأكله، وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً - وكان الرجل موسراً من أهل المال - فذهب الطبيب معه على وجل وخوف، فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق، ويذكر الله ويسبحه، ويكثر من ذلك، فارتاب به الطبيب وتخيل منه، ومع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه حتى دخل داره، فإذا هي خربة، فارتاب الطبيب أيضاً فخرج صاحبه فقال له: ومع هذا البطء جئت لنا بصيد، فلما سمعها الطبيب هرب فخرجاً خلفه سراعاً فما خلص إلا بعد جهد وشرا.

وفيها وقع وباء شديد ببلاد عنزة بين الحجاز واليمن، وكانوا عشرين قرية، فبادت منها ثمانى عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها، ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته، نعوذ بالله من بأس الله وعذابه وغضبه وعقابه، أما القريتان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد، ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم، بل هم على حالهم لم يفقد منهم أحد، فسبحان الحكيم العليم!

اهـ

الفائدة الثامنة والثمانون: دية الذنب عندنا الاعتذار

قال العلامة ابن مفلح رحمته الله في الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/٣٠٢):

قال الحسن بن علي: لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر إلي في أذني الأخرى لقبلت عذره.

ومن النظم في معناه:

قيل لي قد أساء إليك فلان وقعود الفتى على الضيم عار

قلت قد جاءنا فأحدث عذرا دية الذنب عندنا الاعتذار

اهـ

الفائدة التاسعة والثمانون: لا يقنت لدفع الوباء

قال ابن مفلح رحمته الله في الفروع (٢/ ٣٦٧):

ويتوجه ألا يقنت لدفع الوباء في الأظهر؛ لأنه لم يثبت القنوت في طاعون عمواس، ولا في غيره، ولأنه شهادة للأخيار، فلا يسأل رفعه. اهـ

الفائدة التسعون: الأمراض مواسم العقلاء

قال الإمام أحمد رحمته الله:

الأمراض مواسم العقلاء، يستدركون بها ما فات من فوارطهم وزلاتهم إن كانوا من أرباب الزلات، ويستزيدون من طاعتهم إن لم يكونوا أرباب زلات. اهـ الفنون لابن عقيل (١/ ٤١٣)

الفائدة الحادية والتسعون: كن لله كما يحب يكن لك كما تحب

عن سفيان قال: قال داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: إلهي! كن لابني سليمان من بعدي، كما كنت لي، قال: فأوحى الله وَعَلَيْهِ السَّلَامُ، إليه: يا داود، قل لابنك سليمان، يكن لي كما كنت لي، حتى أكون له كما كنت لك". آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٢٣٨)

الفائدة الثانية والتسعون: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٥):

قال إبراهيم بن ديزيل: لما دعي عفان للمحنة، كنت أخذاً بلجام حماره، فلما حضر، عرض عليه القول، فامتنع أن يجيب. فقيل له: يحبس عطاؤك - قال: وكان يعطى في كل شهر ألف درهم - فقال: ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ الذاريات: ٢٢، فلما رجع إلى داره، عدله نساؤه ومن في داره. قال: وكان في داره نحو أربعين إنساناً، فدق عليه دأق الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان! ثبتك الله كما ثبت الدين، وهذا في كل شهر.

اهـ

الفائدة الثالثة والتسعون: عمالكم أعمالكم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٣):

وتأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويمهم على ضعيفهم، ولم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه، كيف يسلط عليهم من يفعل بهم كفعالهم برعاياهم وضعفائهم سواء بسواء، وهذه سنة الله تعالى منذ قامت الدنيا إلى أن تطوى الأرض ويعيدها كما بدأها.

وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم بل كأن أعمالهم ظهرت في صور وولاتهم وملوكهم؛ فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها؛ منعت ملوكهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحق وبخلوا بها عليهم، وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم؛ أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكل ما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة؛ فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يولى على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم.

ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها؛ كانت وولاتهم كذلك، فلما شابوا شابت لهم الولاة، فحكمه الله تأبى أن يولى علينا في - مثل هذه الازمان - مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز، فضلا عن مثل أبي بكر وعمر؛ بل وولاتنا على قدرنا، وولاة من قبلنا على قدرهم، وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها. اهـ

الفائدة الرابعة والتسعون: ما يكاد يحب الاجتماع بالناس إلا فارغ

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص ٢٩١):

ما يكاد يحب الاجتماع بالناس إلا فارغ؛ لأن مشغول القلب بالحق يفر من الخلق، ومتى تمكن فراغ القلب من معرفة الحق، امتلأ بالخلق؛ فصار يعمل لهم ومن أجلهم، ويهلك بالرياء ولا

يعلم. اهـ

الفائدة الخامسة والتسعون: التاجر العالم الورع يونس بن عبيد

قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال (٣٢/ ٥٢١):

قال الأصمعي عن مؤمل بن إسماعيل: جاء رجل شامي إلى سوق الخزازين قال: عندك مطرف بأربعمائة؟

فقال يونس: عندنا بمائتين، ثم قام إلى الصلاة ورجع فوجد ابن أخيه قد باع المطرف من الشامي بأربعمائة. فقال يونس: يا عبد الله هذا المطرف الذي عرضت عليك بمائتين؛ فإن شئت خذه وخذ مائتين، وإن شئت فدعه فقال: أسألك بالله من أنت؟ وما اسمك؟ قال: يونس بن عبيد.

قال: فوالله أنا نكون في نحر العدو، فإذا اشتد علينا الأمر قلنا: اللهم رب يونس فرج عنا؛ فيفرج عنا. فقال يونس: سبحان الله! سبحان الله! اهـ

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في السير (٦/ ٣٨٥): إسنادها مرسل. اهـ

الفائدة السادسة والتسعون: من بديع الاستنباطات

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره (٥/ ٤٢٧):

قال مكحول: أربع من كن فيه كن له، وثلاث من كن فيه كن عليه:

فالأربع اللاتي له: فالشكر والإيمان والدعاء والاستغفار، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ

إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ ﴾ النساء: ١٤٧، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ

مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣٣) الأنفال: ٣٣، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْزُبُ أَيْكُمْ رَّبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾

الفرقان: ٧٧.

وأما الثلاث اللاتي عليه: فالمكر والبغي والنكث، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ

﴿ الْفَتْح: ١٠، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۗ ﴾ فاطر: ٤٣، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ

أَنْفُسِكُمْ ۗ ﴾ يونس: ٢٣. اهـ

الفائدة السابعة والتسعون: آيات جوامع

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٧/ ٩٧):

قال ابن مسعود: إن أعظم آية في كتاب الله **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** البقرة: ٢٥٥، وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾** النحل: ٩٠، وإن أكثر آية في القرآن فرجا في سورة الزمر **﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾** الزمر: ٥٣، وإن أشد آية في كتاب الله **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾** الطلاق: ٢-٣. اهـ

الفائدة الثامنة والتسعون: من توكل على الله كفاه

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الموافقات (١/ ٣٣٠):

وحكى عياض عن الحسن بن نصر السوسي - من فقهاء المالكية - أن ابنه قال له في سنة غلا فيها السعر: يا أبت! اشتر طعاما؛ فإني أرى السعر قد غلا فأمر ببيع ما كان في داره من الطعام، ثم قال لابنه: لست من المتوكلين على الله، وأنت قليل اليقين، كأن القمح إذا كان عند أبيك ينجيك من قضاء الله عليك! من توكل على الله؛ كفاه الله. اهـ

ثم قال الشاطبي رحمه الله (ص: ٢٣١): فمن تحقق بأن الخروج عن السبب كالدخول فيه بالنسبة إلى ضمان الله تعالى الرزق؛ صح أن يقال: إنه لا يجب عليه التسبب فيه ولذلك نجد أصحاب الأحوال يركبون الأحوال، ويقتحمون الأخطار، ويلقون بأيديهم إلى ما هو عند غيرهم تهلكة؛ فلا يكون كذلك، بناء على أن ما هم فيه من مواطن الغرر وأسباب الهلكة يستوي مع ما هو عندنا من مواطن الأمان وأسباب النجاة. اهـ

الفائدة التاسعة والتسعون: لقاء أبي حيان مع شيخ الإسلام ابن تيمية

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (١/ ١٧٧):

قال الشهاب ابن فضل الله: لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة سبعمائة نزل عند عمي شرف الدين، وحض أهل المملكة على الجهاد، فأغلظ القول للسلطان والأمراء، ورتبوا له

في مقر إقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة طعام، فلم يقبل شيئاً من ذلك، وأرسل له السلطان بقجة قماش فردها. قال: ثم حضر عنده شيخنا أبو حيان، فقال: ما رأيت عيناى مثل هذا الرجل، ثم مدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديها وأنشده إياها:

لما أتانا تقي الدين لاح لنا
داع إلى الله فرد ما له وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا
خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا
بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا
مقام سيد تيم إذ عصت مضر
وأظهر الحق إذ آثاره اندرست
وأحمد الشر إذ طارت له شرر
كنا نحدث عن حبر يجيء بها
أنت الإمام الذي قد كان ينتظر

قال: ثم دار بينهما كلام، فجرى ذكر سيوييه، فأغلظ ابن تيمية القول في سيوييه؛ فنافره أبو حيان وقطعه بسببه، ثم عاد ذاماً له، وصير ذلك ذنباً لا يغفر.

قال وحج ابن المحب سنة ٣٤، فسمع من أبي حيان أناشيد، فقرأ عليه هذه الأبيات، فقال: قد كسطنها من ديواني، ولا أذكره بخير. فسأله عن السبب في ذلك فقال: ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيوييه فقال: يفسر سيوييه. قال أبو حيان: وهذا لا يستحق الخطاب.

ويقال إن ابن تيمية قال له: ما كان سيوييه نبي النحو، ولا كان معصوماً؛ بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً ما تفهمها أنت. فكان ذلك سبب مقاطعته إياه، وذكره في تفسيره البحر بكل سوء، وكذلك في مختصره النهر. اهـ

الفائدة المئة: الحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام يترجم لشيخه شيخ الإسلام ترجمة فيها عبر

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (١/ ١٧٥):

قال الذهبي ما ملخصه: كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجع، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه.

قال: وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضارا للمتون وعزوها منه، كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة وعين مفتوحة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه.

وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه، هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس، ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد بل أكثر، وكان قوالا بالحق لا يأخذه في الله لومة لائم.

قال: ومن خالطه وعرفه فقد ينسبني إلى التقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه، وقد أوديت من الفريقين: من أصحابه وأضداده، وكان أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، وكأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً سريع القراءة، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم.

قال: ولم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية؛ فإنه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمت الدين بشرا من البشر: تعتريه حدة في البحث وغضب وشظف للخصم؛ تزرع له عداوة في النفوس، وإلا لو لطف خصومه لكان كلمة إجماع؛ فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بشنوفه، مقرون بندور خطئه، وأنه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالا، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك. اهـ

الفائدة الواحدة بعد المئة: محال أن يرجع عن مذهب أهل الظاهر من علق بذهنه

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في الدرر الكامنة (٦/ ٥٩): عن أبي حيان الأندلسي:

وكان ظاهريا، وانتمى إلى الشافعية، واختصر المنهاج، وكان أبو البقاء يقول إنه لم يزل ظاهريا.

قلت: كان أبو حيان يقول: محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه. اهـ
وقال عنه ص ٦٥:

وكان يفتخر بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم، ويقول: أوصيك! احفظ دراهمك ودع: يقال بخيل،
ولا تحتاج إلى الأرزال. اهـ

الفائدة الثانية بعد المئة: ما غرك بربك الكريم؟

قال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره (٢١٩ / ٥):

قيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة فقال: يا فضيل ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت
تقول؟ قال: أقول غرني ستورك المرخاة.

وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني بين يديه فقال: ما غرك بي؟ قلت: غرني بك برك بي سالفًا وأنفاً.

وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت: غرني بك كرم الكريم.

قال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته؛ كأنه لقنه الإجابة حتى
يقول: غرني كرم الكريم. اهـ

الفائدة الثالثة بعد المئة: من زينة الدنيا أن يقول الرجل: حدثنا مالك.

قال العلامة ابن فرحون رحمه الله في الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١ / ١١٤):

قال بشر الحافي: إن من زينة الدنيا أن يقول الرجل: حدثنا مالك.

وقال القعني: ما أحسب بلغ مالك ما بلغ إلا بسريرة كانت بينه وبين الله تعالى؛ رأيته يقام بين يديه
الرجل كما يقام بين يدي الأمير. اهـ

الفائدة الرابعة بعد المئة: قصة أبي العيناء مع غلامه: طرفة وعبرة

ذكر الإمام الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤ / ٢٨٤) في ترجمة محمد بن القاسم أبو العيناء:

وساق إسناده إلى أبي بكر الصولي، عن أبي العيناء، قال: كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي
عنها، أني مررت بسوق النخاسين يوماً، فرأيت غلاماً ينادي عليه، وقد بلغ ثلاثين ديناراً، وهو
يساوي ثلاث مائة دينار، فاشتريته وكنت أبني داراً، فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على

الصناع، فجاءني بعد أيام يسيرة، فقال: قد نفذت النفقة.

فقلت: هات حسابك، فرفع حسابا بعشرة دنانير.

قلت: فأين الباقي؟ قال: اشترت به ثوبا مصمتا وقطعته.

قلت: ومن أمرك بهذا؟

فقال: يا مولاي لا تعجل؛ فإن أهل المروءات والأقدار لا يعيبون عليّ غلمانهم إذا فعلوا فعلا يعود بالدين عليّ مواليتهم.

فقلت في نفسي: أنا اشترت الأصمعي ولم أعلم؟!!

قال: وكانت في نفسي امرأة أردت أن أتزوجها سرا من ابنة عمي، فقلت له يوما: أفيك خير؟

قال: أي لعمرى. فأطلعتة عليّ الخبر، فقال أنا نعم العون لك.

فتزوجت المرأة ودفعت إليه دينارا، فقلت له: اشتر لنا كذا وكذا ويكون فيما تشريه سمك هازبي.

فمضى ورجع وقد اشترى ما أردت، إلا أنه اشترى سمكا مارماهيّ فغازني، فقلت له: أليس

أمرتك أن تشتري هازبي؟!!

قال: بلى، ولكني رأيت بقراط، يقول: إن الهازبي يولد السوداء، ويصف المارماهيّ ويقول إنه أقل

غائلة.

فقلت له: يا ابن الفاعلة! أنا لم أعلم أني اشترت جالينوس! وقمت إليه فضربته عشر مقارع، فلما

فرغت من ضربه أخذني وأخذ المقرعة فضربني سبع مقارع، وقال: يا مولاي الأدب ثلاث،

والسبع فضل، ولذلك قصاص، فضربتك هذه السبع المقارع خوفا عليك من القصاص يوم

القيامة.

قال: فغازني جدا! فرميتة فشججته، فمضى من وقته إلى ابنة عمي، فقال لها: يا مولاتي إن الدين

النصيحة، وقد قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: " من غشنا فليس منا " وأنا أعلمك يا مولاتي أن مولاي

قد تزوج واستكتمني، فلما قلت له: لا بد من تعريف مولاتي الخبر ضربني بالمقارع وشجني.

فمنعتني بنت عمي من دخول الدار، وحالت بيني وبين ما فيها، ووقعنا في تخليط، فلم أر الأمر

يصلح إلا بتطليق المرأة التي تزوجتها، وصلح أمري مع ابنة عمي، وسمت الغلام: الناصح؛ فلم

يكن يتهيأ لي أن أكلمه، فقلت: أعتقه وأستريح فلعله أن يمضي عني إلى النار.
فلما أعتقته لزمني، وقال: الآن وجب حقك علي، ثم إنه أراد الحج فجهزته وزودته وخرج، فغاب
عني عشرين يوماً ورجع.

فقلت له: لم رجعت؟ قال: قطع الطريق، وفكرت فإذا الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ
أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران: ٩٧، فكنت غير مستطيع، وفكرت فإذا حقك أوجب فرجعت.
ثم أراد الغزو فجهزته أيضاً لذلك وشخص، فلما غاب عني بعث كل ما أملكه بالبصرة من عقار
وغيره، وخرجت عنها خوفاً من أن يرجع. اهـ وانظر لسان الميزان للحافظ ابن حجر رحمته الله
(٥/٣٤٤).

الفائدة الخامسة بعد المئة: من خصائص العالم الراسخ

قال الإمام الشاطبي رحمته الله في الموافقات (٥/٢٣٣)، في خصائص العالم الراسخ:
أنه ناظرٌ في المآلات قبل الجواب عن السؤالات. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٢٠/٥٤):
كما يقال: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر
الشرين. وينشد:
إن اللبيب إذا بدا من جسمه مرضان مختلفان داوى الأخطرا

الفائدة السادسة بعد المئة: من صور الورع الممدوح والورع المذموم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في جامع الرسائل لابن تيمية (٢/١٤١):
وكذلك من الورع الاحتياط بفعل ما يُشكُّ في وجوبه، لكن على هذا الوجه، وتمام الورع أن يعلم
الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها،
وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية
والمفسدة الشرعية؛ فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع، كمن يدع الجهاد

مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعاً، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة الصادق وأخذ علم العالم؛ لما في صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع. اهـ

وقال عليه السلام كما في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٧):

فالواجب إنما هو الأرضى من الموجود، والغالب أنه لا يوجد كامل؛ فيفعل خير الخيرين ويدفع شر الشرين؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول: أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يفرحون بانتصار الروم والنصارى على المجوس وكلاهما كافر؛ لأن أحد الصنفين أقرب إلى الإسلام، وأنزل الله في ذلك سورة الروم لما اقتتل الروم وفارس، والقصة مشهورة.

وكذلك يوسف كان نائباً لفرعون مصر، وهو وقومه مشركون، وفعل من العدل والخير ما قدر عليه، ودعاهم إلى الإيمان بحسب الإمكان. اهـ

الفائدة السابعة بعد المئة: ذنوب الخلوات تمحو محاسن ذكرك في الجلوات

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في صيد الخاطر (ص ١٤٨):

ورأيت أقواماً من المتتسبين إلى العلم، أهملوا نظر الحق صلى الله عليه وسلم إليهم في الخلوات، فمحا محاسن ذكركم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلى لقاءهم.

فالله الله! في مراقبة الحق صلى الله عليه وسلم؛ فإن ميزان عدله تبين فيه الذرة، وجزاؤه مراصد للمخطئ، ولو بعد حين، وربما ظن أنه العفو، وإنما هو إمهال، وللذنوب عواقب سيئة.

فالله الله! الخلوات الخلوات! البواطن البواطن! النيات النيات! فإن عليك من الله عينا ناظرة! وإياكم والاعتذار بحلمه وكرمه، فكم استدرج! وكونوا على مراقبة الخطايا مجتهدين في محوها، وما شيء ينفع كالتضرع مع الحمية عن الخطايا، وهذا فصل إذا تأمله المعامل لله تعالى نفعه.

ولقد قال بعض المراقبين لله تعالى: قدرت على لذة وليست بكبيرة، فنازعتني نفسي إليها، اعتماداً على صغرها، وعظم فضل الله تعالى وكرمه، فقلت: نفسي!... إن غلبت هذه فأنت أنت، وإذا أتيت هذه فمن أنت؟! وذكرتها حالة أقوام كانوا يفسحون لأنفسهم في مسامحة، كيف انطوت أذكارهم، وتمكنت عقوبة الإعراض عنهم منهم، فارعوت ورجعت عما همت به، والله الموفق. اهـ

وقال عليه السلام في صيد الخاطر (ص ١٨٥):

إن للخلوة تأثيرات تبيين في الجلوة، كم من مؤمن بالله عزَّجَلَّ، يحترمه عند الخلوات، يترك ما يشتهي حذرًا من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالاً له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودًا هندیًا على مجمر، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق، ولا يدرون أين هو.

وعلى قدر المجاهدة في ترك ما [يهوى] تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود، فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص، وألستهم تمدحه، ولا يعرفون لهم، ولا يقدرون على وصفه؛ لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأرايح بعد الموت على قدرها؛ فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى، ومنهم من يذكر مئة سنة، ثم يخفى ذكره وقبره، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبدًا.

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق، فإنه على قدر مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب، يفوح منه ريح الكراهة؛ فتمتقته القلوب، فإن قلَّ مقدار ما جنى، قلَّ ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه، وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه، لا يمدحونه ولا يذمونهم، ورب خال بذنب كان سبب وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة، وكأنه قيل له: ابق بما أثرت! فيبقى أبدًا في التخبيط.

فانظروا إخواني إلى المعاصي أثرت وعثرت.

قال أبو الدرداء رضي عنه: إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

فتلمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته، ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم، فإن الأعمال بالنية،
والجزاء على مقدار الإخلاص. اهـ

الفائدة الثامنة بعد المئة: الوباء العظيم والفناء الكبير والغلاء المخيف

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في تاريخ الإسلام (٢٩ / ٣٠) في أحداث سنة تسع وأربعين وأربعمائة:
وفيها كان الجهد والجوع ببغداد حتى أكلوا الكلاب والحيث، وعظم الوباء، فكانوا يحفرون
الحفائر ويلقون فيها الموتى ويطمونهم وأما بخارى وسمرقند وتلك الديار، فكان الوباء بها لا يُحد
ولا يوصف، بل يُستحى من ذكره، حتى قيل: إنه مات ببخارى وأعمالها في الوباء ألف ألف
وستمائة ألف نسمة. اهـ

وقال رحمته الله في تاريخ الإسلام (١٦ / ١٥) في أحداث سنة ثمان عشرة ومئتين:
وفيها: وقع الوباء العظيم بمصر؛ فمات أكثرهم، وغلا السعر هذه السنة وبعض سنة تسع عشرة.
ولم تبق دار ولا قرية إلا مات أكثر أهلها ولم يبق بمصر رئيس ولا شريف مشهور. اهـ

وقال رحمته الله في تاريخ الإسلام (٢٣ / ٢٩) في أحداث سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة:
وورد الخبر بوباء عظيم بالهند وغزنة وأصبهان، وجرجان والري، ونواحي الجبل والموصل، وأن
ذلك زاد على مجاري العادة، وخرج من أصبهان فيه أربعون ألف جنازة، ومات في الموصل
بالجدرى أربعة آلاف صبي. اهـ

وقال رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٤٢):
وفي سنة ٤٤٨: كان بالأندلس القحط الذي ما سمع بمثله، ويسمونه الجوع الكبير، وكان بمصر
القحط والفناء.

وفي سنة تسع: تسلم نواب المستنصر حلب، وكان غلاء مفرط ببغداد وفناء، وأما بما وراء النهر
فتجاوز الوصف. اهـ

وقال رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤٣٨) فيما جرى سنة ٤٤٨هـ:

وكان القحط عظيما بمصر وبالأندلس، وما عهد قحط ولا وباء مثله بقرطبة، حتى بقيت المساجد مغلقة بلا مصل وسمي عام الجوع الكبير. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير أيضا في البداية والنهاية (١٢/٨٩):

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة: فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها، وأهلها موتى فيها، ثم صار المار في الطريق لا يلقى الواحد بعد الواحد، وأكل الناس الجيف والتنن من قلة الطعام، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضر، وشوى رجل صبية في الأتون وأكلها، وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمس أنفوس فاقتموه وأكلوه، وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان، وأحصي من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية، وأبوابا مغلقة، ووحشة وعدم أنس. حكاه ابن الجوزي.

قال: وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جدا. اهـ

وقال رحمته الله في البداية والنهاية (١٣/٤٥٥) في حوادث سنة خمس وتسعين وستمائة:

وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديدا جدا، وقد تفانى الناس إلا القليل، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفئام من الناس، والأسعار في غاية الغلاء، والأقوات في غاية القلة والغلاء، والموت عمال، فمات بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفا، ووقع غلاء بالشام فبلغت الغرارة إلى مائتين، وقدمت طائفة من التتر العويراتية لما بلغهم سلطنة كتبغا إلى الشام لأنه منهم، فتلقاهم الجيش بالرحب والسعة، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قراسنقر المنصوري، وجاء الخبر باشتداد الغلاء والفناء بمصر، حتى قيل إنه بيع الفروج بالإسكندرية بستة وثلاثين درهما، وبالقاهرة بتسعة عشر، والبيض كل ثلاثة بدرهم، وأفنيت الحمر والخيول والبغال والكلاب من أكل الناس لها، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا

أكلوه. اهـ

وقال المقرئ في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٦٥/٢):

لَمَّا عَمَّرَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُوبُ قَلْعَةَ الرُّوْضَةِ، وَصَارَ بِمِصْرَ عِدَّةَ أَدَارٍ جَلِيلَةٍ، وَأَسْوَاقٍ ضَخْمَةٍ، فَلَمَّا كَانَ غَلَاءَ مِصْرَ وَالْوَبَاءُ الْكَائِنُ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَتَبَ غَا سِتَّةَ وَتِسْعِينَ وَسِتْمِائَةَ، خَرِبَ كَثِيرٌ مِنْ مَسَاكِنِ مِصْرَ، وَتَرَجَعَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعِمَارَةِ إِلَى سِنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ، فَحَدَّثَ الْفَنَاءُ الْكَبِيرُ الَّذِي أَقْفَرَ مِنْهُ مَعْظَمُ دُورِ مِصْرَ وَخَرِبَتْ، ثُمَّ تَحَايَا النَّاسُ مِنْ بَعْدِ الْوَبَاءِ، وَصَارَ مَا يُحِيطُ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَمَا عَلَى شَطِّ النَّيْلِ عَامِرًا إِلَى سِنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ، فَشَرَقَتْ بِلَادُ مِصْرَ، وَحَدَّثَ الْوَبَاءُ بَعْدَ الْغَلَاءِ، فَخَرِبَ كَثِيرٌ مِنْ عَامِرِ مِصْرَ، وَلَمْ يَزَلْ يَخْرِبُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ إِلَى سِنَةِ تِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ، فَعِظُمَ الْخَرَابُ فِي خَطِّ زَقَاقِ الْقِنَادِيلِ وَخَطِّ النُّحَاسِينَ، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي هَدْمِ دُورِ مِصْرَ، وَبِيعَ أَنْقَاضُهَا، حَتَّى صَارَتْ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ ﴿وَتِلْكَ الْقَرْيَاتُ أَهْدَاكَ نَهْمٌ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف: ٥٩. اهـ

وقال أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة (١٥٠/١٤-١٥، بترقيم الشاملة آليا):

فِي سَنَةِ ١٣٤٦ مِيلَادِيَّةً نَكَبَتْ إِيطَالِيَا وَفُلُورَنَسَ، وَنَكَبَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ بِتِلْكَ الْكَارِثَةِ الْعَظِيمِي، الَّتِي تَعْرِفُ فِي الرِّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِالْوَبَاءِ الْأَكْبَرِ، وَفِي الرِّوَايَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِاسْمِ مِمَاثِلٍ هُوَ: الْفَنَاءُ الْكَبِيرُ، ذَلِكَ أَنَّ الْفَنَاءَ الْكَبِيرَ قَدْ اجْتَاكَ أُمَّمُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَعًا، وَحَمَلَتْ مِنْهَا إِلَى الْقُبْرِ عَشْرَاتُ الْمَلَائِكِينَ، وَعَصَفَ بِجَمِيعِ الْمَجْتَمَعَاتِ الزَّاهِرَةِ أَيْمًا عَصَفَ، وَبَسَطَ عَلَى الْعَالَمِ الْمَتَمَدَّنِ كُلَّهُ رِيحًا مِنَ الرَّهْبَةِ وَالرُّوعِ، وَقَدْ شَهِدَ بُوكَاشِيُو أَحْدَاثَ الْوَبَاءِ فِي فُلُورَنَسَ مِنْذُ بَدْئِهَا، وَتَرَكَ لَنَا عَنْهَا وَصْفًا مَرُوعًا مُؤَثِّرًا، وَإِلَيْكَ مَا يَقُولُهُ فِي أَصْلِ الْوَبَاءِ وَأَعْرَاضِهِ:

إِنَّهُ فِي سَنَةِ ١٣٤٨ مِيلَادِيَّةً حَلَّ الْوَبَاءُ الْفَاتِكُ بِمَدِينَةِ فُلُورَنَسَ الزَّاهِرَةِ، أَجْمَلَ الْمَدَنَ الْإِيطَالِيَّةَ، بَعْدَ أَنْ لَبِثَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَعْوَامٍ يَعْصَفُ بِالْمَشْرِقِ؛ إِمَّا لِتَفَاعُلِ الْكُوكَبِ وَالْأَجْرَامِ، وَإِمَّا لِغَضَبِ اللَّهِ الْحَقِّ لَمَّا لَمَّا يَرْتَكِبُهُ عِبَادُهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَلِأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَوَاعِقَ عِقَابِهِ، فَعَصَفَ بِكُتْلٍ مِنَ الْبَشَرِ لَا حَصْرَ

١ هذا من عقائد المشركين وإنما قدر ذلك وقضاه رب الكواكب والمشارك والمغرب سبحانه وتعالى .

لها، وانتقل الوباء مسرعاً من مكان إلى مكان حتى حل بالغرب يحمل الفزع والروع. . . وكانت أعراضه سواء بالنسبة للرجال أو النساء، فيظهر أولاً في شكل أورام تصيب الإبط أو أسفل البطن، ثم تنتشر في جميع أجزاء الجسم، ثم تتحول إلى بقع سوداء أو ممتقعة، تملأ الذراعين والفخذين، ثم سائر أعضاء الجسم، وكان المصاب يموت عادة في اليوم الثالث دون حمى ودون مضاعفات أخرى.

واجتاح هذا الفناء الكبير أمم الشرق والغرب معاً، فعاث في الأمم الإسلامية أيما عيث، وعصف بمجتمعاتها الغنية الأهلة، وسرى إلى جميع الأمم الأوربية، وبسط عليها رهبة الدمار والموت، وحمل من سكانها نحو الثلث في أشهر قلائل، وكان فتكه أشد ظهوراً، وأعمق أثراً في مجتمعات إيطاليا، وبخاصة في فلورنس التي كانت تتمتع يومئذ بحضارة زاهرة، وهنالك أفنى جيوشاً برمتها، وأهلك عدداً كبيراً من الأمراء والعظماء والقادة، ويقول لنا بوكاشيو: إنه استطال هنالك من مارس إلى يونيو سنة ١٣٤٨، وحمل من فلورنس وحدها مائة ألف إنسان)

ويصف لنا بوكاشيو أهوال الوباء ومناظره المروعة وصفاً ضافياً مؤثراً، فيقول: كان الناس يجتنبون بعضهم بعضاً، وقلما يتزاور الأقارب أو لا يتزاورون أبداً، وألقت الكارثة الرعب في قلوب الناس جميعاً، رجالاً ونساء، حتى أن الأخ كان ينبذ أخاه نبذ النواة، والأخت أخاها، والمرأة زوجها؛ بل أروع وأبعد عن التصديق أن الآباء والأمهات أضربوا عن رؤية الأبناء أو تعهدهم، كأنما ليسوا من ذويهم) ...

(بل لقد هجر الناس الجيران والأقارب والخدم، حتى اضطروا إلى ارتكاب عادات لم يسمع بها، من ذلك أن المرأة مهما كانت من الجمال أو النبل، إذا أصابها مرض واضطرت إلى استخدام رجل: شيخاً كان أو شاباً؛ فإنها تكشف له دون خجل كل أجزاء جسمها إذا اضطرتها ظروف

المرض، وربما كان ذلك هو السبب في انحلال الحشمة والحياء عند أولئك اللائي نجون)

ثم يقول: وكان يعنى بدفن الناس بادئ ذي بدء، فيلقى بهم دون احتفال في أول مقبرة، فلما اشتد الوباء كان الموتى يحملون جماعات، ويلقون في الطرق، وقد تموت أسر برمتها فلا يبقى منها إنسان، وأزواج وآباء معاً، ويلقى الجميع بلا تمييز في حفر كبيرة. اهـ

وقال المقرئ في السلوك لمعرفة دول الملوك (٧/ ٢٨٥) في أحداث سنة ٨٣٨:

هذا وقد شنع بعامة بلاد الحبشة الوباء العظيم، فمات فيه من المسلمين ومن النصراني عالم لا يحصى، حتى لقد بالغ القائل بأنه لم يبق ببلاد الحبشة أحد. اهـ

الفائدة التاسعة بعد المئة: طفيلي ذكي

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٢/ ٣٩) وساق إسناده إلى نصر بن علي الجهضمي قال: كان في جيراني رجل طفيلي، فكنت إذا دعيت إلى مدعاة ركب لركوبي، فإذا دخلنا الموضع أكرم من أجلي.

فاتخذ جعفر بن سليمان أمير البصرة دعوة، فدعيت فيها، فقلت في نفسي: والله إن جاء هذا الرجل معي لأخزينه، فلما ركب ركب لركوبي، ودخلت الدار فدخل معي وأكرم من أجلي، فلما حضرت المائدة قلت: حدثنا درست بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فأسقي وأكل حراما» قال: فقال الطفيلي: استحييت لك يا أبا عمرو، مثلك يتكلم بهذا الكلام على مائدة الأمير، ثم ما هنا أحد إلا وهو يظن أنك رميته بهذا الكلام، ثم لا تستحي أن تحدث عن درست! ودرست كذاب لا يحتج بحديثه، عن أبان بن طارق، وأبان كان صبيان المدينة يلعبون به، ولكن أين أنت مما حدثنا به أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة». قال نصر بن علي: فكأنني ألقمت حجرا، فلما خرجنا من الدار أنشأ الطفيلي يقول:

ومن ظن ممن يلاقي الحروب
بأن لا يصاب لقد ظن عجزا
اهـ

الفائدة العاشرة بعد المئة: خطورة الاعتراض على الأمر بالمعروف بأنه فضولي

قال العلامة الحصفكي الحنفي: فالقائل لمن يأمر بالمعروف: أنت فضولي يخشى عليه الكفر. اهـ
قال ابن عابدين في الشرح: لأن الأمر بالمعروف وكذا النهي عن المنكر مما يعني كل مسلم، وإنما

لم يكفر لاحتمال أنه لم يرد أن هذا فضول لا خير فيه، بل أراد أن أمرك لا يؤثر أو نحو ذلك. اه
الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (١٠٦/٥).

الفائدة الحادية عشرة بعد المئة: طواف بالبيت لا كطوافنا

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١٤/٥٣٥):

يقال: ختم الكتاني في الطواف اثني عشر ألف ختمة، وكان من الأولياء. اه

الفائدة الثانية عشرة بعد المئة: انتظار الفرج بالصبر عبادة فالبلاء لا يدوم

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله كما في مجموع رسائله (٣/١٥٥):

انتظار الفرج بالصبر عبادة؛ فإن البلاء لا يدوم.

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن الضر غير مؤبد

واصبر كما صبر الكرام فإنها نُوبٌ تنوب اليوم تكشف في غد

إذا غُمِسَ أعظم الناس بلاء في الدُّنيا في نعيم الجنة غمسة قيلَ له: هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مَرَبك
بؤس قط؟ قال: لا يارب.

يا نفس ما هي إلا صبر أيام كأن مدتها أضغاث أحلام

يا نفس جوزي عن الدُّنيا مبادرة وخل عنها فإن العيش قدام

اه

الفائدة الثالثة عشرة بعد المئة: حال بعض السلف مع المصائب

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله كما في مجموع رسائله (٣/١٥٥):

قال بعض السلف: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد الله إذ لم تكن أعظم

مما هي، وأحمد الله إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، وأحمده إذ لم يجعلها

في ديني. اه

الفائدة الرابعة عشرة بعد المئة: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ويسأله عن مسائل

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣ / ٣٠٠):
وقال شيخنا: كان يشكل عليّ أحيانا حال من أصلي عليه الجنائز، هل هو مؤمن أو منافق؟ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن مسائل عديدة منها هذه المسألة، فقال: يا أحمد! الشرط الشرط، أو قال: علق الدعاء بالشرط، وكذلك أرشد أمته صلى الله عليه وسلم إلى تعليق الدعاء بالحياة والموت بالشرط فقال: «لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحييني إذا كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي». وكذلك قوله في الحديث الآخر: «وإذا أردت بعبادك فتنة فتوفني إليك غير مفتون» وقال: «المسلمون عند شروطهم، إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا».

وتعليق العقود والفسوخ والتبرعات والالتزامات وغيرها بالشروط أمر قد تدعو إليه الضرورة أو الحاجة أو المصلحة؛ فلا يستغني عنه المكلف، وقد صح تعليق النظر بالشرط بالإجماع ونص الكتاب، وتعليق الضمان بالشرط بنص القرآن، وتعليق النكاح بالشرط في تزويج موسى بابنة صاحب مدين، وهو من أصح نكاح على وجه الأرض، ولم يأت في شريعتنا ما ينسخه، بل أتت مقررته له كقوله صلى الله عليه وسلم: "إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج"؛ فهذا صريح في أن حل الفروج بالنكاح قد يعلق على شرط، ونص الإمام أحمد على جواز تعليق النكاح بالشرط، وهذا هو الصحيح، كما يعلق الطلاق والجعالة والنذر وغيرها من العقود، وعلق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عقد المزارعة بالشرط، فكان يدفع أرضه إلى من يعمل عليها على أنه إن جاء عمر بالبذر فله كذا، وإن جاء العامل بالبذر فله كذا، ذكره البخاري، ولم يخالفه صاحب. اهـ

أقول: في ما ذكر عن شيخ الإسلام رحمته الله عبرة لمن اعتبر فقد كانت حياتهم عامرة بالعلم والعمل وبنام أحدهم ومشكلات المسائل تدور في رأسه، وإلى الله المشتكى من أحوالنا وأحوال أهل زماننا.

الفائدة الخامسة عشرة بعد المئة: طبقات الناس ثلاث ومنبع الشر والفتن في الطبقة الوسطى

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/٤٧٣) في ترجمة العلامة علي بن قاسم حنش:

ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه: الناس على طبقات ثلاث:

فالطبقة العالية: العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحق والباطل، وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن؛ لعلمهم بما عند بعضهم بعضا.

والطبقة السافلة: عامة على الفطرة، لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به، إن كان محقا كانوا مثله وإن كان مبطلا كانوا كذلك.

والطبقة المتوسطة: هي منشأ الشر، وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة، فإنهم إذا رأوا أحدا من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه - مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور - فوقفوا إليه سهام الترقيع، ونسبوه إلى كل قول شنيع، وغيروا فطر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق.

هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه، وقد صدق؛ فإن من تأمل ذلك وجده كذلك. اهـ

الفائدة السادسة عشرة بعد المئة: محدثو السلف ومنتسبو الخلف

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في تذكرة الحفاظ (٢/٨٦):

ثم ثقات الحفاظ ولعلنا قد أهملنا طائفة من نظرائهم؛ فإن المجلس الواحد - في هذا الوقت - كان يجتمع فيه أزيد من عشرة آلاف محبرة: يكتبون الآثار النبوية، ويعتنون بهذا الشأن، وبينهم نحو من مائتي إمام قد برزوا وتأهلوا للفتيا.

فلقد تفانى أصحاب الحديث وتلاشوا، وتبدل الناس بطلبة يهزأ بهم أعداء الحديث والسنة، ويسخرون منهم، وصار علماء العصر - في الغالب - عاكفين على التقليد في الفروع من غير تحرير لها، ومكبين على عقليات من حكمة الأوائل وآراء المتكلمين، من غير أن يتعقلوا أكثرها، فعم البلاء، واستحكمت الأهواء، ولاحت مبادئ رفع العلم وقبضه من الناس.

فرحم الله امرأً أقبل على شأنه، وقصر من لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه، وبكى على زمانه، وأدمن النظر في الصحيحين. وعبد الله قبل أن يبغته الأجل، اللهم فوق وارحم. اهـ

الفائدة السابعة عشرة بعد المئة: فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في تذكرة الحفاظ (١٠ / ٨):

ولا سبيل إلى أن يصير العارف - الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم - جهبذا إلا بإدمان الطلب، والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسهر، والتيقظ والفهم، مع التقوى والدين المتين والإنصاف، والتردد إلى مجالس العلماء، والتحري والإتقان، وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله عز وجل: ﴿ فَتَعْلَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، فإن أنست يا هذا من نفسك فهما وصدقا ودينا وورعا؛ وإلا فلا تتعن، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأيك والمذهب؛ فبالله لا تتعب، وإن عرفت إنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله؛ فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، فقد نصحتك، فعلم الحديث صلف، فأين علم الحديث؟! وأين أهله؟! كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب. اهـ

الفائدة الثامنة عشرة بعد المئة: ولو سمعنا كلام الأقران، بعضهم في بعض لاتسع الخرق

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (٤٩٦ / ٦) في ترجمة محمد بن اسحاق صاحب السير والمغازي:

^١ تاريخ الإسلام للذهبي (٧٥٨ / ٨) .

لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحنة وإحنة، وقد علم أن كثيرا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف.

وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك وصار كالنجم فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السير، وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن إلا فيما شذ فيه فإنه يعد منكرا هذا الذي عندي في حاله، والله أعلم. اهـ

وقال رضي الله عنه في سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٧٦ - ٢٧٨):

كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه، بل يطوى ولا يروى، كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه؛ لتصفو القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم.

وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف،

العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الحشر: ١٠؛ فالقوم

لهم سوابق، وأعمال مكفرة لما وقع منهم، وجهاد محاء، وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في

أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة، ونقطع بأن بعضهم أفضل من بعض، ونقطع بأن أبا بكر وعمر

أفضل الأمة، ثم تنمة العشرة المشهود لهم بالجنة، وحمزة وجعفر، ومعاذ وزيد، وأمّهات

المؤمنين، وبنات نبينا صلى الله عليه وسلم، وأهل بدر مع كونهم على مراتب.

ثم الأفضل بعدهم مثل: أبي الدرداء وسلمان الفارسي وابن عمر، وسائر أهل بيعة الرضوان،

الذين رضي الله عنهم بنص آية سورة الفتح، ثم عموم المهاجرين والأنصار، كخالد بن الوليد والعباس

وعبد الله بن عمرو وهذه الحلبة، ثم سائر من صحب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وجاهد معه أو حج

معه، أو سمع منه **رضي الله عنه** أجمعين وعن جميع صواحب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** المهاجرات

والمدينيات، وأم الفضل وأم هانئ الهاشمية، وسائر الصحبايات.

فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نخرج عليه ولا كرامة؛ فأكثره باطل وكذب

وافتراء؛ فدأب الروافض رواية الأباطيل أو رد ما في الصحاح والمسانيد، ومتى إفاقة من به

سكران؟!!

ثم قد تكلم خلق من التابعين بعضهم في بعض، وتحاربوا وجرت أمور لا يمكن شرحها؛ فلا فائدة

في بثها، ووقع في كتب التواريخ وكتب الجرح والتعديل أمور عجيبة، والعاقل خصم نفسه، ومن

حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، ولحوم العلماء مسمومة، وما نقل من ذلك لتبيين غلط العالم

وكثرة وهمه أو نقص حفظه؛ فليس من هذا النمط، بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن،

والحسن من الضعيف.

وإمامنا - يعني الشافعي - فبحمد الله ثبت في الحديث، حافظ لما وعى، عديم الغلط، موصوف

بالإتقان، متين الديانة، فمن نال منه بجهل وهوى - ممن علم أنه منافس له - فقد ظلم نفسه،

ومقتته العلماء، ولاح لكل حافظ تحامله، وجر الناس برجله، ومن أثنى عليه واعترف بإمامته

وإتقانه - وهم أهل العقد والحل قديما وحديثا - فقد أصابوا وأجملوا، وهدوا ووقفوا.

وأما أئمتنا اليوم وحكامنا، فإذا أعدموا ما وجد من قدح بهوى فقد يقال: أحسنوا ووقفوا،

وطاعتهم في ذلك مفترضة؛ لما قد رأوه من حسم مادة الباطل والشر، وبكل حال فالجهال

والضلال قد تكلموا في خيار الصحابة، وفي الحديث الثابت: "لا أحد أصبر على أذى يسمعه من

الله؛ إنهم ليدعون له ولدا، وإنه ليرزقهم ويعافهم"

وقد كنت وقفت على بعض كلام المغاربة في الإمام **رضي الله عنه**، فكانت فائدتي من ذلك تضعيف حال

من تعرض إلى الإمام والله الحمد. اهـ

وقال **رضي الله عنه** في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥٩):

قد كان أبو عبد الله بن مندة يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن، ونال أبو نعيم أيضا من أبي عبد الله في تاريخه، وقد عرف وَهْنُ كَلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض، نسأل الله السماح. اهـ

الفائدة التاسعة عشرة بعد المئة: لو أن كل إمام أخطأ بدعناه وهجرناه لما سلم لنا أحد

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣١):

ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه واتباعه السنة وكتابه في "التوحيد" مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة؛ فليعذر من تأول بعض الصفات. وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه. اهـ

وقال رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦):

قال الحافظ أبو عبد الله بن مندة في مسألة الإيمان: صرح محمد بن نصر في كتاب "الإيمان" بأن الإيمان مخلوق، وأن الإقرار والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق. ثم قال: وهجره على ذلك علماء وقته، وخالفه أئمة خراسان والعراق.

قلت: الخوض في ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يقال: الإيمان، والإقرار، والقراءة، والتلفظ بالقرآن غير مخلوق، فإن الله خلق العباد وأعمالهم، والإيمان: فقول وعمل، والقراءة والتلفظ: من كسب القارئ، والمقروء المفوظ: هو كلام الله ووحيه وتنزيله، وهو غير مخلوق، وكذلك كلمة الإيمان وهي قول "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق، والتكلم بها من فعلنا، وأفعالنا مخلوقة، ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل - خطأ مغفورا له - قمنا عليه، وبدعناه وهجرناه؛ لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن مندة، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة. اهـ

الفائدة العشرون بعد المئة: من تعنى نال ما تمنى

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام (٤/٦٤٨):

ولشريك - القاضي - مناقب جمعة، ولسنا نرى فيه العصمة، وقد بلغنا عنه أنه قال: ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة. اهـ

الفائدة الحادية والعشرون بعد المئة: إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في تاريخ الإسلام (١١/٢٠٤) في ترجمة ابن عقيل صاحب كتاب الفنون:

وقال: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم، وما خالطت لعباً قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم، وأنا في عشر الثمانين، أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجدّه وأنا ابن عشرين، وبلغت لاثنتي عشرة سنة، وأنا اليوم لا أرى نقصاً في خاطر والفكر والحفظ، وحدة النظر بالعين لرؤية الأهله الخفية، إلا أن القوة ضعيفة. اهـ

وقال رحمه الله في تاريخ الإسلام (١١/٢٠٤):

قلت: وكان إماماً مبرزاً، مناظراً كثير العلوم، له يد طولى في علم الكلام، وكان يتوقد ذكاء، له كتاب "الفنون" لم يصنف في الدنيا أكبر منه، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مائة يحكي فيه بحوثاً شريفة ومناظرات وتواريخ ونوادير، وما قد وقع له. اهـ

الفائدة الثانية والعشرون بعد المئة: لا ندعي العصمة في أئمة الجرح والتعديل ولكنهم أكثر الناس

صواباً

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (٩/١٢٩):

ونحن لا ندعي العصمة في أئمة الجرح والتعديل، لكن هم أكثر الناس صواباً، وأندرهم خطأ، وأشدّهم إنصافاً، وأبعدهم عن التحامل، وإذا اتفقوا على تعديل أو جرح فتمسك به، واعضض

عليه بناجذيك ولا تتجاوزته فتندم ومن شذ منهم فلا عبرة به.

فخل عنك العناء، وأعط القوس باريها، فوالله لولا الحفاظ الأكبر لخطبت الزنادقة على المنابر ولئن خطب خاطب من أهل البدع فإنما هو بسيف الإسلام وبلسان الشريعة وبجاه السنة، وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فنعوذ بالله من الخذلان.

ومن نادر ما شذ به ابن معين **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** كلامه في أحمد بن صالح، حافظ مصر فإنه تكلم فيه باجتهاده وشاهد منه ما يلينه باعتبار عدالته لا باعتبار إتقانه فإنه متقن ثبت ولكن عليه مآخذ في تيه وبأو كان يتعاطاه والله لا يحب كل مختال فخور، ولعله اطلع منه على حال في أيام شببية ابن صالح فتاب منه أو من بعضه ثم شاخ ولزم الخير، فلقيه البخاري والكبار واحتجوا به.

وأما كلام النسائي فيه فكلام موتور؛ لأنه آذى النسائي وطرده من مجلسه فقال فيه: ليس بثقة. قال الحسن بن عليل: حدثنا يحيى بن معين قال: أخطأ عفان في نيف وعشرين حديثاً، ما أعلمت بها أحداً، وأعلمته سرا، ولقد طلب إليّ خلف بن سالم أن أخبره بها فما عرفته، وكان يحب أن يجد عليه.

قال يحيى: ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته. وقال ابن الغلابي: قال يحيى: إني لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه. اهـ

الفائدة الثالثة والعشرون بعد المئة: لو قيل لحمد بن زيد إن القيامة غدا ما قدر أن يزيد في عمله شيئاً

قال الحافظ الذهبي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧-١٠٨):

قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحمد بن سلمة إنك تموت غدا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً.

قلت: كانت أوقاته معمورة بالتعب والأوراد.

وقال عفان: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير،
وقراءة القرآن والعمل لله تعالى منه.

وروى أحمد بن زهير عن يحيى، قال: إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة وحماد بن سلمة، فاتهمه على
الإسلام. وقال ابن المديني، وغيره: لم يكن في أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة.

قال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت،
كان مشغولا، إما أن يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي، قد قسم النهار على ذلك.

وقال محمد بن مطهر: سألت أحمد بن حنبل فقال: حماد بن سلمة عندنا من الثقات، ما نزداد فيه
كل يوم إلا بصيرة.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: حدثني أبي قال: كان حماد بن سلمة لا يحدث حتى يقرأ مائة آية،
نظرا في المصحف.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد.

قال سوار بن عبد الله: حدثنا أبي قال: كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه، فإذا ربح في ثوب حبة أو
حبتين، شد جونته، ولم يبع شيئا، فكنت أظن ذلك يقوته.

قال التبوذكي: سمعت حماد بن سلمة يقول: إن دعاك الأمير لتقرأ عليه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
الإخلاص: ١ فلا تأته.

قال إسحاق بن الطباع: سمعت حماد بن سلمة يقول: من طلب الحديث لغير الله تعالى مكربه. اهـ

الفائدة الرابعة والعشرون بعد المئة: طول الكلام في الخطب والمواعظ ينسي بعضه بعضا

قال الإمام ابن عبد البر رحمته الله في الاستذكار (٢/ ٣٦٣):

وأما قصر الخطبة فسنة مسنونة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بذلك ويفعله، وفي حديث
عمار بن ياسر: " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصر الخطبة، وكان يخطب بكلمات طيبات

قليلا، وقد كره التشدق والتفیهق^١، وأهل العلم يكرهون من المواعظ ما ينسي بعضه بعضا لطوله، ويستحبون من ذلك ما وقف عليه السامع الموعوظ فاعتبره بعد حفظه له، وذلك لا يكون إلا مع القلة.

وابن مسعود هذا هو القائل كان رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا. وأما تبدأ العمل الصالح على الهوى فهو النور والهدى، وآفة العقل الهوى، فمن علا على هواه عقله فقد نجا. اهـ

الفائدة الخامسة والعشرون بعد المئة: الحذر من تعبير أحد بذنب قد تاب منه

قال الحسن البصري **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: كانوا يقولون: من رمى أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه، لم يمت حتى يتليه الله به. اهـ، الصمت لابن أبي الدنيا (ص ١٧٠)

الفائدة السادسة والعشرون بعد المئة: الحافظ ابن القطان يقول: أصبت ببصري، وأظن أنه بسبب بكاء أمي على فراقها في طلب العلم

قال ياقوت الحموي في معجم الأديباء (٤/ ١٦٤٣):
قرأت في «أمالي ابن فارس» قال: سمعت أبا الحسن القطان - بعد ما علت سنه وضعف - يقول: كنت حين خرجت إلى الرحلة أحفظ مائة ألف حديث، وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث. قال: وسمعت يقول: أصبت ببصري وأظن أني عوقبت بكثرة بكاء أمي أيام فراقها في طلب الحديث والعلم. اهـ

الفائدة السابعة والعشرون بعد المئة: طوبى لمن أصلح نفسه قبل رمضان

قال الحافظ ابن رجب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في لطائف المعارف (ص ١٣٥):
ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان؛ شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن؛

^١ يغني عن هذا حديث أبي وائل قال: خطبنا عمار، فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست فقال: إني سمعت رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرا» أخرجه مسلم برقم ٨٦٩

ليحصل التأهب لتلقي رمضان، وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن.
روينا بإسناد ضعيف عن أنس قال: كان المسلمون إذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف
فقرؤوها، وأخرجوا زكاة أموالهم؛ تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان. وقال سلمة بن
كهيل: كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر
القراء، وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن. اهـ

الفائدة الثامنة والعشرون بعد المئة: يؤدب الله عباده بالأمراض والأوبئة

قال الفضيل بن عياض رحمته الله: إنما جعلت العلل ليؤدب بها العباد ليس كل من مرض مات. اهـ
حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠٨ / ٨).

الفائدة التاسعة والعشرون بعد المئة: الهوى يذل أهل العز

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في كتابه ذم الهوى (ص ٦٤٠):
وما زال الهوى يذل أهل العز، وقد سبق في كتابنا أن الرشيد عشق جارية وامتنعت عليه، فقال:
أرى ماء وبني عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود
أما يكفيك أنك تملكيني وأن الناس كلهم عبيدي
وأنت لو قطعت يدي ورجلي لقلت من الرضا أحسنت زيدي
اهـ

الفائدة الثلاثون بعد المئة: طاعون الجارف عظات وعبر

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في تاريخ الإسلام (٥/٦٦) في أحداث سنة ٦٩هـ:
وكان في أولها طاعون الجارف بالبصرة، فقال المدائني: حدثني من أدرك الجارف قال: كان ثلاثة
أيام، فمات فيها في كل يوم نحو من سبعين ألفاً.
قال خليفة: قال أبو اليقظان: مات لأنس بن مالك في طاعون الجارف ثمانون ولداً، ويقال:
سبعون.

وقيل: مات لعبد الرحمن بن أبي بكرة أربعون ولدا، وقَلَّ الناس جدا بالبصرة، وعجزوا عن الموتى، حتى كانت الوحوش تدخل البيوت فتصيب منهم، وماتت أم أمير البصرة، فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة، ومات لصدقة بن عامر المازني في يوم واحد سبعة بنين، فقال: اللهم إني مسلم مسلّم، ولما كان يوم الجمعة خطب الخطيب بن عامر، وليس في المسجد إلا سبعة أنفس وامرأة، فقال: ما فعلت الوجوه؟ فقالت المرأة: تحت التراب.

وقد ورد أنه مات في الطاعون عشرون ألف عروس، وأصبح الناس في رابع يوم ولم يبق حيا إلا القليل، فسبحان من بيده الأمر. اهـ

وقال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٦/٢٥):

وفي هذه السنة وقع الطاعون الجارف بالبصرة، فماتت أم ابن معمر الأمير، فما وجدوا من يحملها حتى استأجروا لها أربعة أنفس، وكان وقوع هذا الطاعون أربعة أيام، فمات في اليوم الأول سبعون ألفا، وفي اليوم الثاني واحد وسبعون ألفا، وفي اليوم الثالث ثلاثة وسبعون ألفا، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا قليلا من الأحاد. اهـ

تنبيه:

ذكرت في هذا الكتاب أكثر من فائدة حول الطاعون؛ لأنه - أثناء كتابة هذا الكتاب - وقع وباء عظيم في الصين يسمى: كورونا، وهو فيروس صغير لا يرى بالعين المجردة، وهو مخلوق من مخلوقات الله، أهلك الله به الآلاف من الصينيين، ثم انتشر في أنحاء العالم كله، إلا بلدانا محدودة، لم يأذن الله إلى الآن بدخوله فيها، وقد مر عليه نحو أربعة أشهر إلى الآن ونحن في شهر شعبان سنة ١٤٤١هـ، وقد عجز العالم كله عن العثور على دواء لهذا الوباء، في الوقت الذي بلغ التكبر والتجبر من دول الكفر الكبرى مبلغه، وبعد أن صرح بعض رؤسائها قائلا: من أشد منا قوة؟! وبعد أن بلغ التطور التكنولوجي والعلمي والصحي مبلغا لم يشهد له العالم مثيلا من قبل فيما نعلم، فصرعهم الله وأعجزهم بهذا المخلوق الذي لا يرى بالعين المجردة، فتعطلت مطارات العالم، وحبس الناس - طوعا وكرها - في بيوتهم، وأعلنت دول العالم الكبرى عجزها وفشلها

عن مقاومة هذا الفيروس الصغير، الذي أرغم الله به أنوفهم، وأبدلهم الله به بعد العز ذلاً، وبعد الأمن خوفاً، وبعد الغنى فقراً، وبعد العافية بلاء، وبعد الاجتماع شتاتاً، وصدق الله القوي المتين، العلي العظيم إذ قال: ﴿وَتِلْكَ الْأُمَّةَ أهلكَ نَهمَ لَمَّا ظالمُوا وَجَعَلنا لِمَهلِكِهِم مَّوعدًا ﴿٥٩﴾﴾ الكهف: ٥٩، وقال سبحانه وبحمده: ﴿فَلَمَّاءَ اسفونا أَنتَقمنا مِنهُم﴾ الزخرف: ٥٥.

ولا تزال بلادنا اليمينية - والله الحمد والشكر - إلى ساعة كتابة هذه الأسطر في عافية من هذا الوباء الذي أطبق الأرض ولم تسجل الجهات الصحية أي إصابة والله الحمد، مع ضعف البلاد التي انهكتها الحروب، وتسلط فيها أهل الشر والإجرام، وطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، والناس مغلوبون على أمرهم: تأمر عليهم وظلمهم القريب والبعيد - إلا من رحم الله -، وظننا بربنا الكريم - سبحانه - أن لا يجمع لنا بين وباءين عظيمين وبين الطاعون والسيف، وهو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل. ثم دخل هذا الوباء بلادنا لكنه شئ قليل لا يذكر لم يمنع الناس من شئ ولم تساعدهم الحكومات بشئ يذكر بل الكلام المجرد عن الفعل هو سيد الموقف ولكن الله سلم وكأن لم يكن شئ والحمد لله .

الفائدة الحادية والثلاثون بعد المئة: (وما كان لنفس أن ياذن الله كتاباً مؤجلاً)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٢٨٨ / ٨):

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدثنا عبيد الله ثنا أحمد بن عصام حدثني معدي عن رجل يكنى أبا النفيد - وكان قد أدرك من هذا الطاعون - قال: كنا نطوف بالقبائل وندفن الموتى، فلما كثروا لم نقو على الدفن، فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها، فنسد بابها عليهم، قال فدخلنا داراً ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً فسدنا بابها، فلما مضت الطواعين كنا نطوف فنفتح تلك السدد عن الأبواب، ففتحنا سدة الباب الذي كنا فتشناه - أو قال الدار التي كنا سدناها - وفتشناها، فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين، كأنما أخذ ساعتئذ من حجر أمه، قال: فبينما نحن وقوف على الغلام نتعجب منه إذ دخلت كلبة من شق في الحائط، فجعلت تلوذ بالغلام، والغلام يحبو

إليها حتى مص من لبنها، قال معدي: وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة وقد قبض على لحيته. اهـ وانظر المنتظم لابن الجوزي (٢٦/٦).

أقول: سافرت إلى مدينة بنغازي في ليبيا سنة ١٤٣٤هـ لإقامة دورة علمية، وكان من ضمن دروس الدورة درس في كتابي "الخلاصة في علم الفرائض"، ولما وصلنا إلى باب الغرقى والهدمي قام شاب - في عشرينيات عمره - وأخبرني أمام الحاضرين أنه لما كان رضيعا سافر بصحبة أبيه في الطائرة، وسقطت الطائرة في البحر قريب الساحل، فهلك كل الركاب ولم ينج إلا هو فقلت له - من ضمن الكلام - : لقد عظمت منة الله عليك، وجعلك آية لمن خلفك، فسبحان الله القائل: ﴿

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ أَيْدِنَا لَعَفُونَ ﴾ يونس: ٩٢

الفائدة الثانية والثلاثون بعد المئة: الحجر الصحي وعزل المرضى في مصر لما وقع الطاعون سنة ١٢١٥هـ

قال المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي في تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٤١٥/٢) في الكلام على أحداث سنة ١٢١٥هـ:

وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء في مكان كشفوا عليه، فإن كان مريضا بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنينة (مستشفى أو مكان للحجر الصحي) عندهم، وانقطع خبره عن أهله إلا أن كان له أجل باق ويشفى من ذلك، ويعود إليهم صحيحا، وإلا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلا، ولا يدري خبره؛ لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنينة ودفنوه بثيابه في حفرة، ورددوا عليه التراب، وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام، ويحرقون ثيابه التي تختص به، ويقف على بابه حرس، فإن مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه، وأدخلوه الدار، وكرتونه، وإن مات الشخص في بيته وظهر أنه مطعون، جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها، وغسله الغاسل وحمله الحمالون لا غير، وأخرجوه من غير مشهد، وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه، فإن قرب منه أحد كرتونه في الحال، وبعد دفنه يكرتون على كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن، فلا يخرجون إلا لخدمة أخرى مثلها... فهال الناس هذا الفعل واستبشعوه، وأخذوا في الهرب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك. اهـ

الفائدة الثالثة والثلاثون بعد المئة: ينبغي أن يكون العلماء مع اختلافهم في المسائل الاجتهادية

على مودة وأخوة ونصح وائتلاف

قال الإمام السمعاني كما نقل عنه العلامة ابن القيم كما في مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة (ص ٦٠٠):

ثم وسع على العلماء النظر فيما لم يجدوا حكمه في التنزيل والسنة، وكانوا مع هذا الاختلاف أهل مودة ونصح، وبقيت بينهم أخوة الإسلام، ولم ينقطع عنهم نظام الألفة، فلما حدثت هذه الأهواء المردية -الداعية أصحابها إلى النار - وصاروا أحزاباً؛ انقطعت الأخوة في الدين، وسقطت الألفة، وهذا يدل على أن التناهي والفرقة إنما حدث في المسائل المحدثه، التي ابتدعها الشيطان، ألقاها على أفواه أوليائه؛ ليختلفوا ويرمي بعضهم بعضاً بالكفر. اهـ

الفائدة الرابعة والثلاثون بعد المئة: علامة المسائل الاجتهادية التي هي من الإسلام

فكل مسألة حدثت في الإسلام فخاض فيها الناس واختلفوا، ولم يورث هذا الاختلاف بينهم عداوة ولا نقصاً ولا تفرقاً، بل بقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة والرحمة والشفقة؛ علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام يجوز النظر فيها، والآخر يقول من تلك الأقوال ما لا يوجب تبديعاً ولا تكفيراً، كما ظهر مثل هذا الاختلاف بين الصحابة والتابعين مع بقاء الألفة والمودة.

وكل مسألة حدثت فاختلفوا فيها، فأورث اختلافهم في ذلك التولي والإعراض والتدابير والتقاطع، وربما ارتقى إلى التكفير؛ علمت أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء، بل يجب على كل ذي عقل أن يجتنبها ويعرض عن الخوض فيها.

إن الله تعالى شرطاً في تمسكنا بالإسلام أن نصبح في ذلك إخواناً، فقال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران: ١٠٣. اهـ

الفائدة الخامسة والثلاثون بعد المئة: مبتدع تنشق مرارته ويموت غيظاً لما عجز عن دفع الحق

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١٣ / ١٧٣):

قال أبو علي بن البناء: حكى علي بن الحسين العكبري أنه سمع: أبا مسعود أحمد بن محمد البجلي قال: دخل ابن فورك على السلطان محمود، فقال: لا يجوز أن يوصف الله بالفوقية؛ لأن لازم ذلك وصفه بالتحية، فمن جاز أن يكون له فوق، جاز أن يكون له تحت. فقال السلطان: ما أنا وصفته حتى يلزمني، بل هو وصف نفسه، فبهت ابن فورك، فلما خرج من عنده مات. فيقال: انشقت مرارته. اهـ

الفائدة السادسة والثلاثون بعد المئة: يستعان باليهود والنصارى ولا يستعان بأهل الأهواء

قال العلامة ابن مفلح في الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/٢٥٦):

قال أبو علي بن الحسين بن أحمد بن الفضل البلخي: دخلت على أحمد بن حنبل، فجاءه رسول الخليفة يسأله عن الاستعانة بأهل الأهواء. فقال أحمد: لا يستعان بهم. قال: يستعان باليهود والنصارى ولا يستعان بهم؟! قال: إن النصارى واليهود لا يدعون إلى أديانهم، وأصحاب الأهواء داعية.

عزاه الشيخ تقي الدين إلى مناقب البيهقي وابن الجوزي يعني للإمام أحمد، وقال: فالنهي عن الاستعانة بالداعية لما فيه من الضرر على الأمة اهـ كلامه، وهو كما ذكر.

وفي جامع الخلال عن الإمام أحمد أن أصحاب بشر المريسي، وأهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيء من أمور المسلمين؛ فإن في ذلك أعظم الضرر على الدين والمسلمين.

وروى البيهقي في مناقب أحمد عن محمد بن أحمد بن منصور المروزي أنه استأذن على أحمد بن حنبل فأذن، فجاء أربعة رسل المتوكل يسألونه فقالوا: الجهمية يستعان بهم على أمور السلطان قليلها وكثيرها أولى أم اليهود والنصارى؟ فقال أحمد: أما الجهمية فلا يستعان بهم على أمور السلطان قليلها وكثيرها، وأما اليهود والنصارى فلا بأس أن يستعان بهم في بعض الأمور التي لا يسلطون فيها على المسلمين حتى لا يكونوا تحت أيديهم، قد استعان بهم السلف.

قال محمد بن أحمد المروزي أيستعان باليهود والنصارى وهما مشركان ولا يستعان بالجهمي؟ قال: يا بني يغتر بهم المسلمون، وأولئك لا يغتر بهم المسلمون. اهـ

الفائدة السابعة والثلاثون بعد المئة: هل كان الصحابة رضي الله عنهم يتمازحون

قيل لمحمد بن سيرين: هل كانوا يتمازحون - يعني الصحابة -؟ فقال: ما كانوا إلا كالناس، كان ابن عمر يمزح وينشد الشعر ويقول:
يحب الخمر من كيس الندامى
ويكره أن تفارقه الفلوس

. اهـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٧٥)

الفائدة الثامنة والثلاثون بعد المئة: لا يعاب على العالم الكثير الفتاوى لو أخطأ في مائة مسألة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٠١):
لو قدر أن العالم الكثير الفتاوى أخطأ في مائة مسألة لم يكن ذلك عيباً، وكل من سوى الرسول صلى الله عليه وسلم يصيب ويخطئ ومن منع عالماً من الإفتاء مطلقاً، وحكم بحبسه لكونه أخطأ في مسائل كان ذلك باطلاً بالإجماع، فالحكم بالمنع والحبس حكم باطل بالإجماع. اهـ

الفائدة التاسعة والثلاثون بعد المئة: كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان الثوري

قال يوسف بن أسباط رحمه الله: كان أبي قدريا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان. اهـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٧)

الفائدة الأربعون بعد المئة: متى يكون التأليف تسويداً للورق وتحلياً بحلية السرقة

قال ابن العربي المالكي: لا ينبغي لحصيف يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين:
إما أن يخترع معنى، وإما أن يبتدع وضعاً ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق، والتحلي بحلية السرقة. اهـ نهاية المطالب في دراية المذهب (المقدمة/ ١٨٥) للجويني

الفائدة الحادية والأربعون بعد المئة: معاداة أهل الجهل والظلم للعلماء كالحر والبرد لا بد منه

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (١/ ١٣٢):
وهذا القدر من معاداة أهل الجهل والظلم للعلماء مثل الحر والبرد لا بد منه؛ فلا ينبغي لمن له مسكة عقل أن يتأذى به؛ إذ لا سبيل له إلى دفعه بحال؛ فليوطن نفسه عليه كما يوطنها على برد

الشتاء وحر الصيف. اهـ

الفائدة الثانية والأربعون بعد المئة: ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنه

قال الإمام الشافعي: سألت مالك بن أنس عن سنه فقال: أقبل على شأنك، وقال: ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنه؛ إن كان صغيرا استحقروه، وإن كان كبيرا استهرموه. اهـ مناقب الشافعي للبيهقي

وقال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في صيد الخاطر (ص ٣٥٨):

ينبغي أن تكتم سنك؛ فإن كنت كبيرا استهرموك، وإن كنت صغيرا استحقروك. وكذلك مقدار مالك؛ فإنه إن كان كثيرا نسبوك في نفقتك إلى البخل، وإن كان قليلا طلبوا الراحة منك. وكذلك المذهب؛ فإنك إن أظهرته، لم تأمن أن يسمعه مخالف فيقطع بكفرك. وقد أنشدنا محمد بن عبد الباقي البزاز:

احفظ لسانك لاتبح بثلاثة سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبلى بثلاثة بمموه وممخرق ومكذب
اهـ

الفائدة الثالثة والأربعون بعد المئة: السيف أصدق إنباء من الكتب

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في مفتاح دار السعادة (٢/١٣٦) في بيان كذب المنجمين:

ومن ذلك اتفاقهم في سنة ثلاث وعشرين في قصة عمورية أن المعتصم إن خرج لفتحها كانت عليه الدائرة، وأن النصر لعدوه، فرزقه الله التوفيق في مخالفتهم، ففتح الله على يديه ما كان مغلقا، وأصبح كذبتهم وخرصهم بعد أن كان موهوما عند العامة محققا، ففتح عمورية وما والاها من كل حصن وقلعة، وكان ذلك من أعظم الفتوحات المعدودة، وفي ذلك الفتح قام أبو تمام الطائي منشدا له على رؤوس الأشهاد:

١ المراد بالكتب: كتب المنجمين.

السيف أصدق أنباء من الكتب
والعلم في شهب الأرماع لامعة
أين الرواية أم أين النجوم وما
تخرصا وأحاديثا ملفقة
عجائبا زعموا الأيام تجعله
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
وصيروا الأبرج العليا مرتبة
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة
لو ثبتت قط أمرا قبل موقعه
في حده الحد بين الجد واللعب
بين الخميسين لا في السبعة الشهب
صاغوه من زخرف منها ومن كذب
ليست بنبع إذا عدت ولا غرب
عنهن في صفر الأصفار أو رجب
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
ما كان منقلبا أو غير منقلب
ما دار في فلك منها وفي قطب
لم يخف ما حل بالأوثان والصلب

وهي نحو من سبعين بيتا أجزى على كل بيت منها بألف درهم. اهـ

الفائدة الرابعة والأربعون بعد المئة: وباء وبلاء وغلاء وعظمت وعبر؛ نسأل الله العافية.

قال العلامة ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٦/١٧ - ١٨) في الكلام على أحداث سنة تسع وأربعين وأربعمائة:

وفي جمادى الآخرة ورد كتاب من تجار ما وراء النهر: قد وقع في هذه الديار وباء عظيم، مسرف زائد عن الحد، حتى إنه خرج من هذا الإقليم في يوم واحد ثمانية عشر ألف جنازة، وأحصي من مات إلى أن كتب هذا الكتاب فكانوا ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألفا، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة، وطرقا خالية، وأبوابا مغلقة، حتى إن البقر نفقت.

وجاء الخبر من آذربيجان وتلك الأعمال بالبواب العظيم، وأنه لم يسلم إلا العدد القليل، ووقع وباء بالأهواز وأعمالها، وبواسط وبالنيل ومطير آباذ والكوفة، وطبق الأرض حتى كان يخذ للعشرين والثلاثين زبية فيلقون فيها، وكان أكثر سبب ذلك الجوع، وكان الفقراء يشوون الكلاب، وينبشون القبور فيشوون الموتى ويأكلونهم، وكان لرجل جريبان أرضا دفع إليه في ثمنها عشرة دنائير فلم يبعها، فباعها حينئذ بخمسة أرطال خبز، وأكلها ومات من وقته، وطويت التجارات، وأمور الدنيا، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات والتجهيز والدفن، وكان الإنسان قاعدا فينشق قلبه عن دم المهجة فيخرج إلى الفم منه قطرة فيموت الإنسان.

وتاب الناس كلهم، وتصدقوا بمعظم أموالهم، وأراقوا الخمر، وكسروا المعازف، ولزموا المساجد لقراءة القرآن خصوصا العمال والظلمة، وكل دار فيها خمر يموت أهلها في ليلة واحدة، ووجدوا دارا فيها ثمانية عشر نفسا موتى، ففتشوا متاعهم فوجدوا خابية خمر فأراقوها، ودخلوا على مريض طال نزعته سبعة أيام، فأشار بإصبعه إلى خابية خمر فقلبوها، وخلصه الله تعالى من السكر، ففضى، وقبل ذلك كان من يدخل هذه الدار يموت، ومن كان مع امرأة حراما ماتا من ساعتها، وكل مسلمين بينهما هجران وأذى فلم يصطلحا ماتا معا، ومن دخل الدار ليأخذ شيئا مما قد تخلف فيها وجدوا المتاع معه وهو ميت.

ومات رجل كان مقيما بمسجد فخلف خمسين ألف درهم فلم يقبلها أحد، ووضعت في المسجد تسعة أيام بحالها، فدخل أربعة أنفس ليلا إلى المسجد وأخذوها فماتوا عليها. ويوصي الرجل الرجل فيموت الذي أوصي إليه قبل الموصي، وخلت أكثر المساجد من الجماعات. وكان أبو محمد عبد الجبار بن محمد الفقيه معه سبعمائة متفقه، فمات وماتوا سوى اثني عشر من الكل.

ودخل رجل على ميت وعليه لحاف فأخذه، فمات ويده في طرف اللحاف وباقيه على الميت. ودخل ديبس بن علي بلاده فوجدها خرابا لا أكار بها ولا عالمة، حتى إنه أنفذ رسولا إلى بعض النواحي، فلقية جماعة فقتلوه وأكلوه. اهـ وانظر البداية والنهاية لابن كثير رحمته الله (١٢/٨٩) فقد نقل

ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٢/ ٨٦ - ٨٧) في حوادث سنة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة:

وفيها رجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين، وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيرا، واعتري الناس موت كثير، واغبر الجو وفسد الهواء.

قال ابن الجوزي: وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز، وديار بكر والموصل، وبلاد بكر وبلاد الروم، وخراسان والجبال والدنيا كلها. هذا لفظه في المنتظم.

قال: وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى: أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الثياب التي كورها ليأخذها فلم يمهل...، وفيها كان الغلاء والفناء أيضا مستمرين على الناس ببغداد وغيرها من البلاد، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولم يحج أحد من أهل العراق فيها. اهـ

الفائدة الخامسة والأربعون بعد المئة: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٥٨): ومن غرر كلام ابن الجوزي أن رجلا سأله: أيما أفضل: أسبح أو أستغفر؟ قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور. اهـ

الفائدة السادسة والأربعون بعد المئة: من طرائف النحاة

ركب نحوي سفينة فقال للملاح: هل تعرف شيئا من النحو؟

فقال الملاح: لا.

فقال له النحوي: لقد ذهب نصف عمرك.

وبعد قليل اضطربت السفينة واشتدت الرياح فقال الملاح للنحوي: هل تجيد السباحة؟

فقال النحوي: لا.

فقال له الملاح: لقد ذهب عمرك كله.

الفائدة السابعة والأربعون بعد المائة: قصة يوسف ... عظات وعبر

قال الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره (٢/ ٤٧٤):

سماها أحسن القصص؛ لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء، وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء، وغير ذلك من الفوائد. اهـ

وقال الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٢٦):

وسماها - قصة يوسف - أحسن القصص؛ لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود، ومالك ومملوك، وشاهد ومشهود، وعاشق ومعشوق، وحبس وإطلاق، وسجن وخلاص، وخصب وجذب، وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق. اهـ

وقال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤١٣):

قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص؛ لأنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والأنعام، وسير الملوك والمماليك، والتجار والعلماء، والرجال والنساء وحيلهن، وذكر التوحيد والفقهاء، والسرّ وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتديير المعاش، والصبر على الأذى والحلم، والعزّ والحكم، إلى غير ذلك من العجائب. اهـ

لقد كان في أحداث قصة يوسف وإخوته علامات واضحات لطالبي العبرة، الذين يتعظون بآيات الله تعالى، فتخبت لها قلوبهم، وتنصرف بها إلى مرضاة الله نفوسهم، فهي تحرك القلوب الراكدة، وتنبه النفوس النائمة، إلى أن الملك لله، لا يجري فيه حدث إلا بمشيئته، ولا يحيق المكر السوء إلا بأهله، ولا يستطيع أحد أن يضع من رفعه الله، إلى غير ذلك من العظات. اهـ التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٤/ ٢٨٥).

الفائدة الثامنة والأربعون بعد المائة: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح

قال الإمام السمعاني رحمه الله في تفسيره (٣/ ٦):

وحكي عن ابن عطاء أنه قال: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها. اهـ، وانظر تفسير

البغوي (٤٧٤ / ٢).

الفائدة التاسعة والأربعون بعد المئة: أهل العلم والإيمان يخطئون ولا يكفرون في المسائل العلمية والعملية، ولا يعصمون ولا يؤثمون، بخلاف أهل البدع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٢٥١ / ٥):

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن مباح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون، وسبب ذلك أن أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفراً. اهـ

وقال رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢٠٧ / ١٩):

... هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين: أنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحداً من المجتهدين المخطئين، لا في مسألة عملية ولا علمية. اهـ

وقال رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٦٩ / ٣٥):

فأما الصديقون والشهداء والصالحون فليسوا بمعصومين، وهذا في الذنوب المحققة، وأما ما اجتهدوا فيه: فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهداتهم، وخطؤهم مغفور لهم، وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين... وأهل العلم والإيمان لا يعصمون، ولا يؤثمون. اهـ

وقال رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٩١ / ١٩):

وكثير من مجتهد السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: **﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾** البقرة: ٢٨٦، وفي الصحيح أن الله قال: " قد فعلت " وبسط هذا له موضع آخر. اهـ

الفائدة الخمسون بعد المئة: لا شيء ألد من السكوت لا سيما في زمن الفتن

قال الإمام الصنعاني رحمه الله كما في ديوانه (ص ١٢١):

طعمت حلاوة الأشياء طرا

فلا شيء ألد من السكوت

وخير مجالس الدنيا جميعا

مجالسة الدفاتر في البيوت

اهـ

قال الإمام ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٤٣):

ولقد أحسن الذي يقول:

إن كان يعجبك السكوت فإنه

قد كان يعجب قبلك الأختيارا

ولئن ندمت على سكوت مرة

فلقد ندمت على الكلام مرارا

إن السكوت سلامة ولربما

زرع الكلام عداوة وضرارا

وإذا تقرب خاسر من خاسر

زادا بذاك خسارة وتبارا

اهـ

وقد قيل: ما ندم حلیم ولا ساكت.

الفائدة الحادية والخمسون بعد المئة: بيت شعر خير من عشرة آلاف درهم

قال الإمام ابن حبان رحمه الله في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٤٤):

خبرنا محمد بن المنذر بن سعيد، حدثنا كثير بن عبد الله التيمي، حدثنا العلاء بن سعيد الكندي،

حدثني أبوحية قال: كنت أماشي إسماعيل بن سهل وكان أحد الحكماء فقال لي:

ألا أخبرك ببيت شعر خير لك من عشرة آلاف درهم؟

قلت: نعم.

قال: أيما أحب إليك نفسك؟ أو عشرة آلاف درهم؟

قلت: نفسي.

فأنشأ يقول:

اخفض الصوت إن نطقت بليل

والتفت بالنهار قبل المقال

اهـ

الفائدة الثانية والخمسون بعد المئة: من خفي عليه عيب نفسه؛ خفيت عليه محاسن غيره

قال الإمام ابن حبان رحمته الله في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٢٢):
من خفي عليه عيب نفسه؛ خفيت عليه محاسن غيره، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها، وما أنفع التجارب للمبتدي. اهـ

الفائدة الثالثة والخمسون بعد المئة: يلحنون ويربحون

قال ابن قتيبة رحمته الله في عيون الأخبار (١٧٤/٢):
قال رجل من الصالحين: لئن أعربنا في كلامنا حتى ما نلحن، لقد لحنا في أعمالنا حتى ما نعرب.
دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون، فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح!
دخل رجل على زياد فقال له: إن أبينا هلك، وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا. فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك. اهـ

الفائدة الرابعة والخمسون بعد المئة: أهل النقص يستعينون بالكبر

قال الماوردي رحمته الله في أدب الدنيا والدين (ص ٢٣٧):
قال ابن المعتز: لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا، ويرفع حقيرا، وليس بفاعل.
وأما الإعجاب فيخفي المحاسن ويظهر المساويء، ويكسب المذام ويصد عن الفضائل. اهـ

الفائدة الخامسة والخمسون بعد المئة: أكثر المرضى يشفون بلا دواء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٥٦٣/٢١):
... أن كثيرا من المرضى أو أكثر المرضى يشفون بلا تداوٍ، لا سيما في أهل الوبر والقرئ والساكنين في نواحي الأرض؛ يشفيهم الله بما خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم، الرافعة

للمرض، وفيما يسره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة أو رقية نافعة، أو قوة للقلب وحسن التوكل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة غير الدواء. اهـ

الفائدة السادسة والخمسون بعد المئة: الإجازات لا تفيد علما

قال العلامة السفاريني رحمته في إجازته لعثمان الرحبياني:
والإجازات لا تفيد علما فمن حصل العلوم وأدرك منطوقها والمفهوم، فقد فاز، وأجيز على الحقيقة لا المجاز، ومن لا فلا، ولو ملأ سبت أمه إجازات. اهـ [ثبت السفاريني (٣٢٢-٣٢٣)]

الفائدة السابعة والخمسون بعد المئة: يجب عند حلول الطاعون السكون

قال العلامة ابن القيم رحمته في زاد المعاد (٤/٣٩):
وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه، فإن في الدخول في الأرض التي هو بها تعرضا للبلاء، وموافاة له في محل سلطانه، وإعانة للإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله سبحانه إليها، وهي حمية عن الأمكنة، والأهوية المؤذية.
وأما نهيه عن الخروج من بلده، ففيه معنيان:

أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه والصبر على أقضيته والرضا بها.
والثاني: ما قاله أئمة الطب: أنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه، إلا الرياضة والحمام، فإنهما مما يجب أن يحذرا؛ لأن البدن لا يخلو غالبا من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، ويخلطانه بالكيروس الجيد، وذلك يجلب علة عظيمة، بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة

شديدة، وهي مضرة جدا. هذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي، وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحيهما. اهـ

الفائدة الثامنة والخمسون بعد المئة: كرام الناس ولئامهم

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان رحمته الله في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٧٤):

قال الشعبي: إن كرام الناس أسرعهم مودة وأبطؤهم عداوة، مثل الكوب من الفضة: يبطن الانكسار ويسرع الانجبار، وإن لئام الناس أبطؤهم مودة وأسرعهم عداوة، مثل الكوب من الفخار: يسرع الانكسار ويبطن الانجبار. اهـ

أسأل الله العظيم الحليم الكريم أن يجعلنا من كرام الناس لا من لئامهم.

الفائدة التاسعة والخمسون بعد المئة: لا يثبت القرآن في الصدر ويتيسر فهمه إلا بالقيام به في جوف الليل

قال الشيخ عطية محمد سالم رحمته الله في تكملة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨ / ٣٥٩):

وقد سمعت من الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه - يعني شيخه العلامة الشنقيطي - قوله: لا يُثبَّت القرآن في الصدر، ولا يُسهَّل حفظه ويُيسَّر فهمه إلا القيام به من جوف الليل.

وقد كان رحمته الله تعالى لا يترك ورده من الليل صيفا أو شتاء. اهـ

اللهم يا منان يا كريم اجعلنا من أهل القرآن القائمين به آناء الليل وأطراف النهار.

الفائدة الستون بعد المئة: تزوج ولا تحمل هم نفقة الزوجة

قال ابراهيم النخعي رحمته الله: تزوج؛ فإن الذي كان يرزقها في بيتها هو يرزقها ويرزقك في بيتك. اهـ
تاريخ ابن معين - رواية ابن محرز (٢ / ٥٧).

الفائدة الحادية والستون بعد المئة: كل يخدم دينه في مجاله وينافح عن عقيدته

قال إمام اللغة الأزهرى الشافعي في كتابه تهذيب اللغة (٢ / ٧٤):

قلت: والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع؛ فرارا من وصف الله بأن له سمعا. وقد ذكر

الله الفعل في غير موضع من كتابه. فهو سميع: ذو سمع بلا تكيف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكيف. اهـ
فانظر إلى هذا الإمام الفذ! كيف ينافح عن عقيدته السلفية ويخدمها وهو يكتب في علم من علوم اللغة العربية فجزاه الله خيرا ورحمه.

الفائدة الثانية والستون بعد المئة: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز

قال محمد بن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ٤٤):
وكان عنده قوم ذات ليلة في بعض ما يحتاج إليه فغشي سراجهم، فقام إليه فأصلحه، فقيل له يا أمير المؤمنين ألا نكفيك؟

قال: وما ضرني؟! قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز. اهـ

الفائدة الثالثة والستون بعد المئة: ظننته أقبح من خطي

كان الشيخ صفى الدين الهندي محمد بن عبد الرحيم الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٧١٥ هـ رجلا ظريفا قال:

وجدت في سوق الكتب مرة كتابا بخط ظننته أقبح من خطي، فغاليت في ثمنه واشتريته؛ لأحتج به على من يدعي أن خطي أقبح الخطوط فلما عدت إلى البيت وجدته بخطي القديم. اهـ
المختار المصون من أعلام القرون (١/٢٠٠).

الفائدة الرابعة والستون بعد المئة: قول العوام قبل رمضان بأيام: يا نفس ما تشتهي؟

اعتاد كثير من العوام وأشباههم قبل رمضان بأيام قول: يا نفس ما تشتهي؟
يرغبون أنفسهم بالأكل مما يشتهون قبل حلول شهر رمضان وهذه عادة قبيحة، أصلها من النصارى، فلا يجوز للمسلم التشبه بهم؛ لما يشعر به ذلك من استئثار شهر الصوم، وكراهة مقدمه، وأنه يحول بينهم وبين ما يشتهون.

وقد حذر الحافظ ابن رجب رحمته الله من هذه العادة القبيحة في كتابه العظيم "لطائف المعارف" (ص ١٤٥-١٤٦) فقال:

ولربما ظن بعض الجهال أن الفطر قبل رمضان يراد به اغتنام الأكل؛ لتأخذ النفوس حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام، ولهذا يقولون: هي أيام توديع للأكل، وتسمى تنحيسا، واشتقاقه من الأيام النحسات، ومن قال: هو تنهيس بالهاء فهو خطأ منه، ذكره ابن درستويه النحوي، وذكر أن أصل ذلك متلقى من النصارى؛ فإنهم يفعلونه عند قرب صيامهم، وهذا كله خطأ وجهل ممن ظنه وربما لم يقتصر كثير منهم على اغتنام الشهوات المباحة بل يتعدى إلى المحرمات؛ وهذا هو الخسران المبين وأنشد لبعضهم:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق على الصغار

وقال آخر:

جاء شعبان منذرا بالصيام فاسقياني راحا بماء الغمام

ومن كانت هذه حاله فالبهائم أعدل منه، وله نصيب من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٧٩ الآية، وربما كره كثير منهم صيام رمضان، حتى إن بعض السفهاء من الشعراء كان يسبه، وكان للرشيد ابن سفيه فقال مرة:

دعاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهرا بعده آخر الدهر
فلو كان يعديني الأنام بقدرة على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر

فأخذه داء الصرع؛ فكان يصرع في كل يوم مرات متعددة، ومات قبل أن يدركه رمضان آخر، وهؤلاء السفهاء يستثقلون رمضان؛ لاستثقالهم العبادات فيه من الصلاة والصيام، فكثير من هؤلاء الجهال لا يصلي إلا في رمضان إذا صام، وكثير منهم لا يجتنب كبائر الذنوب إلا في رمضان،

فيطول عليه، ويشق على نفسه مفارقتها لمألوفها، فهم يعدون الأيام والليالي ليعودوا إلى المعصية.

وهؤلاء مصرون على ما فعلوا وهم يعلمون؛ فهم هلكت، ومنهم من لا يصبر على المعاصي؛ فهو يواقعها في رمضان.

وحكاية محمد بن هارون البلخي مشهورة، وقد رويت من وجوه، وهو أنه كان مصرا على شرب الخمر، فجاء في آخر يوم من شعبان وهو سكران، فعاتبته أمه وهي تسجر تنورا، فحملها فألقاها في التنور فاحترقت، وكان بعد ذلك قد تاب وتعبد، فرؤي له في النوم أن الله قد غفر للحجاج كلهم سواه.

فمن أراد الله به خيرا؛ حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، فصار من الراشدين، ومن أراد به شرا خلّى بينه وبين نفسه، فأتبعه الشيطان، فحبب إليه الكفر والفسوق والعصيان، فكان من الغاوين.

الحذر الحذر من المعاصي! فكم سلبت من نعم، وكم جلبت من نقم وكم. اهـ

الفائدة الخامسة والستون بعد المئة: ما قيمة الناس إلا في مبادئهم

قد يعشق المرء من لا مال في يده ويكره القلب من في كفه الذهب

ما قيمة الناس إلا في مبادئهم لا المال يبقى ولا الألقاب والرتب

الفائدة السادسة والستون بعد المئة: من حرمة القرآن

قال الإمام القرطبي رحمه الله في مقدمة تفسيره (٣٠/١)، وهو يبين جملة مباركة من حرمة القرآن في

باب: ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمة قال:

ومن حرمة ألا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل به في المساجد المحدثه. اهـ

الفائدة السابعة والستون بعد المئة: عظيم الفرحة بلقيا الأحبة

قال الشاعر:

ورائحة الشوق عند اللقاء كرائحة الأرض بعد المطر
لأن حياة الثرى بعض ماء وتحيا القلوب ببعض البشر

الفائدة الثامنة والستون بعد المئة: وإذا كانت النفوس كبارا.. تعبت في مرادها الأجسام

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (٣٠/٥):

وروى الوليد بن علي عن أبيه قال: كان سويد بن غفلة - التابعي الجليل - يؤمننا في شهر رمضان في القيام، وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة. اهـ
وكان محمد بن إسماعيل البخاري يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة ويقوم بعد التروايح كل ثلاث ليال بختمة.

وقال بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا. سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٠).

الفائدة التاسعة والستون بعد المئة: من ورع العلماء

قال العلامة ابن مفلح رحمته الله في الآداب الشرعية والمنح المرعية (١٦٨/٢):

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله: رجل سقطت منه ورقة فيها أحاديث فوائد فأخذتها، ترى أن أنسخها وأسمعها؟ قال: لا. إلا بإذن صاحبها. اهـ
وقال المروزي في الورع (ص ١١٠):

وذكر عبد الله مسائل ابن المبارك، قال كان فيها مسألة دقيقة في رجل رمى طيرا، فوقع في أرض قوم، لمن الصيد؟

قال ابن المبارك: لا أدري.

قلت لأبي عبد الله: ما تقول أنت فيها؟

قال: هذه دقيقة ما أدري ما أقول فيها. وأبى أن يجيب. اهـ

الفائدة السبعون بعد المئة: من بيتكم خرج الورع

قال العلامة القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/١٤٤):

قالت أخت بشر الحافي لأحمد بن حنبل: إنا نغزل على سطوحنا فيمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟ فقال: من أنت عافاك الله؟ قالت: أخت بشر الحافي فبكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق؛ لا تغزلي في شعاعها. اهـ

الفائدة الحادية والسبعون بعد المئة: إذا لاحت فرص الطاعات فاحذر فواتها

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (٨/١٢٤) في الكلام على فوائد حديث توبة الله على كعب بن مالك وصاحبيه:

وفيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها، ولا يسوف بها؛ لئلا يحرمها، كما قال تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ الأنفال: ٢٤

ومثله قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَرٍ﴾ الأنعام: ١١٠، ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته، وأن لا يسلبنا ما حولنا من نعمته. اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمته الله في بدائع الفوائد (١/٢٠٩):

وإذا لاحت الحقائق فكن أسعد الناس بها، وإن جفاها الأغمار، والله الموفق للصواب. اهـ

الفائدة الثانية والسبعون بعد المئة: طرق يعتمدها البعض في دخول شهر رمضان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٢٥/١٨٠):

ومنهم من يعتمد - أي في دخول رمضان - على أن رابع رجب أول رمضان أو على أن خامس رمضان الماضي أول رمضان الحاضر. اهـ

الفائدة الثالثة والسبعون بعد المئة: للمؤمن في شهر رمضان جهادان

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في لطائف المعارف (ص ١٧١):

واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد

بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما؛ وُفِّي أجره بغير حساب. اهـ

الفائدة الرابعة والسبعون بعد المئة: من بركات صحبة الأماجد وأهل الخيرات

قال العلامة البقاعي رحمته الله في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٢٩ - ٣٠) في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ الكهف: ١٨: أي: بباب الكهف وفنائه، كما هي عادة الكلاب، وذكر هذا الكلب على طول الآباد بجميل هذا الرقاد من بركة صحبة الأماجد. اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٥/ ١٤٤):

وشملت كلبهم بركتهم؛ فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن. اهـ

الفائدة الخامسة والسبعون بعد المئة: مغني اللصوص

ذكر العلامة الشنقيطي رحمته الله في كتابه رحلة الحج (ص ٦٩)

قصة مشهورة حاصلها:

أن بعض الأمراء أسر لصوصا كانوا يقطعون الطريق، فقدمهم للقتل واحدا بعد واحد حتى لم يبق منهم إلا واحدا، فقال: لا تقتلوني، فإني لست من اللصوص، وإنما كنت مغنيا لهم أطربهم بالأناشيد والأغاريد.

فقالوا له: بم كنت تغنيهم؟

فقال: بقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شر فجانب بسرعة وإن كان ذا خير فقارنه تهدي

فقيل له: صدقت! وأمر بقتله. اهـ

الفائدة السادسة والسبعون بعد المئة: ودعنا شعبان فماذا أودعناه

قال العلامة المعلمي رحمته الله كما في مجموع مؤلفاته:

هذا شعبان قد ودعناه، وقد علمتم ما أودعناه، فكم من مساوٍ وقبائحٍ ومخازٍ وفضائحٍ! وهذا رمضان قد حان نزوله، فماذا نستقبله؟!

أترانا نصر على مساوينا؟! ونستمر على مخازينا؟!

فإن كان ذلك؛ فإنها لأجحف خسارة وأخسر تجارة. اهـ

الفائدة السابعة والسبعون بعد المئة: أهل السنة إذا قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم بخلاف

أهل البدع

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٣/ ٢٥٥):

وأهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم. اهـ

وقال رحمته الله في مدارج السالكين (٣/ ١٣٨):

ولا يتعنى السالك على هذا الطريق؛ فإنه واصل ولو زحف زحفا، فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عزائمهم وهممهم ومتابعتهم لنيبهم، كما قيل:

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا وتجي في الأول

والمنحرفون عن طريقه، إذا قامت بهم أعمالهم واجتهاداتهم قعد بهم عدولهم عن طريقه.

فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

. اهـ

الفائدة الثامنة والسبعون بعد المئة: لا سواء بين فساق أهل السنة وزهاد أهل البدع

قال الإمام أحمد رحمته الله: قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة، وقبور أهل البدعة من الزهاد

حفرة، فساق أهل السنة أولياء الله، وزهاد أهل البدعة أعداء الله. اه طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ١٨٤)، والآداب الشرعية لابن مفلح رحمته الله (٢/ ١٧٤).

وقال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٣/ ٢٥٥):

وفساق أهل السنة أولياء الله، وعباد أهل البدعة أعداء الله، وقبور فساق أهل السنة روضة من رياض الجنة، وقبور عباد أهل البدع حفرة من حفر النار، والتمسك بالسنة يكفر الكبائر، كما أن مخالفة السنة تحبط الحسنات. اه

الفائدة التاسعة والسبعون بعد المئة: الصلاة والتسبيح من أعظم ما يزول به ضيق الصدر

قال العلامة الشنقيطي رحمته الله في أضواء البيان (٢/ ٣٢٣) عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْتَ بِصَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ٩٨ الحجر: ٩٧ - ٩٨ :

اعلم أن ترتيبه - جل وعلا - الأمر بالتسبيح والسجود على ضيق صدره صلى الله عليه وسلم بسبب ما يقولون له من سوء، دليل على أن الصلاة والتسبيح سبب لزوال ذلك المكروه؛ ولذا كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة. اه

الفائدة الثمانون بعد المئة: من هو الصديق؟

قال العلامة ابن الأثير رحمته الله في المثل السائر في أدب الكاتب والشاعرت (١/ ١٢٥):

ليس الصديق من عدَّ سقطات قرينه، وجازاه بغثه وسمينه، بل الصديق من ماشى أخاه على عرجه، واستقام له على عوجه، فذلك الذي إن رأى سيئة وطئها بالقدم، وإن رأى حسنة رفعها على علم. اه

الفائدة الحادية والثمانون بعد المئة: لا تحزن إذا قيل فيك ما ليس فيك

قال العلامة ابن مفلح رحمته الله في الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٧):

وقال موسى - صلوات الله عليه - يا رب! إن الناس يقولون في ما ليس في. فأوحى الله إليه: يا موسى لم أجعل ذلك لنفسى فكيف أجعله لك!؟

وقال عيسى - صلوات الله عليه - : لا يحزنك قول الناس فيك؛ فإن كان كاذبا كانت حسنة لم تعملها، وإن كان صادقا كانت سيئة عجلت عقوبتها. اهـ

الفائدة الثانية والثمانون بعد المئة: استثنى الله فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في فتح القدير للشوكاني (٥/٦٥) في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ﴾ الفتح: ٢٧ :

(إن شاء الله): تعليق للعدة بالمشيئة؛ لتعليم العباد لما يجب أن يقولوه كما في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ك الكهف: ٢٣ - ٢٤ . قال ثعلب: إن الله استثنى فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون. اهـ

الفائدة الثالثة والثمانون بعد المئة: من طلب العلم جملة فاته جملة

قال الحافظ السخاوي رحمته الله في فتح المغيث (٣/٣١٥):

قال الزهري: من طلب العلم جملة فاته جملة، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان. وعنه أيضا قال: إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة له غلبك، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقا تظفر به. اهـ

وعن الثوري: كنت آتي الأعمش ومنصوراً، فأسمع أربعة أحاديث أو خمسة، ثم انصرف كراهية أن تكثر وتفلت.

قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد (١/٧٨):

وعن أبي عمرو الأوزاعي قال: عرضنا على مالك "الموطأ" في أربعين يوماً، فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوماً! قلما تفقهون فيه. اهـ

الفائدة الرابعة والثمانون بعد المئة: لو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر والآخر التثبت

قال الإمام ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٢٦):

ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر والآخر التثبت. اهـ

الفائدة الخامسة والثمانون بعد المئة: من عجيب مخلوقات الله تيس يحلب لبنا

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله البداية والنهاية (١١ / ١٣٢) في حوادث سنة ٢٩٩هـ في ذكر الهدايا للخليفة:

كان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبنا! اهـ

وانظر المنتظم لابن الجوزي (١١ / ١٣٢) ونهاية الأرب (٢٣ / ٣٦).

الفائدة السادسة والثمانون بعد المئة: (فليُنظر الإنسان إلى طعامه)

قال ابن عطية في تفسيره (٥ / ٤٣٩) في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ عيس: ٢٤:

ذهب أبي بن كعب وابن عباس والحسن ومجاهد وغيره إلى أن المراد بقوله تعالى: (إلى طعامه):

إذا صار رجيعا؛ ليتأمل حيث تصير عاقبة الدنيا، وعلى أي شيء يتفانى أهلها وتستدير رحاها. اهـ

الفائدة السابعة والثمانون بعد المئة: شدة قبح قول من يقول: عاشق الرحمن، عاشق النبي، عاشق

الفردوس، وما أشبه ذلك

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في تلبيس إبليس (ص ١٥٣):

فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح. اهـ

الفائدة الثامنة والثمانون بعد المئة: الحسد والمطامع الدنيوية من أعظم أسباب جحد الحق

ومعاداة أهله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٧ / ١٩١):

فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك؛ لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه،

أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه

يعلم أن الحق معه.

وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم، وأنهم صادقون؛ لكن إما لحسدهم، وإما لإرادتهم

العلو والرياسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض: كأموال

ورياسة وصدقة أقوام وغير ذلك. اهـ

الفائدة التاسعة والثمانون بعد المئة: استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلا

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٦٩)

وفي حديث ابن عباس أن المدارسه بينه وبين جبريل كانت ليلا: يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلا؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمّل: ٦، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ البقرة: ١٨٥. اهـ

الفائدة التسعون بعد المئة: من أقوى ما حفظ لنا التاريخ من الوعيد

قال أبو سعد الرازي المتوفى سنة ٤٢١هـ في نثر الدر في المحاضرات (٤/٨٩):
قدم هدبة بن الخشرم ليقاد بآبن عمه زيادة، وأخذ ابن زيادة السيف وقد ضوعفت له الدية حتى بلغت مائة ألف درهم، فخافت أم الغلام أن يقبل ابنها الدية ولا يقتله، فقالت: أعط الله عهدا لئن لم تقتله لأتزوجنه! فيكون قد قتل أباك ونكح أمك! فقتله. اهـ

الفائدة الحادية والتسعون بعد المئة: من أراد أن يحفظ الله عليه عقله في كبره فعليه بالقرآن

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (٩/٢٨٦): قال محمد بن كعب القرظي:
من قرأ القرآن مُتَّع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة. اهـ

الفائدة الثانية والتسعون بعد المئة: المقرر عند المؤمنين الشك في إسلام من أفطر في رمضان بلا عذر

قال العلامة المناوي في فيض القدير (٤/٣١١): قال الذهبي في الكبائر: وعند المؤمنين مقرر: أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عرض - عذر شرعي -؛ أنه شرٌّ من المكاس والزاني ومدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال. اهـ

الفائدة الثالثة والتسعون بعد المئة: من سلك غير طريق سلفه أفضت به إلى تلفه

قال الإمام ابن قدامة في تحريم النظر في كتب الكلام (ص ٧١):
من سلك غير طريق سلفه أفضت به إلى تلفه، ومن مال عن السنة فقد انحرف عن طريق الجنة، فاتقوا الله تعالى وخافوا على أنفسكم؛ فإن الأمر صعب، وما بعد الجنة إلا النار، وما بعد الحق إلا

الضلال، ولا بعد السنة إلا البدعة. اهـ

الفائدة الرابعة والتسعون بعد المئة: من قصر في حق أهله وقرابته؛ فليدع لهم ويستغفر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١١ / ٦٩٨):

إذا وجد العبد تقصيرا في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان؛ فعليه بالدعاء لهم والاستغفار. اهـ

الفائدة الخامسة والتسعون بعد المئة: من قتل الحسين بن علي عليهما السلام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٤ / ٤٨٧):

وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضي بذلك؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. اهـ

الفائدة السادسة والتسعون بعد المئة: ابن خلدون يؤرخ لطاعون الجارف سنة ٧٤٩هـ ويصف أهواله وموت أبويه وأعيان الناس فيه

قال ابن خلدون رحمه الله في تاريخه (٧ / ٥٣٢):

ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبًا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله. اهـ

وقال في تاريخه (١ / ٤٢):

... إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المئة الثامنة من الطاعون الجارف، الذي تحيى الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها، وفل من حدّها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أموالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر؛ فخربت

الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وختل الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن.

وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأني نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض؛ فبادر بالإجابة، والله وارث الأرض ومن عليها، وإذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم بأسره، وكأنه خلق جديد، ونشأة مستأنفة، وعالم محدث، فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليقة، والآفاق وأجيالها، والعوائد والتحل التي تبدلت لأهلها. اهـ

الفائدة السابعة والتسعون بعد المئة: آية من تدبرها؛ انفسحت له مضايق الدنيا

قال العلامة ابن عطية في تفسيره (١٩٤ / ٥) في الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ ﴾ الطور: ٤٨: وهذه الآية ينبغي أن يقررها كل مؤمن في نفسه، فإنها تفسح مضايق الدنيا. اهـ

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله كما في مجموع رسائله (١٥٣ / ٣):

وكان بعض الصالحين في جيبه ورقة يفتحها كل ساعة فينظر فيها، وفيها مكتوب: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ ﴾ الطور: ٤٨. اهـ

الفائدة الثامنة والتسعون بعد المئة: من سنن الله الكونية أنه إذا تعرضت الدول للدين؛ سلب الله ملكهم

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (٣٠٢ / ١):

قوله تعالى: ﴿ يَنْقُورُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ۗ ﴾ غافر: ٢٩: يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز؛ فإنه ما تعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم، وذلوا بعد عزهم.

وكذا وقع لآل فرعون، ما زالوا في شك وريب، ومخالفة ومعاندة لما جاءهم موسى به، حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأملاك، والدور والقصور، والنعمة والحبور، ثم حولوا إلى البحر مهانين، ونقلت أرواحهم بعد العلو والرفعة إلى أسفل السافلين.

ولهذا قال هذا الرجل المؤمن المصدق، البار الراشد التابع للحق، الناصح لقومه، الكامل العقل:
﴿يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ أَيُّومَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ غافر: ٢٩: أي: عالين على الناس حاكمين عليهم **﴿فَمَنْ
يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾** غافر: ٢٩: أي: لو كنتم أضعاف ما أنتم فيه من العدد والعدة والقوة
والشدة لما نفعنا ذلك ولا رد عنا بأس مالك الممالك. اهـ

الفائدة التاسعة والتسعون بعد المئة: سنة الله في عباده إنجاء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر
قال العلامة السعدي رحمته الله في تفسيره عند قوله تعالى **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ
السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** الأعراف: ١٦٥:
وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.
اهـ

الفائدة المئتان: الحسد من وسوسة الشيطان في صدور الناس

قال العلامة ابن جزى رحمته الله في تفسيره (٥٣٠/٢):
وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها: إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد، فإن لم
يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك
أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه، واستكثار
عمله، ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب، حتى يقود الإنسان إلى شر
الأعمال وأقبح الأحوال. اهـ

الفائدة الأولى بعد المائتين: زكاة الفطر لشهر رمضان كسجود السهو للصلاة

قال الهيتمي في تحفة المحتاج (٣٠٥/٣):
قال وكيع: زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدة السهو للصلاة، تجبر نقص الصوم كما يجبر السجود
نقص الصلاة، ويؤيده الخبر الصحيح أنها «طهرة للصائم من اللغو والرفث». اهـ

الفائدة الثانية بعد المائتين: يحق لكل أهل محلة أن يخرجوا من يخشى فسادهم بينهم

قال العلامة ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (٨ / ٤٤) في الكلام على قوله تعالى: ﴿فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ الأعراف: ١٣ :

وهذه الآية أصل في ثبوت الحق لأهل المحلة أن يخرجوا من محلتهم من يخشى من سيرته فشو الفساد بينهم. اهـ

الفائدة الثالثة بعد المائتين: ﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَأَنزِلْ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ ﴿٩﴾ الإنسان: ٩

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١١/ ١١١):

﴿إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ الآية، ومن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء خرج من هذه الآية؛ فإن في الحديث الذي في سنن أبي داود "من أسدى إليك معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه؛ فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه"، ولهذا كانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للرسول: اسمع ما دعوا به لنا؛ حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا ويبقى أجرنا على الله. اهـ

الفائدة الرابعة بعد المائتين: المعادة بعد الخلة فاحشة عظيمة

قال الإمام ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٩٦):

والمعادة بعد الخلة فاحشة عظيمة، لا تليق بالعاقل ارتكابها؛ فإن دفعه الوقت إلى ركوبها ترك للصالح موضعاً.

وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلي:

وأحب إذا أحببت حبا مقاربا فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت غير مجانب فإنك لا تدري متى أنت راجع

اهـ .

الفائدة الخامسة بعد المائتين: قد ينفعك من يريد أن يضرك

ولربما انتفع الفتى بضرار من ينوي الضرار وضره من ينفع

الفائدة السادسة بعد المائتين: التوسع المباح وإظهار السرور بالعيد من شعار الدين

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (٢ / ٤٤٣) في الكلام على حديث غناء الجوّاري وضربهن بالدّف في بيت النبي صلى الله عليه وسلّم في العيد :

وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة وأن الإعراض عن ذلك أولى وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين. اهـ

وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله في فتح الباري (٨ / ٤٣٣):

وقوله: "هذا عيدنا" يريد أن إظهار السرور في العيد من شعار الدين. اهـ

وقال العلامة ابن علان رحمته الله في دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٧ / ١٩٥): في الكلام على العيد:

إذ هو يوم رخص لهم فيه الله واتخاذ الزينة ويبرزون فيه للنزّهة وإظهار السرور. اهـ

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله في الشرح الممتع (٥ / ١٥٨):

فالموفق يفرح بعيد الفطر؛ لأنه تخلص به من الذنوب، حيث قد يغفر له ما تقدم من ذنبه، والغافل يفرح بعيد الفطر؛ لأنه تخلص من الصوم الذي يجد فيه العناء والمشقة، وفرق بين الفرحين. اهـ

الفائدة السابعة بعد المائتين: لو تمنى أهل القبور لتمنوا يوماً من رمضان

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في التبصرة (٢ / ٧٨):

تالله لو قيل لأهل القبور تمنوا لتمنوا يوماً من رمضان. اهـ

الفائدة الثامنة بعد المائتين: آفة العلم الكبر - عياذاً بالله -

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في الرد على الشاذلي (ص ٢٠٧):

وكثير من المنتسبين إلى العلم يبتلى بالكبر كما يبتلى كثير من أهل العبادة بالشرك، ولهذا فإن آفة

العلم الكبر، وآفة العبادة الرياء، وهؤلاء يحرمون حقيقة العلم كما قال تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق). اهـ

الفائدة التاسعة بعد المائتين: شغلنا عنك الجهاد

كان خالد بن الوليد رضي الله عنه إذا أخذ المصحف أخذه وهو يبكي ويقول "شغلنا عنك الجهاد". فما أجمل العذر! فبماذا نعتذر نحن اليوم؟ . اهـ الشاملة
كثير منا شغله عن المصحف السفساف: الهاتف الجوال، النت، وسائل التواصل الاجتماعي، والله المستعان .

الفائدة العاشرة بعد المائتين: القلب إذا قلت خطايا أسرع دمعت

قال الحافظ ابن رجب رضي الله عنه كما في مجموع رسائله (١/٢٦٢):
قال بعض السلف: القلب إذا قلت خطايا أسرع دمعت. اهـ

الفائدة الحادية عشرة بعد المائتين: جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا

حكم المنية في البرية جار	ما هذه الدنيا بدار قرار
بيننا يُرى الإنسان فيها مخبراً	حتى يُرى خبراً من الأخبار
جُبلت على كدرٍ وأنت تريدها	صفوا من الأقداء والأكدار
ومُكَلِّف الأيام ضد طباعها	متطلب في الماء جَذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما	تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة	والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عُجالاً إنما	أعماركم سفر من الأسفار

الفائدة الثانية عشرة بعد المائتين: من تعصب لأهل بلده أو مذهبه دون غيرهم ففيه شعبة من الجاهلية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٤٢٢ / ٢٨):
من تعصب لأهل بلده أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهلية، حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله. اهـ

الفائدة الثالثة عشرة بعد المائتين: من البدع تسمية العوام للثامن من شوال عيد الأبرار عند إتمام صيام الست

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢٩٨ / ٢٥):
ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار؛ فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَم. اهـ

الفائدة الرابعة عشرة بعد المائتين: الذي لا ينظر في العواقب يندم

قال العلامة ابن مفلح رحمه الله في الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢٢٠ / ١):
وأكثر الناس لا ينظرون في العواقب، فكم من مخاصم سب وشتم وطلق، فلما أفاق ندم، وقد كان يوسف بن أسباط يزهد ودفن كتبه، فلم يصبر عن الحديث، فحدث من حفظه، فغلط فضعفوه، وقد تزهد خلق كثير، فأخرجوا ما بأيديهم، ثم احتاجوا فدخلوا في مكروهات، وكان الشبلي يقدر على خمسين ألفا فتزهد وفرقها، فنزل به قوم من الصوفية، فبعث إلى بعض أرباب الدنيا يطلب منه فقال له: يا شبلي، اطلب من الله عَزَّوَجَلَّ، فقال له: أنا أطلب من الله عَزَّوَجَلَّ، وأطلب الدنيا من خسيس مثلك، فبعث إليه مائة دينار.

قال ابن عقيل: إن كان بعث إليه اتقاء ذمه فقد أكل الشبلي الحرام. اهـ
الفائدة الخامسة عشرة بعد المائتين: ينبغي أن تكتم بعض حبك لولدك

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص ٣٥٧):

ينبغي أن تكتفم بعض حبك للولد؛ لأنه يتسلط عليك، ويضيع مالك، ويبالغ في الإدلال، ويمتنع عن التعلم والتأدب. اهـ

الفائدة السادسة عشرة بعد المائتين: احذر صديقك

إذا اصطفت صديقاً وخبرته، فلا تخبره بكل ما عندك، بل تعاوده بالإحسان، كما تتعاهد الشجرة، فإنها إذا كانت جيدة الأصل، حسنت ثمرتها بالتعاهد، ثم كن منه على حذر، فقد تتغير الأحوال، وقد قيل:

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أدري بالمضرة

اهـ. صيد الخاطر (ص ٣٥٧)

الفائدة السادسة عشرة بعد المائتين: أدعية المؤمنين جند لا يهزم

المسلمون قلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب، والجند الذي لا يخذل. اهـ. مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٤٤)

الفائدة السابعة عشرة بعد المائتين: من الإسراف المذموم إسراف بعض المتسننة في الرد على بعضهم أو على بعض المبتدعة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٤ / ٤٨٣):

كما قد يبغى بعض المتسننة إما على بعضهم وإما على نوع من المبتدعة بزيادة على ما أمر الله به وهو الإسراف المذكور في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ آل عمران: ١٤٧. اهـ

الفائدة الثامنة عشرة بعد المائتين: والرؤوس العظام صارت عظاماً

ذكر ابن بطوطة - الرحالة المسلم المغربي الشهير - أنه مر على مقبرة دُفن فيها ألف ملكٍ عليها لوحةٌ مكتوبٌ فيها:

وسلاطينهم سَلِ الطين عنهم
والرؤوس العظام صارت عظاماً

اهـ الشاملة

الفائدة التاسعة عشرة بعد المائتين: وكل عاقل يترك كتاب الله مريدا للعلو في الارض والفساد فان

الله يقصمه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاستقامة (٢١/١):

وكل عاقل يترك كتاب الله مريدا للعلو في الارض والفساد فان الله يقصمه. اهـ

الفائدة العشرون بعد المائتين: صنائع المعروف تقي مصارع السوء

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/٤٩٢):

اتفقت في زمن الإمام المذكور - المطهر بن محمد بن سليمان - قصة عجيبة، ونكتة غريبة، في بلدٍ شاميٍّ الحرجة تسمى الحمرة - من ضواحي صنعاء -، وذلك أنه كان فيها رجل من الزرعة، وكان ذا دينٍ وصدقة، فاتفق أنه بنى مسجداً يصلي فيه، وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه؛ فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء، وإلا أكله وصلى صلاته، واستمر على ذلك الحال.

ثم أنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار، وكانت له بئر، فلما قلَّ ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده، فخربت تلك البئر - والرجل في أسفلها - خراباً عظيماً، حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها، فأيس منه أولاده، ولم يحفروا له، وقالوا: قد صار هذا قبره.

وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها، فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه، فأقام في ظلمة عظيمة، ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذي كان يحمله إلى المسجد، وذلك الطعام الذي كان يحمله كل ليلة، وكان به يفرق ما بين الليل والنهار، واستمر له ذلك مدة ست سنين، والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال.

ثم إنه بدأ لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها، فحفروها حتى انتهوا إلى أسفلها، فوجدوا أباهم حياً، فسألوه عن حاله، فقال لهم: ذلك السراج والطعام الذي كنت أحمل إلى المسجد

يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة! فعجبوا من ذلك، فصارت قضية موعظة يتعظ بها الناس في أسواق تلك البلاد. اهـ

الفائدة الحادية والعشرون بعد المائتين: من لم يردعه الموت والقرآن فلا يردعه تناطح الجبال أمامه

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله كما في مجموع رسائله (١/ ٢٠٦):

قال بعض السلف: من لم يردعه القرآن والموت، لو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع. وقال آخر: من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والمشيب؛ كما قيل: كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا. اهـ

الفائدة الثانية والعشرون بعد المائتين: في سورة البقرة ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر

قال الإمام ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ١٥):

سورة البقرة اعلّموا وفقكم الله أن علماءنا قالوا: إن هذه السورة من أعظم سور القرآن؛ سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام عبد الله بن عمر ثمانين سنين في تعلمها. اهـ

الفائدة الثالثة والعشرون بعد المائتين: خطر تفويت صلاة العصر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٤):

تفويت العصر أعظم من تفويت غيرها؛ فإنها الصلاة الوسطى المخصوصة بالأمر بالمحافظة عليها، وهي التي فرضت على من كان قبلنا فضيعوها، فمن حافظ عليها فله الأجر مرتين، وهي التي لما فاتت سليمان فعل بالخيال ما فعل. اهـ

الفائدة الرابعة والعشرون بعد المائتين: المصائب تكفر سيئات المؤمنين، والصبر عليها يرفع درجاتهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٥٥):

ولهذا كانت المصائب تكفر سيئات المؤمنين، وبالصبر عليها ترتفع درجاتهم. اهـ
الفائدة الخامسة والعشرون بعد المائتين: الزمان لا يثبت على حال فلازم التقوى تسعد

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص ١٣٧):

أعلم أن الزمان لا يثبت على حال، كما قال عزَّجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا يَبِينُ الْتَائِسِ﴾ آل عمران: ١٤٠، فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت الأعداء؛ فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى الله عزَّجَلَّ، فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي جملته. ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه، أو أشبعه، أو أجاعه؛ لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة، حارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة، ويواقف على الحدود، والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى، فإنها ستحول، وتخليه خاسراً. ولازم التقوى في كل حال، فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي المرض إلا العافية، هذا نقدها العاجل، والآجل معلوم. اهـ

الفائدة السادسة والعشرون بعد المائتين: الهم يوهن البدن ويجلب الشيب وقد تعود منه نبينا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال المتنبي:

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

اهـ. الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص ٣٣)

الفائدة السابعة والعشرون بعد المائتين: الحقود يشبه الجمل

قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في سراج الملوك (ص ١١٢):

وإذا رأيت إنساناً حقوداً: لا ينسى الهفوات، ويجازي بعد المدة على السقطات، فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول: فلان أحقد من جمل، وكما تجتنب قرب الجمل الحقود؛ فاجتنب صحبة

الرجل الحقود. اهـ

الفائدة الثامنة والعشرون بعد المائتين: لا تحترق عدوك مهما كان صغيراً وإن كنت ملكاً كبيراً

قال أبو بكر الطرطوشي رحمته الله في سراج الملوك (ص ١٧٣):

ومن حزم الملك ألا يحترق عدوه وإن كان صغيراً، ولا يغفل عنه وإن كان حقيراً؛ فكم من برغوث
أسهر فيلاً، ومنع الرقاد ملكاً جليلاً، قال الشاعر:

ولا تحقرن عدواً رماك وإن كان في ساعديه قصر

فإن السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الإبر

. اهـ

الفائدة التاسعة والعشرون بعد المائتين: سنة الله في كل من ازدري بالعلماء بقي حقيراً

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في تاريخ الإسلام (٤/ ١١٤٠):

سنة الله في كل من ازدري بالعلماء بقي حقيراً. اهـ

الفائدة الثلاثون بعد المائتين: شيخ الضوء!

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٣٦٠):

محمد بن إبراهيم بن يعقوب، شمس الدين، شيخ الضوء، الشافعي، كان يقرئ بالسبع، ويشارك
في الفضائل، وقيل له شيخ الضوء؛ لأنه كان يطوف على المطاهر فيعلم العامة الضوء. اهـ

الفائدة الحادية والثلاثون بعد المائتين: القبر نعم المسكن لمن أحسن وما في الجنة أجل وأعظم

قال أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر (١/ ٢٥):

قال المدائني: قرأت على قبر بدمشق: نعم المسكن لمن أحسن. اهـ

الفائدة الثانية والثلاثون بعد المائتين: من علامات السعادة

قال الإمام الشاطبي رحمته الله في الاعتصام (١/ ١٢٣):

وقال أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني: " من علامات السعادة على العبد: تيسير الطاعة عليه، وموافقة السنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معرفته للخلق، واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته ". اهـ

الفائدة الثالثة والثلاثون بعد المائتين: حين تخرب الصدور من القرآن

عن أبي العالية قال: " يأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن، ولا يجدون له حلاوة، ولا لذادة، إن قصرُوا عما أمرُوا به قالوا: إن الله غفور رحيم، وإن عملوا بما نهوا عنه قالوا: سيغفر لنا؛ إنا لم نشرك بالله شيئاً، أمرهم كله طمع، ليس معه صدق، يلبسون، جلود الضأن على قلوب الذئب، أفضلهم في دينه المداهن ". اهـ الزهد للإمام أحمد (ص ٢٤٥).

الفائدة الرابعة والثلاثون بعد المائتين: أثر الوهم النفسي في بقاء المرض أو زيادته

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٦٩):
والانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان؛ فأحياناً يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحياناً يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحاً؛ فانفعال النفس بالشيء له أثر بالغ، ولهذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النفسية يكون أصل إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر، حتى يظن الإنسان أنه مريض بكذا أو بكذا؛ فيزداد عليه الوهم حتى يصبح الموهوم حقيقة. فهذا الذي لبس الحلقة من الواهنة لا تزيده إلا وهناً؛ لأنه سوف يعتقد أنها ما دامت عليه فهو سالم، فإذا نزعها عاد إليه الوهن، وهذا بلا شك ضعف في النفس. اهـ

وقال رحمه الله:

ثم إنه إذا صبر على المرض وتناسى الأمر حصل له برؤ منه؛ لأن الوهم النفسي له تأثير في بقاء المرض وزيادة المرض، فإذا رفض الإنسان هذا المرض وصار لا يفكر فيه؛ فإنه بإذن الله سوف يشفى. اهـ اللقاءات الشهرية (٢/ ٥٢٣)

وقال رحمه الله:

... من أكبر نعم الله على العبد أن ينزل السكينة في قلبه؛ بحيث يكون مطمئناً غير قلق ولا شاك،

راضيا بقضاء الله وقدره، مع الله عَزَّوَجَلَّ في قضائه وقدره، إن أصابته ضراء صبر وانتظر الأجر من الله، وإن أصابته سراء شكر وحمد الله على ذلك، مطمئن مستقر مستريح، هذه السكينة نعمة عظيمة، نسأل الله أن ينزل في قلوبنا وقلوبكم السكينة. اه شرح رياض الصالحين (٤ / ٧٠٨)

الفائدة الخامسة والثلاثون بعد المائتين: من أجمع الأدعية في الأمور الدنيوية

قال العلامة ابن عطية رحمته الله في تفسيره (٣ / ٥٠٠) عند قوله تعالى عن أصحاب الكهف ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الكهف: ١٠:

وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط، فإنها كافية. اه

الفائدة السادسة والثلاثون بعد المائتين: رحم الله من تكلم بعلم أو سكت بحلم

قال العلامة ابن الوزير رحمته الله في العواصم والقواصم (٧ / ٥):

وأكثر الناس لا يصبر عن الخوض فيما لا يعنيه، ولا يتكلم بتحقيق ما يخوض فيه، وهذا هو الذي أفسد الدين والدنيا، فرحم الله من تكلم بعلم، أو سكت بحلم. اه

الفائدة السابعة والثلاثون بعد المائتين: المخلص لا يخاف أن ينتقد عليه خلل في كلامه

قال العلامة ابن الوزير رحمته الله في الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (١ / ١٧):

والقاصد لوجه الله تعالى لا يخاف أن يُنتقد عليه خلل في كلامه، ولا يهاب أن يُدل على بطلان قوله، بل يحب الحق من حيث أتاه، ويقبل الهدى ممن اهتداه، بل المُخاشنة بالحق والنصيحة أحب إليه من المداهنة على الأقوال القبيحة، وصديقك من صدقك لا من صدقك.

وفي نوابغ الحكمة: عليك بمن ينذر الإبسال والإبلاس، وإيّاك من يقول: لا بأس ولا تأس. اه

الفائدة الثامنة والثلاثون بعد المائتين: من دفاع الله عن أوليائه

قال الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله في تاريخ بغداد (٢٧٢ / ١٤):

قال ابن أبي حاتم الرازي: اعتل أبو زرعة الرازي، فمضيت مع أبي لعيادته، فسأله أبي عن سبب هذه العلة، فقال: بئ وأنا في عافية، فوقع في نفسي أني إذا أصبحت أخرجت من الحديث ما أخطأ فيه سفيان الثوري، فلما أصبحت خرجت إلى الصلاة، وفي دربنا كلب ما نبحنى قط، ولا رأيته عدا على أحد، فعدا عليّ وعقرني وحُمت، فوقع في نفسي أن هذا عقوبة لما وضعت في نفسي، فأضربت عن ذلك الرأي. اهـ

الفائدة التاسعة والثلاثون بعد المائتين: أحوال الناس واختلاف مقاصدهم في طلب العلم

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (٥٧٠ / ٦):

قال عون بن عمارة: سمعت هشام الدستوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يوماً ما قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عزَّ وجلَّ.

قلت: والله ولا أنا؛ فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوه ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية ثم رزق الله النية بعد، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله. فهذا أيضاً حسن، ثم نشره بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليثنى عليهم؛ فلهم ما نوا. قال عليه السلام: "من غزا ينوي عقلاً فله ما نوى".

وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى.

وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر، والفواحش فتبا لهم؛ فما هؤلاء بعلماء!

وبعضهم لم يتق الله في علمه؛ بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئاً كبيراً، وتضلّعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أو هموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدُر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله؛ لأنهم ما رأوا شيخاً يقتدى به في العلم، فصاروا همجا رعاعاً، غاية المدرس منهم أن يحصل كتباً مثمناً، يخزنها وينظر فيها يوماً ما، فيصحف ما يورده ولا يقرره، فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم، ولا رأيت عالماً. اهـ

الفائدة الأربعون بعد المائتين: لا ترضى المرأة عن نصح زوجها بالتعدد فليعدّ العدة

قال أبو الفرج النهرواني المتوفى سنة ٣٩٠ هـ في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (ص ٤٠٦):

دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس السفاح - وليس عنده أحد -، وكان أبو العباس السفاح قد تزوج أم سلمة المخزومية، وشرطت عليه أن لا يتزوج عليها، فحلف لها أن لا يتزوج عليها، فقال: يا أمير المؤمنين، إني والله ما زلت منذ قلّدتك الله تعالى خلافة المسلمين إلا وأنا أحب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في الخلوة؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فعل. قال: فأمر الحاجب بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، إني فكرت في أمرك، وأجلت الفكر فيك، فلم أر أحداً له مثل قدرك، ولا أقل استمتاعاً في الاستمتاع بالنساء منك، ولا أضيق فيهن عيشاً. إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين واقتصرت عليها، فإن مرّضت مرّضت، وإن غابت غبت، وإن عرّكت عرّكت، وحرمت نفسك يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراف الجوّاري، وبمعرفة اختلاف أحوالهن، والتلذذ بما يُشتهى منهن.

إن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة التي تشتهى لجسمها، والبيضاء التي تحب لروعتها، والسمراء اللعساء، والصفراء العجزاء، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك، وما يشتهى من نظافتهن وحسن هندامهن.

وتخلل بلسانه فأطرب في صفات ضروب الجوّاري وشوقه إليهن، فلما فرغ خالد، قال - أبو

العباس -: ويحك! ما سلك مسامعي والله كلام قط أحسن من هذا، فأعد عليّ كلامك؛ فقد وقع مني موقعا. فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه، ثم قال - أبو العباس -: انصرف.

وبقي أبو العباس مفكرا فيما سمع من خالد يقسم أمره، فبينما هو يفكر إذ دخلت عليه أم سلمة، وقد كان أبو العباس حلف أن لا يتخذ عليها ووفى لها، فلما رأته مفكرا متغيرا، قالت له: إني لأنكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له؟ فقال: لا، والحمد لله، ثم لم تزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد، قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ فقال: ينصحني وتشتمينه! فخرجت إلي مواليها من البخارية فأمرتهم بضرب خالد، قال خالد: فخرجتُ إلى الدار مسرورا بما ألقيت إلي أمير المؤمنين، ولم أشك في الصلة، فبينما أنا مع الصحابة واقفا إذ أقبلت البخارية تسأل عني، فحققت الجائزة والصلة، فقلت لهم: ها أنا ذا، فاستبق إليّ أحدهم بخشبة فلما أهوى إليّ غمزت بردوني ولحقني فضرب كفله، وتنادى إليّ الباكون، وغمزت البرذون فأسرع، ثم راکضتهم ففتُّهم، واختفيت في منزلي أياما - قال القاضي: الصواب: استخفيت - ووقع في قلبي أني أتيت من قبل أم سلمة، فطلبني أبو العباس فلم يجدني، فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا علي، فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فسبق إليّ قلبي أنه الموت، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لم أَر دم شيخ أضيع، فركبت إلي دار أمير المؤمنين، ثم لم ألبث أن أذن لي فأصبتة خاليا فرجع إليّ عقلي، ونظرت في المجلس بيت عليه ستور رقاق، فقال: يا خالد لم أرك! قلت: كنت عليلا، قال: ويحك! إنك وصفت لأمير المؤمنين في آخر دخلة دخلتها علي من أمور النساء والجواري صفة لم يخرق مسامعي قط كلام أحسن منه، فأعده علي، قال: وسمعت حسا خلف الستر - فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب إنما اشتقت اسم الضرتين من الضر، وأن أحدا لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان في ضر وتنغيص، قال له أبو العباس: لم يكن هذا في الحديث، قال: بلى والله يا أمير المؤمنين، قال: فأنسيت إذا، فأتمم الحديث، قال: وأخبرت أن الثلاث من النساء كآثافي القدر يغلى عليهن، قال: برئت من قرابتي من رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إن كنت سمعت هذا منك، ولا مرّ في حديثك، قال: وأخبرت أن الأربع من النساء شر مجموع لصاحبهن: يشبهن ويهرمنه ويحقرنه ويقسمنه، قال: لا والله ما سمعت هذا منك ولا من

غيرك، قلت: بلى والله!

قال: أفتكذبني؟!

قلت: أفتقتلني؟!

نعم والله يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن أبكار الإماء رجال إلا أنهم ليست لهن خصي.

قال خالد: فسمعت ضحكا من خلف الستر، ثم قلت: نعم، وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش،
وأنت تطمح بعينيك إلى النساء والجواري.

قال: فقبل لي من وراء الستر: صدقت والله يا عماء، بهذا حدثته، ولكنه غير حديثك، ونطق عن
لسانك.

فقال أبو العباس: مالك! قاتلك الله، وفعل بك وفعل.

قال: وانسلت، قال: فبعثت إليّ أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت. اهـ

الفائدة الحادية والأربعون بعد المائتين: تدبر القرآن يزيل كثيرا من الإشكالات

قال العلامة حماد الأنصاري رحمته الله:

وعالم يسكن بيتاً بالكرى وجاهل يملك دوراً وقرى

لما قرأت قوله سبحانه نحن قسمنا بينهم زال المرى

. اهـ [المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (١/ ٤٧٢)]

الفائدة الثانية والأربعون بعد المائتين: كتاب الحيض أتعب كبار العلماء

قال عبد الأول ابن الشيخ حماد الأنصاري: وسمعت - أي والده - يقول: إن كتاب الحيض درسته
على المذاهب الأربعة، وذلك على يد المشايخ، ومع هذا كله مازال مُشكلاً عليّ إلى الآن، وإذا
سُئلت عن مسألة فيه أكون أحياناً من ضب. اهـ المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد

بن محمد الأنصاري رحمته الله (١/ ٤٤٣).

الفائدة الثالثة والأربعون بعد المائتين: لا تحقرن كلمة تلقيها أو نصيحة تسديها

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (٢٩٧/٥):

قال زبيد: سمعت كلمة، فنفعني الله بها ثلاثين سنة. اهـ

الفائدة الرابعة والأربعون بعد المائتين: غزوة تبوك كانت شهراً أو أكثر وسماها الله ساعة تهوينا

لأوقات الكرب

قال العلامة البقاعي رحمته الله في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٦/٩)

وسماها ساعة؛ تهوينا لأوقات الكرب، وتشجيعاً على مواجهة المكاره؛ فإن أمدها يسير، وأجرها عظيم خطير. اهـ

الفائدة الخامسة والأربعون بعد المائتين: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار

قال ابن قتيبة رحمته الله في عيون الأخبار (٩٤/٣):

قال رجل لآخر: بلغني عنك أمر قبيح، فقال: يا هذا إن صحبة الأشرار ربما أورثت سوء ظن بالأخيار. اهـ

الفائدة السادسة والأربعون بعد المائتين: أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم وأهل البدع عكسهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦):

قيل لأبي بكر بن عياش: إن بالمسجد قوما يجلسون ويجلس إليهم فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه. ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويحيا ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح: ٤، وأهل البدعة شئتوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ٣. اهـ

الفائدة السابعة والأربعون بعد المائتين: بعض الأشياء إذا أرادها الله هيأ لها سبباً

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (٧/١):

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فوق ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح.

وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس، قال: سمعت البخاري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكأني واقف بين يديه، ويدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح. اهـ

وهذا الحافظ الذهبي رحمته الله كان سبب حبه للعلم وطلب الحديث أن شيخه الحافظ البرزالي رحمته الله رأى خطه فقال إن خطك يشبه خط المحدثين ما الداعي لما سبق؟

وقد حكى الحافظ ابن حجر كلام الحافظ الذهبي رحمته الله عن شيخه البرزالي في الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٤/ ٢٧٨) حيث قال:

وهو الذي حبب إليّ طلب الحديث؛ فإنه رأى خطي فقال: خطك يشبه خط المحدثين؛ فأثر قوله فيّ، وسمعت منه، وتخرجت به في أشياء. اهـ

الفائدة الثامنة والأربعون بعد المائتين: الإمام الكسائي يستفيد من نملة

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله كما في مجموع فتاواه (٢٦/١٢١):

وقد حدثني شيخنا المثابر عبد الرحمن السعدي رحمته الله أنه ذكر عن الكسائي - إمام أهل الكوفة في النحو - أنه طلب علم النحو فلم يتمكن، وفي يوم من الأيام وجد نملة تحمل طعاما لها وتصعد به إلى الجدار، وكلما صعدت سقطت، ولكنها ثابتت حتى تخلصت من هذه العقبة وصعدت الجدار، فقال الكسائي: هذه النملة ثابتت حتى وصلت الغاية، فثابر حتى صار إماما في النحو. ولهذا ينبغي لنا أيها الطلبة أن نثابر ولا نياس؛ فإن اليأس معناه سد باب الخير، وينبغي لنا ألا نتشاءم بل نتفاءل، وأن نعد أنفسنا خيرا. اهـ

الفائدة التاسعة والأربعون بعد المائتين: سد الفاقات من أعظم العبادات

مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٤٣)

فمن أعظم العبادات سد الفاقات، وقضاء الحاجات، ونصر المظلوم، وإغاثة الملهوف، والأمر بالمعروف. اهـ

الفائدة الخمسون بعد المائتين: الاستعانة بالله والاجتهاد والاستغفار توصلك إلى ما لا يخطر لك على بال

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١١ / ٣٩٠):

وإذا اجتهد واستعان بالله تعالى ولازم الاستغفار والاجتهاد؛ فلا بد أن يؤتيه الله من فضله ما لم يخطر ببال. اهـ

الفائدة الحادية والخمسون بعد المائتين: من اتكل على عقله ونظره خُذِل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (٩ / ٣٤):

وقد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحدهم نظراً ويعميه - أي الله - عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظراً ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به؛ فمن اتكل على نظره واستدلّاه أو عقله ومعرفته خُذِل. اهـ

الفائدة الثانية والخمسون بعد المائتين: قد يوجد عند كثير من العصاة من محبة الله ورسوله ما لا

يوجد عند كثير من النساك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الرسائل والمسائل (٢ / ٣٢٢):

فتجد كثيرا من أهل الشهوات وفيهم من المحبة لله ورسوله ما لا يوجد في كثير من النساك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي كان يشرب الخمر كثيرا "لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله" والحديث في صحيح البخاري وغيره. اهـ وانظر قاعدة في المحبة (ص ١٣٦)

الفائدة الثالثة والخمسون بعد المائتين: من الآفات القراءة بلا فهم

قال أحد الطلبة لأبي الحسن الاشيبلي: يا أستاذ ما الكموج؟

فقال له أبو الحسن: وأين رأيت هذه اللفظة؟

قال: في قول امرئ القيس: وليل كموج البحر أرخى سدوله.

فقال أبو الحسن: الكموج: دويبة من دواب البر، تحمل الكتب ولا تعلم ما فيها. اهـ الشاملة

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في الشرح الممتع على زاد المستقنع (٧ / ٤٩٧):

وقد ذكر بعض الناس رجلاً سمى ولده نكتل، فقيل له لماذا؟ قال: لأن هذا أخو يوسف ﴿فَأَرْسِلْ

مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلٌ﴾ يوسف: ٦٣، وهذا من الجهل؛ فهم يريدون أن يتبركوا بالأسماء الموجودة في

القرآن الكريم؛ فيختطفون ولا يفكرون ولا يقدرّون. اهـ

وذهب أحد الجهال إلى عالم يسأله عن صحابي اسمه: كوفأ، فقال له العالم:

أين وقفت على اسمه؟ فقال: في القرآن الكريم، وهو الذي كان يأخذ الهدى ألم يقل الله تعالى:

(والهدى مع كوفأ)! فتعجب العالم من حاله.

الفائدة الرابعة والخمسون بعد المائتين: طالب العلم الذي لا حظ له في النوافل كسلان مهين

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (٧ / ١٦٧):

قال أبو أسامة: سمعت مسعرا يقول: إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهل أنتم

متهون؟

قلت: هذه مسألة مختلف فيها: هل طلب العلم أفضل أو صلاة النافلة والتلاوة والذكر؟

فأما من كان مخلصاً لله في طلب العلم، وذهنه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حظ من صلاة وتعبد،

فإن رأيته مجداً في طلب العلم لا حظ له في القربات؛ فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في

حسن نيته، وأما من كان طلبه الحديث والفقهاء غية ومحبة نفسانية، فالعبادة في حقه أفضل، بل ما

بينهما أفعال تفضيل، وهذا تقسيم في الجملة، فقل - والله - من رأيته مخلصاً في طلب العلم. اهـ

الفائدة الخامسة والخمسون بعد المائتين: عَفُوا تَعَفُّ نَسَاؤُكُمْ

قال العلامة السقاف في العود الهندي:

أول ما يتوسل به المرء لتحسين أهله التلزم بالعفاف في نفسه. اهـ سفينة التاريخ للشيخ الأسيدي

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

عَفَّوْا تَعَفَّ نَسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمٍ
إِنْ الزَّانَا دِينَ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ كَانَ الْوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ
يَا هَاتِكَا حَرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعَا سَبَلَ الْمُوَدَّةِ عَشْتِ غَيْرِ مَكْرَمٍ
لَوْ كُنْتَ حَرًّا مِنْ سَلَالَةِ مَا جَدَّ مَا كُنْتَ هَتَاكًا لِحَرَمَةِ مُسْلِمٍ
مَنْ يَزِنُ يَزِنُ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيًّا فَافْهَمْ
مَنْ يَزِنُ فِي بَيْتٍ بِأَلْفِي دَرَاهِمٍ فِي بَيْتِهِ يَزِنُ بِغَيْرِ الدَّرَاهِمِ

. اهـ موسوعة الشعر الإسلامي (١/ ٦٦)

الفائدة السادسة والخمسون بعد المائتين: ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق

قال أبو بكر الوراق: " من اكتفى بالكلام من العمل دون الزهد والفقه تزدق، ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام تبذع، ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والورع تفسق، ومن تفنن في الأمور كلها تخلص " شعب الإيمان للبيهقي (٣ / ٢٩٦).

الفائدة السابعة والخمسون بعد المائتين: الغلو في المدح أو القدح سبب من أسباب ضياع الحقائق

قال المنفلوطي في النظرات (٢ / ٣٤):

بين الإغراق في المدح والإغراق في الذم تموت الحقيقة موتاً لا حياة لها من بعده إلى يوم يبعثون.

اهـ

الفائدة الثامنة والخمسون بعد المائتين: شكوى العلماء من فساد الأخلاق

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله: ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام

ذوي المروةة. اه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٣٤٩).

الفائدة التاسعة والخمسون بعد المائتين: إذا أراد الله بعبده خيراً سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في طريق الهجرتين (ص ١٧٢):

فإن الله إذا أراد بعبده خيراً سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة، فإن ما تقبل من الأعمال رفع من القلب رؤيته ومن اللسان ذكره. اه

الفائدة الستون بعد المائتين: قد تدخلك حسنتك النار وسيئتك الجنة

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ١٧٢):

قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الخطيئة فيدخل بها الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: كيف؟

قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه: إذا ذكرها ندم واستقال وتضرع إلى الله، وبادر إلى محوها، وانكسر وذلل لربه، وزال عنه عجبه وكبره.

ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه: يراها ويمن بها، ويعتد بها ويتكبر بها، حتى يدخل النار. اه

الفائدة الحادية والستون بعد المائتين: لماذا ثقلت الحسنة وخفت السيئة؟

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (١٣/ ٥٤١):

وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها، وغابت حلاوتها فثقلت؛ فلا يحملنك ثقلها على تركها.

والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت؛ فلا يحملنك خفتها على ارتكابها. اه

الفائدة الثانية والستون بعد المائتين: ليس شيء يعدل القرآن في تغذية العقل والروح

ما رأيت شيئاً يغذي العقل والروح ويحفظ الجسم ويضمن السعادة أكثر من إدامة النظر في كتاب

الله. اه هكذا علمتني الحياة (ص ٨٤) للسباعي

الفائدة الثالثة والستون بعد المائتين: العلم أمان للحكام من الفتن

قال رجل للسلطان الظاهر برقوق: لا تلتفت إلى صحيح البخاري وصحيح مسلم؛ فإن أكثر ما فيهما كذب.

فقال له السلطان: كان البخاري ومسلم في زمان لو كذب أحد على النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لقتلوه. اه
درر العقود للمقريزي (١/ ٢٤٨) أفادني بها أحد طلبة العلم.

الفائدة الرابعة والستون بعد المائتين: الحاسد تعينه الشياطين

قال العلامة ابن القيم **رحمته الله** في بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٨):

الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان؛ لأن الحاسد شبيه بإبليس، وهو في الحقيقة من أتباعه؛ لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم، كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله، وأبى أن يسجد له حسداً، فالحاسد من جند إبليس. اه

الفائدة الخامسة والستون بعد المائتين: فرح العلماء الربانيين ببيان أخطائهم

قال العلامة البقاعي **رحمته الله** في مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/ ١٠٤):

ووالله الذي جلت قدرته، وتعالى عظمته، لو أن لي سعة تقوم بما أريد لكنت أبذل ما لا لمن ينهني على خطي، فكلما نهني أحد على خطأ أعطيته ديناراً، ولقد نهني غير واحد على أشياء فأصلحتها، وكنت أدعو لهم وأثني عليهم، وأقول لهم هذا الكلام، ترغيباً في المعاودة إلى الانتقاد والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد. اه

وقال ابن قدامة **رحمته الله** في مختصر منهاج القاصدين (ص ١٥٧):

وقد كان السلف يحبون من ينههم على عيوبهم، ونحن الآن في الغالب أبغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا، وهذا دليل على ضعف الإيمان؛ فإن الأخلاق السيئة كالعقارب، لو أن منبهاً نهنا على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً لتقلدنا له منة، واشتغلنا بقتلها، والأخلاق الرديئة أعظم ضرراً من العقرب على ما لا يخفى. اه

الفائدة السادسة والستون بعد المائتين: احتقار عباد الله يورث الذل والهوان

قال العلامة المناوي في فيض القدير (٣٨٠/٥):

فينبغي للإنسان ألا يحتقر أحدا، فربما كان المحتقر أظهر قلبا وأزكى عملا وأخلص نية؛ فإن

احتقار عباد الله يورث الخسران ويورث الذل والهوان. اهـ

الفائدة السابعة والستون بعد المائتين: الزوجة في حكم الوطن

قال العلامة الشنقيطي رحمته الله في أضواء البيان (٢٧٨/١):

إذا تزوج المسافر ببلد أو مر على بلد فيه زوجته أتم الصلاة؛ لأن الزوجة في حكم الوطن، وهذا هو

مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما وأحمد، وبه قال ابن عباس. اهـ

الفائدة الثامنة والستون بعد المائتين: بصيرة المتعصب عمياء

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في فتح القدير (٢٧٧/٢):

والمتعصب وإن كان بصره صحيحا فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق؛ غفلة منه وجهلا بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع، فإنه صار بها باب الحق مرتجا، وطريق الإنصاف مستوعرة، والأمر لله سبحانه والهداية منه. اهـ

الفائدة التاسعة والستون بعد المائتين: إذا سألت الله حاجة فقل: في عافية

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في مناقب الإمام أحمد (ص ٣٩):

قال الإمام أحمد:

كنت أحفظ القرآن، فلما طلبت الحديث اشتغلت، فقلت: متى؟ فسألت الله عَزَّوَجَلَّ أن يُمِّنَّ عَلَيَّ بحفظه ولم أقل: في عافية، فما حفظته إلا في السجن والقيود، فإذا سألت الله حاجة فقل: في عافية.

اهـ

الفائدة السبعون بعد المائتين: من أعظم المكاسب صداقة الأخيار

قال العلامة السعدي رحمه الله في مجموع الفوائد واقتناص الأوابد (ص ٧٤):
من أعظم المكاسب وأجل المغانم كسب صداقة الأخيار، واغتنام أدعيتهم في الحياة وبعد
الممات. اهـ

**الفائدة الحادية والسبعون بعد المائتين: من أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار
المؤمنين**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (١/ ٢٢):
ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد
النبين. اهـ

الفائدة الثانية والسبعون بعد المائتين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء

قال العلامة ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري (٦/ ٥٠٣):
سقى الماء من أعظم القربات إلى الله تعالى وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي
الماء؛ وإذا غفرت ذنوب الذي سقى الكلب فما ظنكم بمن سقى رجلاً مؤمناً موحداً أو أحياء
بذلك. اهـ

الفائدة الثالثة والسبعون بعد المائتين: كم من عقوبات يظنها الجاهل والمفتون كرامات

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي (ص ١١٩):
فسبحان الله! كم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر؟! وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به؟! وكم
من مفتون بثناء الناس عليه ومغرور بستر الله عليه؟! ومستدرج بنعم الله عليه؟! وكل هذه عقوبات
وإهانات ويظن الجاهل أنها كرامة. اهـ

الفائدة الرابعة والسبعون بعد المائتين: قطعني حلما وعلما

قال الحافظ ابن جرير الطبري: رأيت المزني أبا إبراهيم إسماعيل بن يحيى وأبا عبد الله الأسباطي
يتناظران تحت قبة المال، فانقطع أبو عبد الله، فبزق في وجه المزني، فقال له المزني: عد إلى ما كنا
عليه ودع السفه.

فقال: يا أبا إبراهيم: لقد قطعني حلما وعلما. اهـ

أخرجه الحافظ أبو طاهر السلفي بإسناده في المشيخة البغدادية الجزء السابع اللوحة ١٧٢ / فيض الله أفندي.

الفائدة الخامسة والسبعون بعد المائتين: لا يقتدى ببعض السلف الذين تكلفوا عبادات أضرت بأجسادهم

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في لطائف المعارف (ص ٢٥٤):

وكان كثير من المتقدمين يحملون على أنفسهم من الأعمال ما يضر بأجسادهم، ويحتسبون أجر ذلك عند الله، وهؤلاء قوم أهل صدق وجد واجتهاد، فيحثون على ذلك، ولكن لا يقتدى بهم، وإنما يقتدى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن خير الهدي هديه، ومن أطاعه فقد اهتدى، ومن اقتدى به وسلك وراءه وصل إلى الله عز وجل.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن التعسير، ويأمر بالتيسير، ودينه الذي بعث به يسراً، وكان يقول: "خير دينكم أيسره"، ورأى رجلاً يكثر الصلاة فقال: "إنكم أمة أريد بكم اليسر"، ولم يكن أكثر تطوع النبي صلى الله عليه وسلم وخواص أصحابه بكثرة الصوم والصلاة بل ببرِّ القلوب وطهارتها وسلامتها، وقوة تعلقها بالله: خشية له ومحبة وإجلالا وتعظيماً، ورغبة فيما عنده، وزهداً فيما يفنى. اهـ

الفائدة السادسة والسبعون بعد المائتين: ينقص قدرك عند الناس بقدر حاجتك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (١/ ٣٩):

فأعظم ما يكون العبد قدراً وحرمة عند الخلق إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم ولو في شربة ماء نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم. اهـ

الفائدة السابعة والسبعون بعد المائتين: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان

^١ لعلها (يجبون) والله أعلم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد (١٦/٣):

والمقصود: أن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة. اهـ

الفائدة الثامنة والسبعون بعد المائتين: مواعظ بليغة وموجزة

• كتب رجل من إخوان سفیان الثوري، إلى سفیان الثوري: أن عظمي فأوجز، فكتب إليه: «عافانا الله وإياك من السوء كله، يا أخي: إن الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك حتى تنجو، ولا تتوان فتعطب، والسلام». اهـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥ / ٧).

• تقدم رجل إلى عالم، فقال: علمني وأوجز، فقال:

لأوجزن لك، أما لآخرتك: فإن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه:
قل لقومك: لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة لأوصلت إليه الخراب.
وأما لدنياك، فإن الشاعر يقول:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها
وكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخوا الدنيا فإن وثبت
يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

اهـ. [تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧٥ / ٧٣)]

الفائدة التاسعة والسبعون بعد المائتين: المحرمات تبدأ من المكروهات

المحرمات تبدأ من المكروهات، ولا تفسد أخلاق الأمم إلا بعد سقوط سور المروءات، فليس

كل المروءات واجبة، ولكنها سور يحمي النفوس من الجرأة على الحرام. اهـ التفسير والبيان
لأحكام القرآن

الفائدة الثمانون بعد المائتين: بشر مال البخيل بحادث أو وارث

قال ابن المعتز رحمته الله: بشر مال البخيل بحادث أو وارث. اهـ الآداب الشرعية لابن مفلح
(٣/٣١٧).

الفائدة الحادية والثمانون بعد المائتين: نواب إبليس في الأرض

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في مفتاح دار السعادة (١/٤٥٦):
نواب إبليس في الأرض، وهم الذين يثبّطون الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين، فهؤلاء أضرب
عليهم من شياطين الجن، فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدي الله وطريقه. اهـ

الفائدة الثانية والثمانون بعد المائتين: أنفع أدوية القلوب القرآن الكريم

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في زاد المعاد (٤/٩٣):
وليس لشفاء القلوب دواء قط أنفع من القرآن؛ فإنه شفاؤها التام الكامل الذي لا يغادر فيها سقما
إلا أبرأه، ويحفظ عليها صحتها المطلقة، ويحميها الحماية التامة من كل مؤذ ومضر. اهـ

الفائدة الثالثة والثمانون بعد المائتين: يجعل الله لأوليائه مخارج عند الابتلاء

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (٦/٤٨٣):
الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهديبا
وزيادة لهم في الثواب. اهـ

الفائدة الرابعة والثمانون بعد المائتين: نوافل عشر ذي الحجة أفضل من نوافل عشر رمضان

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في فتح الباري (٩/١٦):
وأما نوافل عشر ذي الحجة فأفضل من نوافل عشر رمضان، وكذلك فرائض عشر ذي الحجة
تضاعف أكثر من مضاعفة فرائض غيره. اهـ

الفائدة الخامسة والثمانون بعد المائتين: اتفق العلماء على مشروعية التكبير في أيام عيد الأضحى

- بالجملة - عقب الصلوات المكتوبات وعليه عمل المسلمين

قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٢١/٩)

وذكر الله في هذه الأيام - أيام عيد الأضحى - نوعان:

أحدهما: مقيد عقيب الصلوات.

والثاني: مطلق في سائر الأوقات.

فأما النوع الأول:

فاتفق العلماء على أنه يشرع التكبير عقيب الصلوات في هذه الأيام في الجملة، وليس فيه حديث

مرفوع صحيح، بل إنما فيه آثار عن الصحابة ومن بعدهم، وعمل المسلمين عليه.

وهذا مما يدل على أن بعض ما أجمعت الأمة عليه لم ينقل إلينا فيه نص صريح عن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يكتفى بالعمل به.

وقد قال مالك في هذا التكبير: إنه واجب.

قال ابن عبد البر: يعني وجوب سنة.

وهو كما قال. اهـ

الفائدة السادسة والثمانون بعد المائتين: لم كان عاشوراء يكفر سنة، ويوم عرفة يكفر سنتين؟

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ (٤/١٦٦٧):

فائدة:

إن قيل: لم كان عاشوراء يكفر سنة، ويوم عرفة يكفر سنتين؟

قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أن يوم عرفة في شهر حرام، وقبله شهر حرام، وبعده شهر حرام، بخلاف عاشوراء.

الثاني: أن صوم يوم عرفة من خصائص شرعنا، بخلاف عاشوراء، فضوعف ببركات المصطفى
والله أعلم.

الفائدة السابعة والثمانون بعد المائتين: فوضى ساعة أعظم من ظلم السلطان سنة

قال الإمام الطرطوشي رحمته الله في سراج الملوك (ص ٤٨)

ولو جعل ظلم السلطان حولاً في كفة كان هرج الناس ساعة أرجح وأعظم من ظلم السلطان
حولاً، وكيف لا وفي زوال السلطان أو ضعف شوكته سوق أهل الشر ومكسب الأجناد، ونفاق
أهل العيارة والسوقة واللصوص والمنابذة؟

قال الفضيل: جور ستين سنة خير من هرج ساعة؛ فلا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور أو
فاسق يتمنى كل محذور، فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله تعالى في إصلاح السلطان، وأن
تبدل له نصحتها، وتخصه بصالح دعائها، فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساد فساد
العباد والبلاد.

وكان العلماء يقولون: إن استقامت لكم أمور السلطان فأكثرُوا حمد الله تعالى وشكره، وإن
جاءكم منه ما تكرهون فوجهوه إلى ما تستوجبونه منه بذنوبكم، وتستحقونه بأثامكم، فأقيموا عذر
السلطان بانتشار الأمور عليه، وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة، واستئلاف الأعداء،
ورضاء الأولياء، وقلة الناصح وكثرة المدلس والفاضح. اهـ

الفائدة الثامنة والثمانون بعد المائتين: بشارات للتائبين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٣٢٨/١٠):

فمن تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب كلها، وإن لم يستحضر أعيان
الذنوب، إلا أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص، مثل أن يكون بعض الذنوب لو
استحضره لم يتب منه؛ لقوة إرادته إياه، أو لاعتقاده أنه حسن ليس بقبيح، فما كان لو استحضره لم
يتب منه، لم يدخل في التوبة وأما ما كان لو حضر بعينه لكان مما يتوب منه فإن التوبة العامة
شاملته. اهـ

الفائدة التاسعة والثمانون بعد المائتين: هل تريد أن تحمد الله بجميع محامد الخلق كلهم؟

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من قال إذا أوى إلى فراشه: الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني، الحمد لله الذي منّ عليّ فأفضل، اللهم إني أسألك بعزتك أن تُنجيني من النار، فقد حمد الله بجميع محامد الخلق كلهم. أخرج الحاكم في المستدرک (١/ ٥٤٥) وغيره، وصححه العلامة الألباني رحمه الله

الفائدة التسعون بعد المائتين: لئيم الطلبة

قال العلامة الصنعاني رحمه الله في التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٥٢٨):

وهذا هو لئيم الطلبة وخبيث الحضار عند العالم، متتبع العثرات، وكاشف العورات، ودافن الحسنات، وما أكثر هذا النوع - لا كثرهم الله -؛ فإنهم الذين أفسدوا معالم العلم، وملاؤوا المواقف على العلماء أحاديث كاذبة... وبئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم؛ فإنه لا بد لكل جواد من كبوة، ولكل صارم من نبوة. ومن ذا الذي ترضى سجايها كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء وأذاعه، ودافع عنهم إن سمع قادحاً فيهم. اهـ

الفائدة الحادية والتسعون بعد المائتين: ليس بفقير من كان له إلى الله حاجة ثم نام عنها في

الأسحار

قال أبو بكر الطرطوشي رحمه الله:

ليس بفقير من كان له إلى الله حاجة ثم نام عنها في الأسحار. اهـ الدعاء المأثور (ص ٥٢)

الفائدة الثانية والتسعون بعد المائتين: كبر السن ليس مانعاً من طلب العلم والتفقه في الدين

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (١/ ٢٥):

وقال عمر: «تفقهوا قبل أن تسودوا» قال أبو عبد الله: «وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِبَرِ سَنِهِمْ» اهـ

وهناك عدد كبير طلبوا العلم وهم كبار، فصاروا علماء منهم: الحافظ ابن عساكر وصالح بن كيسان والقُدوري والقفال، وينظر كتاب "الحياة فرص".

الفائدة الثالثة والتسعون بعد المائتين: سماحة الشيخ ابن باز رحمته الله لم يعرف النوم بعد الفجر

قال الشيخ ابن باز رحمته الله: إنني لم أعرف النوم في حياتي بعد الفجر. اهـ "عبد العزيز بن باز عالم فقدته أمة" للشويعر (١/٢٢٣).

الفائدة الرابعة والتسعون بعد المائتين: شهادة الدكتوراة لا تعني أن حاملها من أهل العلم

قال شيخنا المحدث العلامة مقبل الوادعي رحمته الله في كتابه المخرج من الفتنة (ص ١٩٣):
فكم من شخص عنده دكتوراة في الفقه الإسلامي وهو لا يفقه شيئاً، وكم من شخص عنده دكتوراة في الحديث وهو لا يفقه حديثاً، فهذه الشهادات تؤهل كثيراً من الناس لمناصب لا يستحقونها، وماذا يعني عنك لقب دكتور وأنت جاهل بشرع الله؟! اهـ

الفائدة الخامسة والتسعون بعد المائتين: دُم لله على ما يحب يدُم لك على ما تحب

قال الإمام أحمد رحمته الله:

إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فدُم له على ما يحب. اهـ الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/١٠٤)

الفائدة السادسة والتسعون بعد المائتين: أول تلبس إبليس على الناس صدُّهم عن العلم

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في تلبس إبليس (ص ٢٨٣):

اعلم أن أول تلبس إبليس على الناس صدُّهم عن العلم؛ لأن العلم نور، فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء. اهـ

الفائدة السابعة والتسعون بعد المائتين: الإمام الطوسي يجزئ الليل للقرآن والتصنيف والنوم

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١٥/٤٩١):

قال الإمام الحاكم رحمته الله: رحلت إليه إلى طوس مرتين، وسألته متى تتفرغ للتصنيف مع هذه الفتاوى الكثيرة؟

فقال: جزأت الليل أثلاثاً: فثلث أُصنِّف، وثلث أنام، وثلث أقرأ القرآن. اهـ

الفائدة الثامنة والتسعون بعد المائتين: صورة من غير العلماء على الدين

أورد العلامة ابن الجوزي رحمته الله حديثاً في كتابه الموضوعات (٣٨٢/١) ثم قال: هذا حديث موضوع، وضعه موسى بن قيس، وكان من غلاة الروافض، ويلقب عصفور الجنة، وهو إن شاء الله من حمير النار. اهـ

الفائدة التاسعة والتسعون بعد المائتين: من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (٩٥/٨):

ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة، فلم يقم بعدها غير شهرين. اهـ

الفائدة الثلاث مائة: إذا استبطأت الرزق فأكثر الاستغفار

قال ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك (ص ١٠٤):

قال سفيان: دخلت على جعفر بن محمد، فقال: «إذا كثرت همومك فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، وإذا تداركت عليك النعم فأكثر حمداً لله». اهـ

الفائدة الأولى بعد الثلاث مائة: يجب موالاتة المؤمن وإن ظلمك واعتدى عليك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٩):

وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب؛ ليكون الدين كله لله: فيكون الحب لأوليائه، والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة؛ استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير: تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه، فلم يجعلوا الناس لا مستحقا للثواب فقط ولا مستحقا للعقاب فقط. اهـ

الفائدة الثانية بعد الثلاث مائة: من واجبات ولي الأمر تجاه المتبرجات

الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (٢/ ٧٢٢)

ويجب عليه - يعني ولي الأمر - منع النساء من الخروج متزينات متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة والرقاق، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك، وإن رأى ولي الأمر أن يفسد على المرأة - إذا تجملت وتزينت وخرجت - ثيابها بحبر ونحوه فقد رخص في ذلك بعض الفقهاء وأصاب، وهذا من أدنى مراتب عقوبتهن المالية.

وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها - ولا سيما إذا خرجت متجملة - بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية، والله سبحانه سائل ولي الأمر عن ذلك. وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهم في الطريق؛ فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك. اهـ

الفائدة الثالثة بعد الثلاث مائة: كل كنيسة أحدثت في بلاد المسلمين فيجب هدمها إجماعاً

قال أبو بكر الطرطوشي رحمته الله في سراج الملوك (ص ١٣٨):

وأما الكنائس فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة، وأمر ألا يظهر عليه خارجة من كنيسة، ولا يظهر صليب خارج من كنيسة إلا كسر على رأس صاحبه، وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء، وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين،

وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأمر ألا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة، وهكذا قال الحسن البصري قال: من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة، ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب.

وقال الإصطخري: إن طينوا ظاهر الحائط منعوا، وإن طينوا باطنه الذي يليهم لم يمنعوا، ويمنعون أن يعلوا على المسلمين في البناء، وتجاوز المساواة وقيل لا تجوز. اهـ

الفائدة الرابعة بعد الثلاث مائة: سبُّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من غير توبة من أسباب سوء الخاتمة

قال عبد الرحمن المحاربي: حضرت رجلا الوفاة، فقيل له: قل لا إله إلا الله. قال: لا أقدر! كنت أصحب قوما يأمروني بشتم أبي بكر وعمر. اهـ تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٠٣/٣٠)

الفائدة الخامسة بعد الثلاث مائة: امرأة عاقلة

أراد شعيب بن حرب أن يتزوج بامرأة، فقال لها: إني سيء الخلق، قالت: أسوأ منك خلقا من أحوجك أن تكون سيء الخلق، فقال: أنت إذن امرأتي. اهـ تاريخ بغداد (٣٣٠/١٠)

الفائدة السادسة بعد الثلاث مائة: من عظيم حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في جلاء الأفهام (ص ٣٨٨):

لو صلى العبد عليه صلى الله عليه وسلم بعدد أنفاسه لم يكن موفيا لحقه ولا مؤديا لنعمته اهـ
فصلى الله عليه وسلم عدد أنفاسنا وأنفاس الخلق، وعدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفائدة السابعة بعد الثلاث مائة: صنعاء اليمن من منزهات الدنيا

قال العطار في حاشيته على شرح الجلال المحلي (٢/٣١٩):

وَقَالُوا: إِنَّ مُنْتَزَهَاتِ الدُّنْيَا أَرْبَعٌ: غُوْطَةُ دِمَشْقَ، وَشَعْبُ بَوَّانَ، وَصُغْدُ سَمَرْقَنْدَ، وَصَنْعَاءُ الْيَمَنِ. اهـ

الفائدة الثامنة بعد الثلاث مائة: من حفظ لسانه أطلقها الله بالشهادة عند الموت

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في بحر الدموع (ص ١٢٤):

فمن حفظ لسانه لأجل الله تعالى في الدنيا أطلق الله لسانه بالشهادة عند الموت ولقاء الله تعالى،
ومن سرح لسانه في أعراض المسلمين واتبع عوراتهم أمسك الله لسانه عن الشهادة عند الموت.
اهـ

الفائدة التاسعة بعد الثلاث مائة: من بركات الإيمان

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان (٢/ ٩٢٧):

فالمؤمن عزيز عالٍ مُؤَيَّدٌ منصورٌ مَكْفِيٌّ، مَدْفُوعٌ عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه مَنْ
بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهرًا وباطنًا. اهـ

الفائدة العاشرة بعد الثلاث مائة: هوان وخيبة من تعلق بغير الله

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في التذكرة (ص ٩٨):

قل للواقفين بغير باب الله: يا طول هوانكم!

وقل للآملين لغير فضل الله: يا خيبة آمالكم!

وقل للعاملين لغير وجه الله: يا ضيعة أعمالكم! اهـ

الفائدة الحادية عشرة بعد الثلاث مائة: العبرة بصلاح السرائر لا بالظواهر

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص ٢٢٠):

والله، لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم والصمت، ويتخشع في نفسه ولباسه، والقلوب تنبو عنه،
وقدره في النفوس ليس بذاك!

ورأيت من يلبس فاخر الثياب، وليس له كبير نفل ولا تخشع، والقلوب تتهافت على محبته،

فتدبرت السبب، فوجدته السريرة. كما روي عن أنس بن مالك: أنه لم يكن له كبير عمل من صلاة
وصوم؛ وإنما كانت له سريرة.

فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع
مع فسادهما صلاح الظاهر. اهـ

الفائدة الثانية عشرة بعد الثلاث مائة: من جميل العبارات

من جميل العبارات التي نقلها الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (٥١٠/١١) عن الإمام القرطبي

رحمته الله: ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء. اهـ

الفائدة الرابعة عشرة بعد الثلاث مائة: كتب من أدمن المطالعة فيها فهو العالم حقا

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (١٩٣/١٨):

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان أحد المجتهدين: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل (المحلى) لابن حزم، وكتاب (المغني) للشيخ موفق الدين.

قلت: لقد صدق الشيخ عز الدين.

وثالثهما: (السنن الكبرى) للبيهقي.

ورابعها: (التمهيد) لابن عبد البر.

فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها؛ فهو العالم حقا. اهـ

الفائدة الخامسة عشرة بعد الثلاث مائة: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في ذيل طبقات الحنابلة (٢٢٥/١) في ترجمة أبي منصور الخياط:

وكان إمامًا بمسجد ابن جرده ببغداد، بحريم دار الخلافة. اعتكف فيه مدة طويلة، يعلم العميان القرآن؛ لوجه الله تعالى، ويسأل لهم، وينفق عليهم. فختم عليه القرآن خلق كثير، حتى بلغ عدد من

أقرأهم القرآن من العميان سبعين ألفا. اهـ

الفائدة السادسة عشرة بعد الثلاث مائة: ماذا أبقيت من قلبك الضعيف لآخرتك

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في تاريخ الإسلام (٨٩٣/٣):

قال شميظ بن عجلان:

حملت على قلبك همّ السنين والغلاء والرخص والشتاء والحر قبل مجيئه، فماذا أبقيت من قلبك

الضعيف لآخرتك؟ اهـ

الفائدة السابعة عشرة بعد الثلاث مائة: معرفة السيرة النبوية كرسى لعلم التوحيد وطريق لمعرفة

الرب العظيم

قال العلامة ابن شيخ الحزامية:

وإنما ينشأ الإيمان من معرفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بمعرفة سيرته، وسنته، وغزواته، ومعجزاته، فبذلك يعلم شأن النبوة، وتلوح أدلتها وبراهينها في القلوب، ومتى علم شأن النبوة، ورسخت معالمها في القلوب؛ كانت كرسيا لعلم التوحيد، وطريقا إلى معرفة الرب العظيم. اهـ مداخل أهل الفقه واللسان إلى ميدان المحبة والعرفان (ص ٤٩) أفادني بهذا الشيخ أحمد بن غانم الأسدي.

الفائدة الثامنة عشرة بعد الثلاث مائة: من عجائب الجزاء في الدنيا

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في صيد الخاطر (ص ٦٦):

ومن عجائب الجزاء في الدنيا أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف: ﴿وَشَرُّهُ بِشَمَنِ بَخِيسٍ﴾ يوسف: ٢٠، امتدت أكفهم بين يديه بالطلب يقولون: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ يوسف: ٨٨، ولما صبر هو يوم الهممة، ملك المرأة حلالاً، ولما بغت عليه بدعواها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ يوسف: ٢٥، أنطقها الحق بقولها: ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ﴾ يوسف: ٥١. اهـ

الفائدة التاسعة عشرة بعد الثلاث مائة: ينوح الناس على دنياهم لا على دينهم

قال العلامة ابن مفلح رحمته الله في الآداب الشرعية (٢/ ٢٤٤)

وقال ابن عقيل: من عجيب ما نقدت أحوال الناس: كثرة ما ناحوا على خراب الديار، وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على الأرزاق بدم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه. وقد رأوا من انهدام الإسلام، وتشعث الأديان، وموت السنن، وظهور البدع، وارتكاب المعاصي، وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يجدي، فلا أحد منهم ناح على دينه، ولا بكى على فارط عمره، ولا تأسى على فائت دهره، ولا أرى لذلك سببا إلا قلة مبالاتهم بالأديان، وعظم الدنيا في عيونهم،

ضد ما كان عليه السلف الصالح: يرضون بالبلاغ، وينوحون على الدين. اهـ

الفائدة العشرون بعد الثلاث مائة: التوفيق بيد الله وحده

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (٣٤ / ٩):
وقد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحدهم نظراً، ويعميه عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظراً، ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ فلا حول ولا قوة إلا به.
فمن اتكل على نظره واستدلّاله، أو عقله ومعرفته، خذل.
ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة كثيراً ما يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ويقول في يمينه: «لا ومقلب القلوب».

ويقول: «والذي نفسي بيده» ويقول: «ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، وإن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه»، وكان إذا قام من الليل يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وكان يقول هو وأصحابه في ارتجازهم:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وهذا في العلم كالإرادات في الأعمال؛ فإن العبد مفتقر إلى الله في أن يحبب إليه الإيمان، ويبغض إليه الكفر، وإلا فقد يعلم الحق وهو لا يحبه ولا يريد، فيكون من المعاندين الجاحدين. قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ النمل: ١٤. وقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ البقرة: ١٤٦، فكما أن الإنسان فيما يكتسبه من الأعمال مفتقر إلى الله محتاج إلى

معونته، فإنه لا حول ولا قوة إلا به - كذلك - فيما يكتسبه من العلوم، ومع هذا فليس لأحد حجة على الله في أن يدع ما أمر به من الأسباب التي يحصل بها العلم النافع والعمل الصالح. اهـ

الفائدة الحادية والعشرون بعد الثلاث مائة: لا يجوز للمشايع والمعلمين تحزيب المتعلمين وإعانتهم على التعصب لهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٥/٢٨):

فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص؛ أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك؛ نظر فيه: فإن كان قد فعل ذنبا شرعيا عوقب بقدر ذنبه بلا زيادة، وإن لم يكن أذنب ذنبا شرعيا لم يجز أن يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره.

وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢.

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدا بموافقته على كل ما يريده، وموالاته من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله، الذين يجعلون من وافقهم صديقا مواليا ومن خالفهم عدوا باغيا، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله.

فإن كان أستاذ أحد مظلوما نصره، وإن كان ظالما لم يعاونه على الظلم بل يمنعه منه؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قيل: يا رسول الله، أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ قال: تمنعه من الظلم؛ فذلك نصرك إياه.

وإذا وقع بين معلم ومعلم، أو تلميذ وتلميذ، أو معلم وتلميذ خصومة ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق، فلا يعاونه بجهل ولا بهوى، بل ينظر في الأمر، فإذا تبين له الحق؛

أعان المحق منهما على المبطل، سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره، وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره.

فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله، واتباع الحق والقيام بالقسط. قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ النساء: ١٣٥. اهـ

الفائدة الثانية والعشرون بعد الثلاث مائة: تصدق بما بقي من عمرك على الآخرة

قال العباس السراج يقول: سمعت أبا إسحاق القرشي يقول: كتب إلي أخي من مكة: «يا أخي إن كنت تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر فتصدق بما بقي من عمرك على الآخرة وهو الأقل». اهـ الزهد الكبير للبيهقي (ص ١٤١)

الفائدة الثالثة والعشرون بعد الثلاث مائة: الحق ثقيل فلا تثقلوه بسوء أخلاقكم

قال العلامة الألباني رحمته الله: الحق ثقيل؛ فلا تثقلوه بسوء أخلاقكم! كنت أعتقد أن المشكلة في الأمة مشكلة عقيدة، وتبين لي أنها عقيدة وأخلاق! اهـ [سلسلة الهدى والنور شريط رقم ٩٠٠]

الفائدة الرابعة والعشرون بعد الثلاث مائة: من بديع أجوبة القضاة للموسوسين

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في كتابه الأذكياء (ص ٦٨):
جاء رجل إلى أبي حازم - القاضي - فقال له: إن الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك؛ فيشككني.

فقال له: أوليس قد طلقتهما؟

قال: لا.

قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟

فقال: والله ما جئتك إلا اليوم، ولا طلقتهما بوجه من الوجوه.

قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية. اهـ

الفائدة الخامسة والعشرون بعد الثلاث مائة: حب المساكين أصل الحب في الله

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله كما في مجموع رسائله (٤/ ٥٤):

حب المساكين أصل الحب في الله تعالى؛ لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا لله عز وجل، والحب في الله من أوثق عرى الإيمان. اهـ

الفائدة السادسة والعشرون بعد الثلاث مائة: من عاجل عقوبة الله لمن يسب أبا بكر وعمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قال محمد بن إسحاق بن عثمان السمسار: كان أخوان بنيسابور من أهل مرو، وكانا يبغضان أبا بكر وعمر أشد البغض، وكانا يسكنان في بيت، وكان أمرهما وكلامهما وطعامهما واحدا، وكان لا يفارق أحدهما صاحبه، وقد صوروا في بيتهما صورتيهما، فكان يضربانهما كل يوم ضربات، فما مضى أيام حتى احترقا كلاهما في النار في المنزل. قال محمد بن إسحاق: كان هذا بنيسابور وأنا بها.

أخبرنا أبو بكر بن المزرفي: نا أبو الحسين بن المهدي: نا أبو حفص بن شاهين: نا علي بن محمد: ثنا أحمد بن داود المكي: نا عبد العزيز بن الخطاب: نا عبد الرحمن المحاربي قال: حضرت رجلا الوفاة، فقليل له: قل لا إله إلا الله. قال: لا أقدر؛ كنت أصحاب قوما يأمروني بشتم أبي بكر وعمر.

أنبأنا أبو عبد الله الفراوي وغيره عن أبي عثمان الصابوني: نا أبو القاسم بن حبيب المفسر: نا أبو القاسم منصور بن العباس ببوشنج: نا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهروي: نا ابن أبي الدنيا: نا الحسين بن عبد الرحمن، قال: لقيت عنى مجنونا مصروعا، فكلمنا أراد أن يؤدي فريضة أو يذكر الله صرع! فقلت - على ما يقول الناس -: إن كنتم يهوداً فبحق موسى، وإن كنتم نصارى فبحق عيسى، وإن كنتم مسلمين فبحق محمد إلا ما خليتكم عنه. فقال: لسنا يهود ولا نصارى، ولكننا وجدناه يبغض أبا بكر وعمر فمنعناه من أشد أموره.

أخبرنا أبو محمد بن طاووس: نا أبو الغنائم بن أبي عثمان: نا أبو الحسين بن بشران: نا أبو علي بن صفوان: نا أبو بكر بن أبي الدنيا: نا أبو بكر الصيرفي قال: مات رجل كان يشتم أبا بكر وعمر،

ويرى رأي جهنم، فأريه رجل في النوم كأنه عريان، على رأسه خرقة سوداء، وعلى عورته أخرى فقال: ما فعل الله بك؟ قال: جعلني مع بكر العس وعون بن الأعنس وهذان نصرانيان. اهـ [تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠ / ٤٠٣)]

الفائدة السابعة والعشرون بعد الثلاث مائة: لا أمانة لرافضي

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص ٩٥):
من ألقى مقاليد أمره إلى رافضي - وإن كان حقيرا -؛ فإنه لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه، ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له؛ لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية، يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة.
وقد جربنا هذا تجريبا كثيرا فلم نجد رافضيا يخلص المودة لغير رافضي وإن أثره بجميع ما يملكه وكان له بمنزلة الخول، وتودد إليه بكل ممكن

ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجريء على شتم الأعراض المحترمة؛ فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال وأقل اختلاف؛ ولعل سبب هذا - والله أعلم - أنه لما تجرؤوا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم - ولا جرم -؛ فكل شديد ذنب يهون ما دونه، وقد يقع بعض شياطينهم في علي - كرم الله وجهه - حرذا عليه، وغضبا له؛ حيث ترك حقه، بل قد يبلغ بعض ملاعينهم إلى ثلب العرض الشريف النبوي - صانه الله - قائلا: إنه كان عليه الإيضاح للناس، وكشف أمر الخلافة، ومن الأقدم فيها والأحق بها. اهـ

الفائدة الثامنة والعشرون بعد الثلاث مائة: من شؤم الرافضة ومخازيهم في اليمن مما ذكره الإمام

الشوكاني رحمته الله

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص ٩٨):
فقد جربناه، وجربه من قبلنا، فلم يجدوا رجلا رافضيا يتنزه عن شيء من محرّمات الدين - كائنا

ما كان - ولا تغتر بالظواهر؛ فإن الرجل قد يترك المعصية في الملاء، ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهز من لا يخاف ناراً ولا يرجو جنة! وقد رأيت من كان منهم مؤذناً ملازماً للجماعات فانكشف سارقاً، وآخر كان يؤم الناس في بعض مساجد صنعاء، وله سمت حسن، وهدى عجيب، وملازمة للطاعة، وكنت أكثر التعجب منهم كيف يكون مثله رافضياً؟! ثم سمعت بعد ذلك عنه بأمر تقشعر له الجلود، وترجف منها القلوب.

وكان لي صديق يكثر المجالسة لي والوصول إليّ، وفيه رفض يسير، وهو متنزه عن كل محذور، ثم ما زال ذلك يزيد به الأسباب حتى صار يصنف في مثالب جماعة من الصحابة، ثم صار يمزق أعراض جماعة من أحياء أهل العلم والأموات، وينسبهم إلى النصب؛ بمجرد كونهم لا يوافقونه على رفضه، ثم صار يتصل به جماعة، ويأخذون عنه من الرفض ما لا يتظاهر بمثله أهل هذه الديار.

وكنت أعرف منه في مبادئ أمره صلابة وعفة، قلت: إذا كان ولا بد من رافضي عفيف فهذا، ثم سمعت عنه بفواقر! نسأل الله الستر والسلام.

وأما وثوب هذه الطائفة على أموال اليتامى والمستضعفين ومن يقدر على ظلمه - كائناً من كان -؛ فلا يحتاج إلى برهان، بل يكفي مدعيه إحالة منكره على الاستقراء والتتبع؛ فإنه سيظهر عند ذلك صحة ما ذكرناه

ولقد جربت أهل عصري في هذه المادة تجريباً عظيماً؛ لتعلقى بما تتعلق به الأطماع، واختبار بالناس على اختلاف طبقاتهم، ولا شك أن الدنيا مؤثرة، وأن الوثوب على مصالحها وتقديمها وانتهاز الفرص في ما يتعلق بها غير مختص بهؤلاء، بل هو عام لكل الفرق، والزاهد فيها المؤثر للدين عليها هو الشاذ النادر، لكن هؤلاء لهم مزيد تكالب، وعظيم تهافت، وشدة تهالك، مع عدم وقوف عند حدود الشرع، واقتصار على ما فيها من تحليل وتحريم. اهـ

الفائدة التاسعة والعشرون بعد الثلاث مائة: العزوبة من أسباب الجنون والزواج من أسباب زواله

قال الإمام الجويني رحمته الله في نهاية المطالب في دراية المذهب (٤٣/١٢):

وهو - أي النكاح - من أسباب زوال الجنون، كما، أن العُزْبَة من أسباب الجنون. اهـ

الفائدة الثلاثون بعد الثلاث مائة: من أسباب البركة سلامة الصدور

قال سفيان بن دينار: قلت لأبي بشير - وكان من أصحاب علي - : أخبرني عن أعمال من كان قبلنا. قال: كانوا يعملون يسيرا ويؤجرون كثيرا.

قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم. اهـ [الزهد لهناد بن السري (٢/ ٦٠٠)]

الفائدة الحادية والثلاثون بعد الثلاث مائة: لا تزول الفتنة عن القلب حتى يكون دين العبد كله لله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٠١):

فلا تزول الفتنة عن القلب إلا إذا كان دين العبد كله لله عز وجل: فيكون حبه لله ولما يحبه الله، وبغضه لله ولما يبغضه الله، وكذلك موالاته ومعاداته. اهـ

الفائدة الثانية والثلاثون بعد الثلاث مائة: لولا السنتين لهلك زفر

قال علي القاري في شرح مسند أبي حنيفة (١/ ٤٥):

وفي طبقات مجد الدين: أن زفر حفظ القرآن في سنتين من آخر عمره، فرُئِيَ بعد موته في المنام، فسئل ما حالك؟ فقال: لولا السنتين لهلك زفر. اهـ

الفائدة الثالثة والثلاثون بعد الثلاث مائة: من عقوبات التهاون بالصلاة نقص الأرزاق

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في فتح الباري (٣/ ١٤٤):

قال أبو خلاد: ما من قوم فيهم من يتهاون بالصلاة ولا يأخذون على يديه إلا كان أول عقوبتهم أن ينقص من أرزاقهم. اهـ

الفائدة الرابعة والثلاثون بعد الثلاث مائة: لولا المصائب لبطر العبد وطغى وبغى

قال العلامة ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢/ ١٩١):

قال الشيخ محمد بن عبد القادر: يا بني! المصيبة ما جاءت لتهلك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، يا بني! القَدْرُ سَبُعٌ، والسَّبْعُ لا يأكل الميتة، فالمصيبة كير العبد، فإما أن يخرج ذهباً أو

خبثا كما قيل:

سبكناه ونحسبه لجينا فأبدئ الكير عن خبث الحديد

اللجين: الفضة، جاء مصغرا مثل الثريا وكميت، وعلم أنه لولا المصائب لبطر العبد وبغى وطغى فيحميه بها من ذلك ويطهره مما فيه، فسبحان من يرحم ببلائه، وبيتلي بنعمائه كما قيل:
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت وبيتلي الله بعض القوم بالنعيم

اهـ

الفائدة الخامسة والثلاثون بعد الثلاث مائة: من أعظم الواجبات حراسة القلب عند إقباله وإدباره

قال الإمام ابو حاتم ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ٢٧):

قطب الطاعات للمرء في الدنيا هو إصلاح السرائر وترك إفساد الضمائر، والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره، وحركته وسكونه؛ لأن تكدر الأوقات وتنغص اللذات لا يكون إلا عند فساد، ولو لم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله عليه كيفية سريرته خيرا كان أو شرا لكان الواجب عليه قلة الإغضاء عن تعاهدها. اهـ

الفائدة السادسة والثلاثون بعد الثلاث مائة: كان العلماء لا يتصورون وجود مسلم لا يصلي

علماء المسلمين عام ٧٠٠ هجرية عندما ذكروا مسألة حكم تارك الصلاة قالوا: هذه مسألة افتراضية لا وجود لها في الواقع.

ولم يتصوروا حينها مسلما لا يصلي.

الفائدة السابعة والثلاثون بعد الثلاث مائة: إياك أن تلعب بدينك

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره (١١ / ٢٥):

ويرحم الله السلف الصالح، فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح، فقالوا: مهما كنت لاعبا

بشيء، فإياك أن تلعب بدينك. اهـ

الفائدة الثامنة والثلاثون بعد الثلاث مائة: لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه

قال الإمام مالك رحمته الله: لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه، فإذا كان كذلك أو شك أن يفتح الله في قلبه. اهـ [ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/٦٤)]

الفائدة التاسعة والثلاثون بعد الثلاث مائة: دابتنا لا تأكل الحرام

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (١٣/٤٨٢):

الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى أبي القاسم القباري الإسكندراني: كان مقيما بغيط له، يقتات منه ويعمل فيه ويبدره، ويتورع جدا ويطعم الناس من ثماره.

توفي في سادس شعبان بالإسكندرية، وله خمس وسبعون سنة، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويردع الولاة عن الظلم، فيسمعون منه ويطيعونه لزهده، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل، وهم راضون منه بذلك.

ومن غريب ما حكى عنه: أنه باع دابة له من رجل، فلما كان بعد أيام جاء الرجل الذي اشتراها،

فقال: يا سيدي، إن الدابة التي اشتريتها منك لا تأكل عندي شيئا، فنظر إليه الشيخ فقال له: ماذا

تعاني من الأسباب؟ فقال رقاص عند الوالي، فقال له: إن دابتنا لا تأكل الحرام، ودخل منزله

فأعطاه دراهم، ومعها دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز، فاشترى الناس من الرقاص كل درهم

بثلاثة لأجل البركة. اهـ

الفائدة الأربعون بعد الثلاث مائة: أبرك الأعمال وأنفعها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ السخاوي رحمته الله في القول البديع (ص ١٠٩):

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أبرك الأعمال وأفضلها، وأكثرها نفعا في الدنيا والدين. اهـ

الفائدة الحادية والأربعون بعد الثلاث مائة: لا يخلو مستقيم من تقصير

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٠):

وفي قوله عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فصلت: ٦ إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة. اهـ

الفائدة الثانية والأربعون بعد الثلاث مائة: والمنازل العالية لا تنال إلا بالبلاء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢٥ / ٣٠٢):

والمنازل العالية لا تنال إلا بالبلاء. اهـ

الفائدة الثالثة والأربعون بعد الثلاث مائة: أدعياء المشيخة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١١ / ٥١٣):

وكم من مدع للمشيخة وفيه نقص من العلم والإيمان ما لا يعلمه إلا الله تعالى. اهـ

الفائدة الرابعة والأربعون بعد الثلاث مائة: لا تنصح على شرط القبول

قال الإمام ابن حزم رحمه الله في الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٤٢):

لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، لكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة، والشفاعة وبذل المعروف. اهـ

الفائدة الخامسة والأربعون بعد الثلاث مائة: لو احتجت إلى الناس ولو في شربة ماء نقص قدرك

عندهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١ / ٣٩):

فأعظم ما يكون العبد قدرا وحرمة عند الخلق: إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم - ولو في شربة ماء - نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، ليكون الدين كله لله، ولا يشرك به شيء. اهـ

الفائدة السادسة والأربعون بعد الثلاث مائة: من في قلبه مرض يأخذ من كل كلام ما يناسبه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في جامع المسائل - المجموعة السابعة (١/ ١٩١)
مَن في قلبه مرضٌ يأخذ من كلِّ كلامٍ ما يُناسب مرضه. اهـ

الفائدة السابعة والأربعون بعد الثلاث مائة: ولا خير والله في سعة من الدنيا ضيقت طريق الآخرة

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص ٤٠١):

ولا خير والله في سعة من الدنيا ضيقت طريق الآخرة. اهـ

الفائدة الثامنة والأربعون بعد الثلاث مائة: كلٌّ من خالف طريق الأنبياء، لا بُدَّ له من الكذب والظلم؛ إما عمداً، وإما جهلاً

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في النبوات (٢/ ١٠٧٧):

فكلٌّ من خالف طريق الأنبياء، لا بُدَّ له من الكذب والظلم؛ إما عمداً، وإما جهلاً. اهـ

الفائدة التاسعة والأربعون بعد الثلاث مائة: إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله كما في مجموع رسائله (٣/ ٦٩):

قال الشعبي: إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب.

وتفسير هذا الكلام: أن الله عزَّ وجلَّ له عناية بمن يحبه من عباده؛ فكلما زلق ذلك العبد في هوة

الهوى أخذ بيده إلى نجوة النجاة: يُيسر له أسباب التوبة، وينبهه على قبح الزلة، فيفزع إلى

الاعتذار، ويتلوه بمصائب مكفرة لما جنى. اهـ

الفائدة الخمسون بعد الثلاث مائة: كونوا كما أمركم الله يكن لكم كما وعدكم

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في التذكرة في الوعظ (ص ١٩):

كونوا كما أمركم الله يكن لكم كما وعدكم، أجيئوا الله إذا دعاكم يجبكم إذا دعوتموه، أعطوا الله ما

طلبه من طاعته يعطكم من رحمته ما طلبتموه. اهـ

الفائدة الحادية والخمسون بعد الثلاث مائة: ثناء الحافظ ابن رجب على أهل اليمن

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله كما في مجموع رسائله (٢/ ٦٣٦):

وتأمل قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان يمان، والفقہ يمان، والحكمة يمانية». قاله في مدح أهل اليمن وفضلهم، فشهد لهم بالفقہ والإيمان، ونسبها إليهم لبلوغهم الغاية في الفقہ والإيمان والحكمة.

ولا نعلم طائفة من علماء المسلمين أقل كلاماً من أهل اليمن، ولا أقل جدلاً، منهم، سلفاً وخلفاً؛ فدل على أن العلم والفقہ الممدوح في لسان الشارع: هو العلم بالله المؤدي إلى حبه ومحبته، وإجلاله وتعظيمه، وهما مع العلم بما يحتاج إليه من أوامره ونواهيه، كما كان عليه علماء أهل اليمن قديماً، مثل: أبي موسى الأشعري، وأبي مسلم الخولاني وأويس وغيرهم. دون ما زاد على ذلك، من ضرب أقوال الناس بعضها ببعض، وكثرة التفتيش عن عوراتهم وزلاتهم. اهـ

الفائدة الثانية والخمسون بعد الثلاث مائة: من عجز عن طاعات المطيعين، فلا يعجز عن استغفار المذنبين

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في لطائف المعارف (ص ٤٥):

من عجز عن مسابقة المحبين في ميدان مضمارهم، فلا يعجز عن مشاركة المذنبين في استغفارهم واعتذارهم، صحائف التائبين خدودهم، ومدادهم دموعهم. قال بعضهم: إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم. رسائل الأسحار تحمل ولا يدري بها الفلك، وأجوبتها ترد إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك. اهـ

الفائدة الثالثة والخمسون بعد الثلاث مائة: في السكوت راحة من تحمل كرب مخاطبة السفهاء

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص ٢٠٢):

في السكوت راحة من تحمل كرب مخاطبة السفهاء. اهـ

الفائدة الرابعة والخمسون بعد الثلاث مائة: تسلية العالم الفقير

قال الإمام الشوكاني رحمته الله في أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص ١٢٩):

فيا أيها العالم الصعلوك، قد ظفرت برتبة أرفع من رتب الملوك، ونلت من المعالي أعلاها، ومن المناقب والفضائل أولها بالشرف وأولها؛ فإن كل المعالي الدنيوية - وإن تناهت - فليست

باعتبار المعالي العلمية والشرف الحاصل بها في ورد ولا صدر؛ فإنه يحصل للعالم - أولاً وبالذات - الفوز بالنعيم الأخروي الدائم السرمدي، الذي لا تعدل منه الدنيا بأسرها قيد شرط بل مقدار سوط.

ويحصل له - ثانياً وبالعرض - من شرف الدنيا ما يصغر عنده كل شرف، ويتقاصر دونه كل مجد، ويتضاءل لديه كل فخر، وإنَّ من فهم مقدار ما في العلوم من العلوِّ كان عند نفسه أعزَّ قدراً، وأعلىَّ محلاً، وأجلَّ رتبة من الملوك، وإن كان متضايق المعيشة: يركب نعليه ويلبس طمريه. اهـ

الفائدة الخامسة والخمسون بعد الثلاث مائة: لا تكن ولياً لله في الظاهر عدواً له في الباطن

قال بلال بن سعد: لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوه في السريرة. اهـ

[الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (ص ٥٤)]

الفائدة السادسة والخمسون بعد الثلاث مائة: الجوارح السبعة مركب العطب والنجاة

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إغاثة اللهفان (١/ ١٣٦):

الجوارح السبعة وهي العين، والأذن، والفم، واللسان، والفرج، واليد، والرجل هي مركب العطب والنجاة، فمنها عطب من عطب بإهمالها وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها، فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر. اهـ

الفائدة السابعة والخمسون بعد الثلاث مائة: المؤمن عزيز عال مؤيد منصور محفوظ أينما كان

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إغاثة اللهفان (٢/ ٩٢٧):

فالمؤمن عزيز عال مؤيد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهراً وباطناً.

وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالِكُمْ﴾

محمد: ٣٥. فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها، ولا يفردها عنهم، ويقتطعها عنهم، فيبطلها عليهم، كما يتر الكافرين والمنافقين أعمالهم، إذ كانت لغيره، ولم تكن موافقة لأمره. اهـ

الفائدة الثامنة والخمسون بعد الثلاث مائة: معنى حديث: "قل آمنت بالله ثم استقم"

قال العلامة ابن الملقن رحمه الله في المعين على تفهم الأربعين (ص ٢٦٤):
فقوله: "آمنت بالله" هو بمعنى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ فصلت: ٣٠؛ إذ لا يعتقد ربوبيته إلا من آمن به، وهو على اختصاره من أجمع الأحاديث لأصول الإسلام، إذ الإسلام توحيد وطاعة، فالتوحيد حاصل بـ "آمنت بالله".

والطاعة حاصلة بالاستقامة، إذ هي: امتثال كل مأمور، واجتناب كل محذور، ويدخل فيه أعمال القلوب والأبدان من الإيمان والإسلام والإحسان. اهـ

الفائدة التاسعة والخمسون بعد الثلاث مائة: لولا يقين القلوب باجتماع آخر لتفطرت المرائر لفراق الأحباب

ذكر العلامة ابن الجوزي رحمه الله في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٧ / ١٤٨): أن أبا الوفاء ابن عقيل الحنبلي لما مات ولده عقيل حزن عليه حزنا شديدا، وظهر منه صبر جميل، دخل عليه بعض أصحابه وهو جالس يروحه بعد موته، فكأنه أحس من الداخل بإنكار ذلك، فقال له: انها جثة عليّ كريمة، فما دامت بين يدي لم يطب قلبي إلا بتعاهدتها، فإذا غابت فهي في استراحة من هو لها خير مني.

وقال: لولا أن القلوب توقن باجتماع يا بني؛ لتفطرت المرائر لفراق الأحباب. اهـ

الفائدة الستون بعد الثلاث مائة: الموعظة بالنظر في ديار الأقران وقبور المحبين

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ص ٣٣٥):
وأي موعظة أبلغ من أن ترى ديار الأقران، وأحوال الإخوان، وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك؟! وهذا والله شأن الحمقى! اهـ

الفائدة الحادية والستون بعد الثلاث مائة: أجاز الحافظ ابن حجر فأسلم اليهودي

قال العلامة المناوي رحمه الله في فيض القدير (٣/ ٥٤٦):

ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة، مر يوماً بالسوق في موكب عظيم، وهيئة جميلة، فهجم عليه يهودي - يبيع الزيت الحار، وأثوابه ملطخة بالزيت، وهو في غاية الرثاثة والشناعة - فقبض على لجام بغلته، وقال: يا شيخ الإسلام، تزعم أن نبيكم قال: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"؟ فأبي سجن أنت فيه؟! وأي جنة أنا فيها؟! فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة، فأسلم اليهودي. اهـ

الفائدة الثانية والستون بعد الثلاث مائة: أو بعد هذه الآية فصاحة؟

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٣/ ٣٧٥):

قال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما أفصحك! فقالت: أو بعد هذه الآية فصاحة وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذْخِفِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ القصص: ٧!؟ جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين اهـ

الفائدة الثالثة والستون بعد الثلاث مائة: من لم يعتبر بغيره كان عبرة لغيره

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في فتح الباري (٣/ ٢٣٧):

من رأى ما حل بالعصاة ولم يتنبه بذلك من غفلته، ولم يتفكر في حالهم، ويعتبر بهم فليحذر من حلول العقوبة به، فإنها إنما حلت بالعصاة لغفلتهم عن التدبر وإهمالهم اليقظة والتذكر. اهـ

الفائدة الرابعة والستون بعد الثلاث مائة: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني

قال الإمام الشيرازي رحمه الله في طبقات الفقهاء (ص ٩٨):

قال الساجي في كتابه: كان أبو يعقوب البويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب الحبس، فيقول له السجنان: أين تريد؟ فيقول: حيث داعي الله. فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك

فمنعوني. اهـ

الفائدة الخامسة والستون بعد الثلاث مائة: الميت من لا يفقه ماذا لربه من الحقوق عليه

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في التذكرة في الوعظ (ص ١٨):

ليس الميت من خرجت روحه من جنبيه، وإنما الميت من لا يفقه ماذا لربه من الحقوق عليه. اهـ

الفائدة السادسة والستون بعد الثلاث مائة: بيت شعر مليح

إذا العين لم تدمع لفقد أحبة
فماذا برب البيت يجري المدامعا

الفائدة السابعة والستون بعد الثلاث مائة: طرفة

سأل رجل أعرابيا عن حال أهله فقال له:

كيف أهلك - بكسر اللام -؟

فأجابه الأعرابي: مصلوبا إن شاء الله.

الفائدة الثامنة والستون بعد الثلاث مائة: طرفة مسكتة

قال أحد العلمانيين: من حق المرأة رفض الإنجاب للحفاظ على جمالها.

فأجابه أحد الحاضرين بقوله: ليت أمك حافظت على جمالها ولم تنجبك.

الفائدة التاسعة والستون بعد الثلاث مائة: طرفة أخرى مسكتة

رأى أحد المفتونين بالغرب امرأة مرتدية جلبابها فقال: هذه شيطان.

فأجابته: الحمير هي التي ترى الشياطين.

الفائدة السبعون بعد الثلاث مائة: من لم يستأنس بالقرآن فلا أنس الله وحشته

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله كما في مجموع رسائله (٣/ ٣٣٩):

قال الفضيل بن عياض: "من لم يستأنس بالقرآن فلا أنس الله وحشته". اهـ

الفائدة الحادية والسبعون بعد الثلاث مائة: العالم يكمل بقدر اتباعه للنبي

قال العلامة القرافي رحمه الله في الذخيرة (١/ ٤٣):

العالم يكمل بقدر اتباعه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن النبي عليه السلام هو الشمس؛ لقوله تعالى: ﴿

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٦

والسراج هو: الشمس؛ لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ النبأ: ١٣

ولما كان القمر يستفيد ضوءه من الشمس: كلما كثر توجهه إليها كثر ضوءه حتى يصير بدرا،

فكذلك العالم: كلما كثر توجهه للنبي وإقباله عليه توفر كماله. اهـ

الفائدة الثانية والسبعون بعد الثلاث مائة: سرعة مرور الأيام ونزاع البركة مما فيها من علامات

قرب الساعة

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري (١٣ / ١٦):

فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجد في العصر الذي قبل عصرنا هذا، وإن لم يكن هناك عيش مستلذ، والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة. اهـ

الفائدة الثالثة والسبعون بعد الثلاث مائة: وافق شن طبقة

قال المفضل بن سلمة في كتابه الفاخر (ص ٤٧):

قال الشرقي بن القطامي: كان رجل من دُعاة العرب وعُقلائهم يقال له شنُّ فقال: والله لأطوفنَّ حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق. فسأله شنُّ: أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصد لها شنُّ، فرافقه. فلما أخذوا في مسيرهما قال له شنُّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل! أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملي؟! فسكت عنه شنُّ وسارا، حتى إذا قربا من القرية إذا هما بزراع قد استحصد. فقال له شنُّ: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل! ترى نبتًا مستحصدًا فتقول أتراه أكل أم لا؟! فسكت عنه، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شنُّ: أترى صاحب هذا النعش حيًّا أم ميِّتًا؟

فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك! ترى جنازة فتسأل عنها أميت صاحبها أم حي؟! فسكت عنه

شنُّ وأراد مفارقتة، فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله، فمضى معه وكانت للرجل ابنة يقال لها طَبَقَةٌ. فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فأخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جهله، وحدثها بحديثه. فقالت: يا أبة، ما هذا بجاهل. أما قوله: أتحملني أم أحملك فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا. وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا فإنما أراد أباعه أهله فأكلوا ثمه أم لا. وأما قوله: في الجنازة فأراد هل ترك عَقَبًا يحيا بهم ذكره أم لا. فخرج الرجل فقعد مع شنُّ فحدثه ساعة ثم قال له: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟ فقال: نعم. ففسره فقال شنُّ: ما هذا كلامك، فأخبرني من صاحبه؟ فقال: ابنة لي، فخطبها إليه، فزوجه إياها وحملها إلى أهله. فلما رأوهما قالوا: وافق شنُّ طَبَقَةَ فذهبت مثلاً. اهـ

الفائدة الرابعة والسبعون بعد الثلاث مائة: إذا أحدث الله لك علما فأحدث له عبادة

عن أبي قلابة قال: إذا أحدث الله لك علما فأحدث له عبادة، ولا تكن إنما همك أن تحدث به الناس. اهـ [فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٢٨٥)]

الفائدة الخامسة والسبعون بعد الثلاث مائة: الألبسة الضيقة تعري

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله كما في مجموع فتاواه (١٢/ ٢٧٨):
الألبسة الضيقة، وإن كانت كسوة في الظاهر لكنها عُرِيٌّ في الواقع، فإن إبانة مقاطع الجسم بالألبسة الضيقة هو تعري. اهـ

الفائدة السادسة والسبعون بعد الثلاث مائة: من السياسة ترك السياسة

قال العلامة ابن باز رحمته الله: أنصح الشباب بالإعراض عن شؤون السياسة الخارجية، وشؤون الملوك والأمراء، وأن يقبلوا على العلم وطلبه. اهـ [الفتاوى المهمة ص ٢٥]
وقال العلامة الألباني رحمته الله: نصيحتي أن تستمروا بالدعوة، وتبتعدوا عن السياسة؛ فذلك خير لكم وأبقى. اهـ [سلسلة الهدى والنور (٤/ ٩٤)].

الفائدة السابعة والسبعون بعد الثلاث مائة: من بركة الرفق

قال الإمام ابن حبان رحمته الله في روضة العقلاء (ص ١٦٧):

قال عمر بن عبد العزيز رحمته الله: ما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة. اهـ

الفائدة الثامنة والسبعون بعد الثلاث مائة: لا تنظر إلى دموع عينيه وانظر إلى عمل يديه

قال الإمام ابن حبان رحمته الله في روضة العقلاء (ص ٩٦):

قال الفضل ابن موسى الشيباني: كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح. قال: فجعلت الرياح تدخل في عينيه الغبار فتذر فان، فكلما صاد عصفورا كسر جناحه وألقاه في ناموسه. فقال عصفور لصاحبه: ما أرقه علينا! ألا ترى إلى دموع عينيه؟ فقال له الآخر: لا تنظر إلى دموع عينيه، ولكن انظر إلى عمل يديه. اهـ

الفائدة التاسعة والسبعون بعد الثلاث مائة: الغنى يمنع لطالب العلم من الفقر

قال ياقوت الحموي رحمته الله في معجم الأدباء (٤/ ١٦٥١):

ذكر أن ابن حزم اجتمع يوما مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي صاحب كتاب «المنتقى» و «الاستغناء» وغيرهما من التواليف، وجرت بينهما مناظرة، فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد: تعذرنى؛ فإن أكثر مطالعتي كانت على سرج الحرّاس. قال ابن حزم: وتعذرنى؛ أيضا فإن أكثر مطالعتي كانت على منائر الذهب والفضة. أراد أن الغنى يمنع لطلب العلم من الفقر. اهـ

الفائدة الثمانون بعد الثلاث مائة: من أحب أن تدوم له العافية فليتنق الله

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله كما في مجموع رسائله (٣/ ١١٠):

كان بعض السلف يدور على المجالس ويقول: من أحب أن تدوم له العافية فليتنق الله. اهـ

الفائدة الحادية والثمانون بعد الثلاث مائة: ليس في قربه أنس ولا في بعده وحشة

قال ابن مفلح رحمته الله في الآداب الشرعية (٣/ ٥٧٥):

وروى الحاكم في تاريخه عن المزني أنه قيل له: إن فلانا يبغضك.

فقال: ليس في قربه أنس ولا في بعده وحشة. اهـ

الفائدة الثانية والثمانون بعد الثلاث مائة: الظلم شر مكتسب والجزاء من جنس العمل

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله كما في مجموع رسائله (١/١٣٥):

فظلم العباد شر مكتسب؛ لأن الحق فيه لآدمي مطبوع على الشح، فلا يترك من حقه شيئاً، لاسيما مع شدة حاجته يوم القيامة، فإن الأم تفرح يومئذ إذا كان لها حق على ولدها، لتأخذه منه.

ومع هذا، فالغالب أن الظالم تعجل له العقوبة في الدنيا وإن أمهل؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ هود:

١٠٢.

قال بعض أكابر التابعين لرجل: يا مفلس! فابتلي القائل بالدين والحبس، بعد أربعين سنة. وضرب رجل أباه وسحبه إلى مكان، فقال الذي رآه: إلى ها هنا! رأيت هذا المضروب قد ضرب أباه، وسحبه إليه!

وصادر بعض وزراء الخلفاء رجلاً، فأخذ منه ثلاثة آلاف دينار، فبعد مدة غضب الخليفة على الوزير، وطلب منه عشرة آلاف دينار، فجزع أهله من ذلك، فقال: ما يأخذ مني أكثر من ثلاثة آلاف دينار كما كنت ظلمت. فلما أدى ثلاثة آلاف دينار وقع الخليفة بالإفراج عنه، فسبحان من هو قائم على كل نفس بما كسبت، إن ربك لبالمرصاد.

حاكم العدل لا يجور، وإنما يجازي بالعدل، وميزان عدله لا يحابي أحداً؛ بل يتحرر فيه مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل، وكما تدين تدان.

عواقب الظلم تخشى وهي تنتظر فيجانب الظلم لا تسلك طريقته

وكل نفس ستجزى بالذي عملت وليس للخلق من دينهم وطر

اهـ

الفائدة الثالثة والثمانون بعد الثلاث مائة: عروة بن الزبير الصابر المحتسب تقطع رجله ولم يترك

ورده تلك الليلة

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٠-٤٣١):

قال هشام بن عروة بن الزبير: إن أباه وقعت في رجله الأكلة، فقيل: ألا ندعو لك طبيبا؟

قال: إن شئتم.

فقالوا: نسقيك شرابا يزول فيه عقلك.

فقال: امض لشأنك، ما كنت أظن أن خلقا يشرب ما يزيل عقله حتى لا يعرف به.

فوضع المنشار على ركبته اليسرى، فما سمعنا له حسا!

فلما قطعها، جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، وما ترك جزأه بالقرآن

تلك الليلة.

وأصيب عروة بابنه محمد في ذلك السفر، ركضته بغلة في اصطبل، فلم يسمع منه في ذلك كلمة.

فلما كان بوادي القرى، قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ الكهف: ٦٢، اللهم كان لي بنون

سبعة، فأخذت واحدا وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت طرفا وأبقيت ثلاثة، ولئن

ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت.

وعن عبد الله بن عروة قال:

نظر أبي إلى رجله في الطست، فقال: إن الله يعلم أي ما مشيت بك إلى معصية قط، وأنا أعلم. اهـ

الفائدة الرابعة والثمانون بعد الثلاث مائة: إعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان من سنن الإسلام

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٢٥/٢٩٨):

وإعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "من

فطر صائما فله مثل أجره"، وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل

وقت، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر. اهـ

الفائدة الخامسة والثمانون بعد الثلاث مائة: الباغي الظالم ينتقم الله منه في الدنيا والآخرة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٨٢/٣٥):
فالباغي الظالم ينتقم الله منه في الدنيا والآخرة؛ فإن الباغي مصرعه، قال ابن مسعود: ولو بغى جبل
على جبل لجعل الله الباغي منهما دك. ومن حكمة الشعر:
قضى الله أن الباغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يونس: ٢٣. اهـ

الفائدة السادسة والثمانون بعد الثلاث مائة: الكلام الكثير يقلل مخ الدماغ ويعجل الشيب

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٤/٣٧٦):

فالكلام الكثير: يقلل مخ الدماغ ويضعفه، ويعجل الشيب. اهـ

الفائدة السابعة والثمانون بعد الثلاث مائة: المعاصي تزيل النعم الحاصلة وتقطع النعم الواصلة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ١٠٦):

المعاصي تزيل النعم، ومن عقوباتها: أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل
الحاصل، وتمنع الواصل؛ فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استجلب مفقودها
بمثل طاعته، فإن ما عنده لا ينال إلا بطاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببا وآفة: سببا
يجلبه، وآفة تبطله، فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفات المانعة منها معصيته، فإذا أراد
حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها.

ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدة في نفسه وغيره، وسماعا لما غاب عنه من أخبار من أزيلت
نعم الله عنهم بمعاصيه، وهو مقيم على معصية الله، كأنه مستثنى من هذه الجملة، أو مخصوص
من هذا العموم، وكأن هذا أمر جار على الناس لا عليه، وواصل إلى الخلق لا إليه، فأى جهل أبلغ
من هذا؟! وأي ظلم للنفس فوق هذا؟! فالحكم لله العلي الكبير. اهـ

الفائدة الثامنة والثمانون بعد الثلاث مائة: أخوة الدين أقوى من أخوة النسب

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره (٣٢٢ / ١٦):

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠: أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب. اهـ

الفائدة التاسعة والثمانون بعد الثلاث مائة: لولا المحن والمصائب؛ لأصاب العبد داء الكبر والعجب والفرعنة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (١٧٩ / ٤):

لولا محن الدنيا ومصائبها؛ لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظا لصحة عبوديته، واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعمة

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن، والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله - سبحانه - إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان - على قدر حاله - يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هدّبه ونقاه وشفاه؛ أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي: عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو: رؤيته وقربه. اهـ

الفائدة التسعون بعد الثلاث مائة: المرثي أجود ما يقوله الشعراء

قال الجاحظ في البيان والتبيين (٢ / ٢١٨):

قيل لأعرابي: ما بال المرثي أجود أشعاركم؟ قال: لأننا نقولها وأكبادنا تحترق. اهـ

الفائدة الحادية والتسعون بعد الثلاث مائة: لا سبيل لإقناع الزوجة بالتعدد

قال بعض الظراف: لا سبيل لإقناع الزوجة بالتعدد ولو كانت تقية؛ وإنما يؤخذ الأمر بغتة كالحرب، ثم يتم التفاوض من أجل السلام ووقف إطلاق النار. اهـ
قلت: وما كل مرة تسلم الجرة!

الفائدة الثانية والتسعون بعد الثلاث مائة: ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في رسالته "قاعدة في الصبر" (ص ٩٧):
ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله تعالى، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: "ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً"؛ فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عز في الظاهر، وهو يورث في الباطن ذلاً، والعفو ذل في الباطن، وهو يورث العز باطناً وظاهراً. اهـ

الفائدة الثالثة والتسعون بعد الثلاث مائة: الرجال أغير على البنات من النساء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٥/ ٤٢٣):
الرجال أغير على البنات من النساء؛ فلا تستوي غيرة الرجل على ابنته وغيره الأم أبداً، وكم من أم تساعد ابنتها على ما تهواه، ويحملها على ذلك ضعف عقلها، وسرعة انخداعها، وضعف داعي الغيرة في طبعها، بخلاف الأب؛ ولهذا المعنى وغيره جعل الشارع تزويجها إلى أبيها دون أمها، ولم يجعل لأمها ولاية على بضعها البتة، ولا على مالها. اهـ

الفائدة الرابعة والتسعون بعد الثلاث مائة: أجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً

قال أبو يعلى رحمه الله في طبقات الحنابلة (١/ ١٤٧):
قال حبيش بن مبشر الفقيه: قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والناس متوافرون فأجمعوا: أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً. اهـ
وصدق من قال:

أرني جوادا مات هزلا لعلي
أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

وقال آخر:

أروني بخيلا نال مجدا ببخله
وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

الفائدة الخامسة والتسعون بعد الثلاث مائة: كان أكولا

• الأول: سليمان بن عبد الملك بن مروان

قال عماد الدين صاحب حماه المتوفى سنة ٧٢٢هـ في المختصر في أخبار البشر (١/٢٠٠):
كثير الأكل، حج مرة، وكان الحر في الحجاز إذ ذاك شديداً، فتوجه إلى الطائف طلباً للبرودة،
وأتى برمان فأكل سبعين رمانةً، ثم أتى بجديّ وستّ دجاجات فأكلها، ثم أتى بزبيب من زبيب
الطائف فأكل منه كثيراً، ونعس فنام، ثم انتبه فأتوا بالغداء فأكل على عادته.
وقيل كان سبب موته أنه أتاه نصراني وهو نازل على دابق، بزنبيلين مملوئين تيناً وبيضاً، فأمر من
يقشر له البيض، وجعل يأكل بيضة وتينة، حتى أتى على الزنبيلين، ثم أتوه بمخ وسكر، فأكله
فاتخم، ومرض ومات، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز. اهـ

• الثاني: عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان

قال فيه الحافظ الذهبي رحمته الله في تاريخ الإسلام (٨/١٥٢):

قال المدائني: كان أكولا، يأكل في اليوم تسع مرات، ويتبته في السحر فيدعو بالطعام. اهـ

• الثالث: هلال بن الأشعر

قال البلاذري في أنساب الأشراف (١٣/٥٤):

هلال بن الأشعر، كان أكولا، زعموا أنه أكل بكرا، إلا ما حمل منه على ظهره. اهـ

• الرابع: الملك معز الدين محمود

قال ابن شداد الحلبي في الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ص ١٥١، بترقيم الشاملة

آليا)

توفي الملك المعظم معز الدين محمود بن معز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ابن آق سنقر - صاحب الجزيرة - في أواخر سنة ثمان وأربعين وستمائة. وكان سبب وفاته أنه كان أكولا، فأمعن يوماً في الأكل، فحصل له منه تخمة، فأقام بها أياماً قلائل، وتوفي إلى رحمة الله. اهـ

• الخامس: الملك العادل سيف الدين بن نجم الدين.

قال ابن تغري بردي في مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (١١/٢) في ترجمته:
وكان كثير الأكل؛ يأكل وحده خروفاً لطيفاً مشويماً. اهـ

الفائدة السادسة والتسعون بعد الثلاث مئة: التوحيد حصن الله الأعظم

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "بدائع الفوائد" (٢/٤٥):
فالتوحيد حصن الله الأعظم، الذي من دخله كان من الآمنين. قال بعض السلف: "من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء". اهـ

الفائدة السابعة والتسعون بعد الثلاث مئة: ابن دقيق العيد يرى أحد طلبته الميتين في المنام

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في "الدرر الكامنة" (٥/٣٥٢):
وقرأت بخط محمد بن عبد الرحمن العثماني - قاضي صفد - : أخبرني الأمير سيف الدين بلبان الحسامي قال: خرجت يوماً إلى الصحراء، فوجدت ابن دقيق العيد في الجبانة واقفاً، يقرأ ويدعو ويكي، فسألته فقال: صاحب هذا القبر كان من أصحابي، وكان يقرأ عليّ فمات، فرأيت البارحة، فسألته عن حاله، فقال: لما وضعتوني في القبر جاءني كلب أنفط كالسبع، وجعل يروعي فارتعبت، فجاء شخص لطيف في هيئة حسنة فطرده، وجلس عندي يؤنسني، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا ثواب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة. اهـ

الفائدة الثامنة والتسعون بعد الثلاث مئة: من كثر ماله كثر تعب

قال الوليد بن قيس: «من كثر ماله كثر تعب، ومن كثر تعبته كثر شياطينه، ومن كثر شياطينه اشتد حسابه». اهـ [الزهد لأحمد بن حنبل (ص ٣٠٩)]

الفائدة التاسعة والتسعون بعد الثلاث مئة: من نصح غيره فليصبر

قال ابن قتيبة في "عيون الأخبار" (١٧/٢):

قال مسعر: ما نصحت أحدا قطّ إلا وجدته يفتش عن عيوبي. اهـ

الفائدة الأربع مئة: قد تتأخر العقوبة وتأتي في آخر العمر

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في "صيد الخاطر" (ص ٣١٥):

وقد تتأخر العقوبة، وتأتي في آخر العمر، فيا طول التعثير مع كبر السن لذنوب كانت في الشباب! فالحذر الحذر من عواقب الخطايا، والبدار البدار إلى محوها بالإنابة، فلها تأثيرات قبيحة، إن أسرعت، وإلا اجتمعت وجاءت. اهـ

الفائدة الأولى بعد الأربع مئة: لا تفارقوا مجالس العلماء

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في "مفتاح دار السعادة" (١/٢١٣):

وقد روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبل تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب؛ فلا تفارقوا مجالس العلماء". اهـ

قلت: إن صح هذا الأثر وإلا فمعناه صحيح.

الفائدة الثانية بعد الأربع مئة: الحكمة في ابتلاء المؤمن

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في "فتح الباري" (١٠/١١٦):

وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه؛ بل إما لدفع مكروهه، أو لكفارة ذنوبه، أو لرفع منزله، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد. اهـ

الفائدة الثالثة بعد الأربع مئة: الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الدعاء، ووسطه وبعده، من أقوى أسباب إجابة الدعاء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٢٤٩):
فإن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء، وفي وسطه وآخره، من أقوى الأسباب التي يرجى بها
إجابة سائر الدعاء. اهـ

**الفائدة الرابعة بعد الأربع مئة: المعرضون عن الطريقة النبوية السلفية يجتمع فيهم اتباع شهوات
الغي، ومضلات الفتن**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "درء تعارض العقل والنقل" (١/ ١٦٦):
المعرضون عن الطريقة النبوية السلفية يجتمع فيهم هذا وهذا: اتباع شهوات الغي، ومضلات
الفتن؛ فيكون فيهم من الضلال والغي بقدر ما خرجوا عن الطريق الذي بعث الله به رسوله. اهـ

الفائدة الخامسة بعد الأربع مئة: حبل الكذب قصير

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "النبوات" (١/ ٥٥٧):
ولم يعرف قط في بني آدم أنه اشتبه صادق بكاذب إلا مدة قليلة، ثم يظهر الأمر. اهـ

الفائدة السادسة بعد الأربع مئة: لماذا لا نرى الله في الدنيا؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "بيان تلبيس الجهمية" (٥/ ٥١٣):
وإنما احتجب الله عن أعين الناس في الدنيا رحمة لهم؛ لأنه لو تجلّى في الدنيا لهذه الأعين
المخلوقة الفانية لصارت دكًا، وما احتملت النظر إلى الله تعالى؛ لأنها أبصار خلقت للفناء، لا
تحتمل نور البقاء، فإذا كان يوم القيامة ركبت الأبصار للبقاء، فاحتملت النظر إلى نور البقاء. اهـ

الفائدة السابعة بعد الأربع مئة: أهل السنة ليس فيهم تشدد، ولكن المجتمع ألف الميوعة

قال شيخنا العلامة الوادعي رحمه الله في "إجابة السائل" (ص ٣٦٤): أهل السنة ليس فيهم تشدد ولكن
الناس قد ألفوا الميوعة. اهـ

الفائدة الثامنة بعد الأربع مئة: فُشُوُ الغناء في المجتمع من أعظم أسباب زوال النعم، وحلول النقم

قال سماحة العلامة ابن باز رحمه الله كما في مجموع فتاواه (٤/ ١٦٢):

وقد علم كل ذي بصيرة وعلم بأحوال الناس أن فشو الغناء والملاهي في المجتمع من أعظم الأسباب لزوال النعم، وحلول النقم، وخراب الدولة، وزوال الملك، وكثرة الفوضى، والتباس الأمور.

فالجِدُّ الجِدُّ، والبِدَارُ البِدَارُ، قبل أن يحل بنا من أمر الله ما لا طاقة لنا به، وقبل أن تنزل بنا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منا خاصة، بل تعم الصالح والطالح، ويهلك بها الحرث والنسل، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ

الفائدة التاسعة بعد الأربع مئة: واجب العلماء تجاه خطي العالم

قال العلامة المعلمي رحمته الله كما في مجموع آثاره (١٥/٤٢٢):

وكم من عالم أخطأ في مسألة فلم يهتم إخوانه من العلماء بأن يزوروه ويذكروه فيها، أو يكاتبوه في شأنها، بل غاية ما يصنع أحدهم أن ينشر اعتراضه في مجلة أو رسالة يُشنع على ذلك العالم ويُجهّله، أو يبدّعه ويكفره، فتكون النتيجة عكس المطلوب. اهـ

الفائدة العاشرة بعد الأربع مئة: فضل علم الطب

قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول:

لا أعلم علما بعد الحلال والحرام، أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه. وقال حرملة: كان الشافعي يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب، ويقول: ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى. اهـ [سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٠/٥٧)]

الفائدة الحادية عشرة بعد الأربع مئة: السعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات

قال الإمام ابن حزم رحمته الله في "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" (ص ١٨):

السعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات، ونفرت من الرذائل والمعاصي، والشقي من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي، ونفرت من الفضائل والطاعات، وليس ها هنا إلا صنع الله تعالى وحفظه. اهـ

الفائدة الثانية عشرة بعد الأربع مئة: العاقل لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة

وقال عليه السلام (ص ١٨):

العاقل لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة أو جماد، وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة التي أبانه الله تعالى بها عن السباع والبهائم والجمادات، وهي التمييز الذي يشارك فيه الملائكة، فمن سر بشجاعته التي يضعها في غير موضعها لله وعليه السلام، فليعلم أن النمر أجراً منه، وأن الأسد والذئب والفيل أشجع منه، ومن سر بقوة جسمه فليعلم أن البغل والثور والفيل أقوى منه جسماً، ومن سر بحمله الأثقال فليعلم أن الحمار أحمل منه، ومن سر بسرعه عدوه فليعلم أن الكلب والأرنب أسرع عدواً منه، ومن سر بحسن صوته فليعلم أن كثيراً من الطير أحسن صوتاً منه، وأن أصوات المزامير ألد وأطرب من صوته، فأى فخر وأي سرور في ما تكون فيه هذه البهائم متقدمة عليه، لكن من قوي تمييزه، واتسع علمه، وحسن عمله، فليغتبط بذلك؛ فإنه لا يتقدمه في هذه الوجوه إلا الملائكة وخيار الناس. اهـ

الفائدة الثالثة عشرة بعد الأربع مئة: من فضائل العلم وقبائح الجهل

وقال عليه السلام (ص ٢١):

ولو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلونك، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك؛ لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه، فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة؟! ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء، ويغبط نظراءه من الجهال؛ لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه، فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة؟! لو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوسوس المضمنية، ومطرح الآمال التي لا تفيد غير الهم، وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس؛ لكان ذلك أعظم داع إليه، فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره؟! اهـ

الفائدة الرابعة عشرة بعد الأربع مئة: لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء

وقال عليه السلام (ص ٢٣):

لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها؛ فإنهم يجهلون، ويظنون أنهم

يعلمون، ويفسدون ويقدرّون أنهم يصلحون. اهـ

**الفائدة الخامسة عشرة بعد الأربع مئة: من طلب المال والجاه لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبة
والثعالب الخلبة**

وقال عليه السلام (ص ٢٤):

من طلب الجاه والمال واللذات لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبة والثعالب الخلبة، ولم يرافق في
تلك الطريق إلا كل عدو المعتقد خبيث الطبيعة. اهـ

الفائدة السادسة عشرة بعد الأربع مئة: من عرف بالدهاء كثر المتحفظون منه، وربما قتله دهاؤه

وقال عليه السلام (ص ٢٦):

احرص على أن توصف بسلامة الجانب، وتحفظ من أن توصف بالدهاء، فيكثر المتحفظون
منك، حتى ربما أضر ذلك بك، وربما قتلك. اهـ

الفائدة السابعة عشرة بعد الأربع مئة: وطن نفسك على ما تكره يقل همك

وقال عليه السلام (ص ٢٦):

وطن نفسك على ما تكره يقل همك إذا أتاك، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم
تكن قدرته. اهـ

الفائدة الثامنة عشرة بعد الأربع مئة: إذا تكاثرت الهموم سقطت كلها

وقال عليه السلام (ص ٢٦):

إذا تكاثرت الهموم سقطت كلها. اهـ

الفائدة التاسعة عشرة بعد الأربع مئة: السعيد في دنياه من لم يضطره الزمان إلى اختبار الإخوان.

وقال عليه السلام (ص ٢٦):

السعيد كل السعيد في دنياه من لم يضطره الزمان إلى اختبار الإخوان. اهـ

الفائدة التاسعة عشرة بعد الأربع مئة: الأحمق هو الذي يفرح بأن يمدح بما ليس فيه

وقال عليه السلام (ص ٤٧):

ولا يسرك أن تمدح بما ليس فيك، بل ليعظم غمك بذلك؛ لأنه نقصك: ينبه الناس عليه،
ويسمعهم إياه، وسخرية منك، وهزؤ بك، ولا يرضى بهذا إلا أحمق، ضعيف العقل.
ولا تأس إن ذممت بما ليس فيك، بل افرح به؛ فإنه فضلك: ينبه الناس عليه.
ولكن افرح إذا كان فيك ما تستحق به المدح، وسواء مدحت به أو لم تمدح، واحزن إذا كان فيك
ما تستحق به الذم، وسواء ذممت به أو لم تذم. اهـ

الفائدة العشرون بعد الأربع مئة: إن نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم!

وقال عليه السلام (ص ٤٩):

وإن نصحت بشرط القبول منك؛ فأنت ظالم، ولعلك مخطئ في وجه نصحك، فتكون مطالباً
بقبول خطئك، وبترك الصواب. اهـ

الفائدة الحادية والعشرون بعد الأربع مئة: كثير من التشبه بأهل الكتاب إنما يدعو إليها النساء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عليه السلام في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ١٣٣):

وكثير من مشاهبات أهل الكتاب في أعيادهم وغيرها، إنما يدعو إليها النساء. اهـ

الفائدة الثانية والعشرون بعد الأربع مئة: لا يجوز إطلاق الجاهلية على زمن مطلق بعد البعثة،

كقول بعض الجاهليين: جاهلية القرن العشرين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عليه السلام في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٥٨):

بعد مبعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تكون - يعني الجاهلية - في مصر دون مصر، كما هي في دار
الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم، فإنه في جاهلية - وإن كان في
دار الإسلام -، فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه لا تزال من
أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة. اهـ

الفائدة الثالثة والعشرون بعد الأربع مئة: الذي يشدد قد يتلى بأن يشدد الله عليه

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٣٢٣):

التشديد على النفس ابتداء، يكون سببا لتشديد آخر، يفعل الله: إما بالشرع وإما بالقدر. اهـ

الفائدة الرابعة والعشرون بعد الأربع مئة: حدود جزيرة العرب

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٥٤):

جزيرة العرب، التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة، ومن أقصى حجر باليمن، إلى أوائل الشام. اهـ

الفائدة الخامسة والعشرون بعد الأربع مئة: اعتياد التحدث بالعربية يزيد في العقل والخلق والدين

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٥٢٧):

واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق. اهـ

الفائدة السادسة والعشرون بعد الأربع مئة: من أغضب أهله لله؛ أرضاه الله وأرضاهم

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٦):

ومن أغضب أهله لله؛ أرضاه الله وأرضاهم، وليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك - أي التشبه بالكفار -، ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" اهـ

الفائدة السابعة والعشرون بعد الأربع مئة: أكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٦):

وأكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء، وفي صحيح البخاري عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة". اهـ

الفائدة الثامنة والعشرون بعد الأربع مئة: إذا بُتِر الكلام عن سببه وسياقه صارت المناقب مثالب

قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (١٥ / ٥):

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عثمان هو ابن موهب، قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهداها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر؛ فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا، وسهمه»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: «هذه يد عثمان». فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان» فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

الفائدة التاسعة والعشرون بعد الأربع مئة: صلاح السرائر من أعظم الذخائر

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في "سير أعلام النبلاء" (٧ / ١٧٩):

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

قلت: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله. اهـ

الفائدة الثلاثون بعد الأربع مئة: صلاح السرائر من أعظم أسباب دفاع الله عن العبد

قال ابن عيينة: سمعت أبا حازم يقول: لا تعادين رجلا ولا تناصبه حتى تنظر إلى سريرته بينه وبين الله، فإن يكن له سريرة حسنة؛ فإن الله لم يكن ليخذه بعداوتك، وإن كانت له سريرة رديئة، فقد كفاك مساوئه، ولو أردت أن تعمل به أكثر من معاصي الله لم تقدر. اهـ [سير أعلام النبلاء

للحافظ الذهبي رحمه الله (٦ / ٢٥٥)]

الفائدة الحادية والثلاثون بعد الأربع مئة: من عاجل عقوبة المستهزئ بحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الطبراني: سمعت أبا يحيى، زكريا بن يحيى الساجي قال: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعنا المشي، وكان معنا رجل ماجن، متهم في دينه، فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها - كالمستهزئ -، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط. اهـ [الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (ص ٨٥)]

الفائدة الثانية والثلاثون بعد الأربع مئة: من فارق الدليل ضل السبيل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في "المستدرک علی مجموع الفتاوى" (٦/٢): من فارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

الفائدة الثالثة والثلاثون بعد الأربع مئة: السفلة هم الذين يأكلون بدينهم

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مفتاح دار السعادة" (٣٤٤/١): قال ابن المبارك - وقد سئل: من الناس؟ - قال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه. اهـ

الفائدة الرابعة والثلاثون بعد الأربع مئة: ضرب أخماسا في أسداس

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مفتاح دار السعادة" (٧٥١/٢): هذه الأخماس التي جرت عليها السنة العامة والخاصة، حيث يقولون للمفكر المتأمل: "ضرب أخماسه في أسداسه"؛ فأخماسه: حواسه الخمس، وأسداسه: جهاته الست. اهـ

الفائدة الخامسة والثلاثون بعد الأربع مئة: من عرف قدره، وعرف لذي الفضل فضله؛ فقد قرع باب التوفيق

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مفتاح دار السعادة" (٢٦٣/١): من عرف قدره، وعرف لذي الفضل فضله؛ فقد قرع باب التوفيق، والله الفتح العليم. اهـ

الفائدة السادسة والثلاثون بعد الأربع مئة: من عرض عليه حق فرده ولم يقبله؛ عوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مفتاح دار السعادة" (١/٢٧٢):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ الصف: ٥ ، فعاقبهم سبحانه بإزاغة قلوبهم عن الحق لما زاغوا عنه ابتداء.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الأنعام: ١١٠.

ولهذا قيل: "من عرض عليه حق فرده ولم يقبله؛ عوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه".
ومن هنا قيل: "لا رأي لصاحب هوى"؛ فإن هواه يحمله على رد الحق، فيفسد الله عليه رأيه وعقله. اهـ

الفائدة السابعة والثلاثون بعد الأربع مئة: أبيات فيها حكمة

قال الشاعر:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

وقال آخر:

وإذا تأملت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وقال آخر:

تزول الجبال الراسيات وقلبه على العهد لا يلوي ولا يتغير

وقال آخر:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقال آخر:

وهبك تقول إن الصبح ليل أيعمى الناظرون عن الضياء

وقال آخر:

ولربما ابتسم الكريم على الأذى وفؤاده في جنبه يتأوه

ولربما خزن الفتى لسانه حذر الجواب وإنه لمفوه

الفائدة الثامنة والثلاثون بعد الأربع مئة: كلام عظيم يملأ القلب إيمانا حول دعاء الاستخارة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥):

صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاجل أمري وآجله، فاقدره لي، ويسره لي، وبارك لي فيه، وإن كنت تعلمه شرا لي في ديني ومعاشي، وعاجل أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به " قال: ويسمي حاجته»، قال: رواه البخاري.

فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بهذا الدعاء، عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والاستقسام بالأزلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها إخوان المشركين، يطلبون بها علم ما قسم لهم في الغيب، ولهذا سمي ذلك استقساما، وهو استفعال من القسم، والسين فيه للطلب وعوضهم بهذا الدعاء - الذي هو توحيد وافتقار، وعبودية وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله، الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبده رحمة، لم يستطع أحد حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليه - من التطير والتنجيم واختيار الطالع

ونحوه.

فهذا الدعاء، هو الطالع الميمون السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق، الذين سبقت لهم من الله الحسنى، لا طالع أهل الشرك والشقاء والخذلان، الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، فسوف يعلمون.

فتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه، والإقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدة نفسه، والتبري من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها، وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإلهه الحق. اهـ

الفائدة التاسعة والثلاثون بعد الأربع مئة: علم الفرائض من علم الخاصة، وكثير من الفقهاء لا يعرفه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في "الاستقامة" (١/٥٨):

علم الفرائض من علم الخاصة، حتى أن كثيراً من الفقهاء لا يعرفه، فهو عند العلماء به من علم الفقه اليقين المقطوع به، وليس عند أكثر المنتسبين إلى العلم فضلاً عن العامة به علم ولا ظن. اهـ وقد قيل في هذا العلم: علم شهر فخر دهر.

الفائدة الأربعون بعد الأربع مئة: لماذا يرجع إذا رأى منكراً في عرس لا يقدر على إزالته ولا يرجع إذا رأى منكراً في جنازة؟

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "إعلام الموقعين" (٦/١٢٠):

وقد نص الإمام أحمد على أن الرجل إذا شهد الجنازة فرأى فيها منكراً لا يقدر على إزالته أنه لا يرجع، ونص على أنه إذا دعي إلى وليمة عرس فرأى فيها منكراً لا يقدر على إزالته أنه يرجع، فسألت شيخنا عن الفرق؟ فقال: لأن الحق في الجنازة للميت، فلا يترك حقه لما فعله الحي من المنكر، والحق في الوليمة لصاحب البيت، فإذا أتى فيها بالمنكر، فقد أسقط حقه من الإجابة. اهـ

الفائدة الحادية والأربعون بعد الأربع مئة: من أحب أن يعفو الله عنه فليعف عن عباد الله

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٢/ ٧٧٣):

اعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك، ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك، ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم، ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل. اهـ

الفائدة الثانية والأربعون بعد الأربع مئة: العلم إنما يراد للعمل

قال الخطيب البغدادي رحمه الله في "اقتضاء العلم العمل" (ص ١٥)

والعلم يراد للعمل، كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرا عن العلم، كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً. قال بعض الحكماء: العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم؛ فلولا العمل لم يطلب علم، ولولا العلم لم يطلب عمل. اهـ

الفائدة الثالثة والأربعون بعد الثلاث مئة: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل

قال الخطيب البغدادي رحمه الله في "اقتضاء العلم العمل" (ص ٧٩)

كان معروف الكرخي، يقول: «إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل». اهـ

الفائدة الرابعة والأربعون بعد الأربع مئة: ذنوبك سلطت الأعداء عليك

أغلظ رجل لو كيع بن الجراح، فدخل وكيع بيتاً، فعفر وجهه بالتراب، ثم خرج إلى الرجل، فقال زد وكيعاً بذنبه، فلولا ما سلطت عليه. اهـ [تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٧)]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٢/ ٧٧١):

ليس في الوجود شر من الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي من الذنوب عوفي من موجباتها، فليس للعبد إذا بغى عليه وأوذى، وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح. اهـ

الفائدة الخامسة والأربعون بعد الأربع مئة: إذا اشتد اليأس أنزل الله لطفه وفرجه

قال العلامة السعدي رحمته الله في "القواعد الحسان لتفسير القرآن" (ص ١٤٤):

إذا اشتد البأس، وكاد أن يستولي على النفوس اليأس، أنزل الله فرجه ونصره؛ ليصير لذلك موقع في القلوب، وليعرف العباد ألطف علام الغيوب. اهـ

الفائدة السادسة والأربعون بعد الأربع مئة: هو إلى تعلم الصمت أحوج

قيل لإبراهيم بن أدهم: إن فلانا يتعلم النحو، فقال: «هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج».

[حلية الأولياء (٨ / ١٦)].

الفائدة السابعة والأربعون بعد الأربع مئة: السكوت ستر جميل للجاهل

قال الماوردي في "أدب الدنيا والدين" (ص ٢٧٦):

كان شاب يجالس الأحنف ويطيل الصمت، فأعجب ذلك الأحنف، فخلت الحلقة يوماً، فقال له الأحنف: تكلم يا ابن أخي. فقال: يا عم لو أن رجلاً سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضره شيء؟ قال: يا ابن أخي، ليتنا تركناك مستورا. ثم تمثل الأحنف بقول الأعور الشني:

وكائن ترى من صاحب لك معجب
زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وكالذي حُكي عن أبي يوسف الفقيه، أن رجلاً كان يجلس إليه فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تسأل؟ قال: بلى. متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غربت الشمس. قال: فإن لم تغرب إلى

نصف الليل؟ قال: فتبسم أبو يوسف رحمته الله وتمثل بييتي الخطفي جد جرير:

عجبت لإزراء العيي بنفسه
وصمت الذي قد كان بالعلم أعلما

وفي الصمت ستر للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

ومما أُطْرِفُكَ به عني، أني كنت يوما في مجلسي بالبصرة، وأنا مقبل على تدريس أصحابي، إذ دخل عليّ رجل مسن - قد ناهز الثمانين أو جاوزها -، فقال لي: قد قصدتك بمسألة اخترتك لها. فقلت: اسأل - عافاك الله -، وظننته يسأل عن حادث نزل به، فقال: أخبرني عن نجم إبليس ونجم آدم، ما هو؟ فإن هذين لعظم شأنهما لا يسأل عنهما إلا علماء الدين.

فعجبت، وعجب من في مجلسي من سؤاله، وبدر إليه قوم منهم بالإنكار والاستخفاف، فكففتهم وقلت: هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله إلا بجواب مثله. فأقبلت عليه، وقلت: يا هذا، إن المنجمين يزعمون أن نجوم الناس لا تعرف إلا بمعرفة مواليدهم، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله. فحيثئذ أقبل عليّ وقال: جزاك الله خيرا، ثم انصرف مسرورا، فلما كان بعد أيام عاد وقال: ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولد هذين. اهـ

الفائدة الثامنة والأربعون بعد الأربع مئة: كراهة السلف لفضول الكلام

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في "سير أعلام النبلاء" (٧/ ٥٢٣):

قال بشر الحافي: كان المعافي صاحب دنيا واسعة، وضياع كثيرة، قال مرة رجل: ما أشد البرد اليوم! فالتفت إليه المعافي، وقال: استفأت الآن؟! لو سكت؛ لكان خيرا لك. قلت: قول مثل هذا جائز، لكنهم كانوا يكرهون فضول الكلام، واختلف العلماء في الكلام المباح، هل يكتبه الملكان؟ أم لا يكتبان إلا المستحب الذي فيه أجر، والمذموم الذي فيه تبعة؟ والصحيح كتابة الجميع، لعموم النص في قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ق: ١٨، ثم ليس إلى الملكين اطلاع على النيات والإخلاص، بل يكتبان النطق، وأما السرائر الباعثة للنطق، فالله يتولاها. اهـ

الفائدة التاسعة والأربعون بعد الأربع مئة: عافية يومي أن لا أعصي الله فيه

قال رجل لحاتم الأصم: ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يومي إلى الليل، فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ قال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه. اهـ [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

الفائدة الخمسون بعد الأربع مئة: من مجاهدة العلماء لأنفسهم على ترك الغيبة

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في "سير أعلام النبلاء" (٨/١٥):

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا حرملة: سمعت ابن وهب يقول: نذرت أني كلما اغتبت إنسانا أن أصوم يوما؛ فأجهدي، فكنت أعتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة.

قلت: هكذا -والله- كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النافع، وعبد الله حجة مطلقا، وحديثه كثير في الصحاح، وفي دواوين الإسلام. اهـ

الفائدة الحادية والخمسون بعد الأربع مئة: من أعظم العبادة الكف عن أعراض الناس

وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس. [الإحياء (٣/١٤٣)]

الفائدة الثانية والخمسون بعد الأربع مئة: وكم من متورع عن الفواحش لا يتورع عن أعراض الناس

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" (ص ١٥٩):
ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحترام من أكل الحرام، والظلم، والزنى، والسرقه، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات -من سخط الله- لا يلقي لها بالا، ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول. اهـ

الفائدة الثالثة والخمسون بعد الأربع مئة: كف اللسان وضبطه وحسنه هو أصل الخير كله

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في "جامع العلوم والحكم" (٢/١٤٦) في الكلام على حديث:

«ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه فقال: كف عليك هذا»: هذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه، فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه. اهـ

الفائدة الرابعة والخمسون بعد الأربع مئة: لا تكتبه بماء الذهب، ولكن اعمل بما فيه

قال نجيد الترمذي: كنت عند مالك، وعنده محمد والمأمون يسمعان منه الحديث، فلما فرغا قال أحدهما: يا أبا عبد الله، أتأمرني أن أكتبه بماء الذهب؟

فقال: لا تكتبه بماء الذهب، ولكن اعمل بما فيه. اهـ [حرمة أهل العلم (ص ٤٠٥)]

الفائدة الخامسة والخمسون بعد الأربع مئة: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في "سير أعلام النبلاء" (٣٩٨ / ١٤):

قال الحافظ ابن عساكر: كان العبدري أحفظ شيخ لقيته، وكان فقيها داوديا، ذكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء، وسمعتة وقد ذكر مالك، فقال: جلف جاف، ضرب هشام بن عمار بالدرّة، وقرأت عليه "الأموال" لأبي عبيد فقال _ وقد مر قول لأبي عبيد: ما كان إلا حمارا مغفلا، لا يعرف الفقه. وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء، فاجتمعنا يوما عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب "الكامل"، فجاء فيه: وقال السعدي كذا، فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجوزجاني، فقلت له: فهو السعدي، فإلى كم نحتمل منك سوء الأدب، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد؟! فغضب وأخذته الرعدة، وقال: كان ابن الخاضبة والبرداني وغيرهما يخافوني، فآل الأمر إلى أن تقول في هذا؟! فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك، فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة. اهـ

الفائدة السادسة والخمسون بعد الأربع مئة: من انتقص الصحابة فهو زنديق

قال الحافظ السخاوي رحمته الله في "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" (٩٥ / ٤):

قال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدّى إلينا

ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة. اهـ.

الفائدة السابعة والخمسون بعد الأربع مئة: اسكت لا شيخ لك

قال القاضي عياض رحمته الله في "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" (١٠٣/٧):

وبلغني أنه - يعني أبا جعفر الداودي الأسدي - كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك، فأجابوه: اسكت لا شيخ لك. أي: لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويشيرون أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنهم لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرق من بقي فيها من العامة الألف والآلاف فرجحوا خير الشرين، والله أعلم. اهـ.

الفائدة الثامنة والخمسون بعد الأربع مئة: أقمت لك بها جندا لا ترد سهامهم بالأسحار

قال ابن العطار في "تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين" (ص ١١٢):

وقد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك، حين أنكر عليه السلطان صرف الأموال الكثيرة في جهة طلبة العلم، فقال: "أقمت لك بها جندا لا ترد سهامهم بالأسحار". فاستصوب فعله، وساعده عليه. اهـ.

الفائدة التاسعة والخمسون بعد الأربع مئة: اتق الله في المشايخ، فربما استجيبت فيك دعوة

قال الحافظ أبو العباس الحسن بن سفيان لمن أثقل عليه في الأسئلة من طلبة العلم يختبره فيها: ما هذا؟! قد احتملتك مرتين وأنا ابن تسعين سنة، فاتق الله في المشايخ، فربما استجيبت فيك دعوة. اهـ [سير أعلام النبلاء (٩٩/١١)].

الفائدة الستون بعد الأربع مئة: من قواعد الشرع أن من عظمت حسناته ونفعه في الإسلام أنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مفتاح دار السعادة" (٥٤/١):

من قواعد الشرع والحكمة أيضا: أن من كثرت حسناته وعظمت، وكان له في الإسلام تأثير ظاهر، فإنه يحتمل له ما لا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره؛ فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل أدنى خبث يقع فيه. اهـ

الفائدة الحادية والستون بعد الأربع مئة: هل يدخل العالم على السلاطين ليعظهم؟

قال القاضي عياض في "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" (٩٥/٢):

وقيل لمالك: تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون؟ فقال: يرحمك الله، وأين المتكلم بالحق؟ وقال مالك: حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئا من العلم والفقهاء أن يدخل إلى ذي سلطان: يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويعظه، حتى يتبين دخول العالم على غيره؛ لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل. اهـ

الفائدة الثانية والستون بعد الأربع مئة: كل مسلم لم يعلم أنه منافق جاز الاستغفار له والصلاة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة النبوية" (٢٣٥/٥):

فكل مسلم لم يعلم أنه منافق جاز الاستغفار له، والصلاة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسق، لكن لا يجب على كل أحد أن يصلي عليه. اهـ

الفائدة الثالثة والستون بعد الأربع مئة: من إجلال شيخ الإسلام لأهل العلم

ذكر السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" (٣٤٢/١٥) في ترجمة علاء الدين الباجي:

أنه لما رآه ابن تيمية عظمه، ولم يجر بين يديه بلفظة، فأخذ الشيخ علاء الدين يقول: تكلم نبحت معك، وابن تيمية يقول: مثلي لا يتكلم بين يديك، أنا وظيفتي الاستفادة منك. اهـ

الفائدة الرابعة والستون بعد الأربع مئة: من دعاء العلماء بعضهم لبعض

قال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٣٤١/١):

أنبأنا الحسن بن أحمد بن الليث، قال: سمعت أحمد بن حنبل وسأله رجل فقال: بالري شاب يقال له: أبو زرعة، فغضب أحمد وقال: تقول شاب؟! كالممنكر عليه، ثم رفع يديه، وجعل يدعو

الله ﷻ لأبي زرعة، ويقول: اللهم انصره على من بغى عليه، اللهم عافه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم... اللهم... في دعاء كثير.

قال الحسن: فلما قدمت، حكيت ذلك لأبي زرعة، وحملت إليه دعاء أحمد بن حنبل له، وكنت كتبه عنه، فكتبه أبو زرعة، وقال لي أبو زرعة: ما وقعت في بلية فذكرت دعاء أحمد إلا ظننت أن الله ﷻ يفرج بدعائه عني.

وقال - ابن أبي حاتم -: رأيت في كتاب عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني المعروف برسته من أصبهان إلى أبي زرعة بخطه:

اعلم - رحمك الله - إني ما أكاد أنساك في الدعاء لك ليلي ونهاري، أن يمتع المسلمون بطول بقائك؛ فإنه لا يزال الناس بخير ما بقي من يعرف العلم وحقه من باطله، ولولا ذلك لذهب العلم وصار الناس إلى الجهل. اهـ

قال الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (١٠ / ٤٩٣):

كان لأبي حمدون - أحد القراء المشهورين - صحيفة فيها مكتوب ثلاث مئة من أصدقائه. قال: وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركهم ليلة فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون لم تسرح مصابيحك الليلة.

قال: فقعد فأسرح، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحد حتى فرغ. اهـ

الفائدة الخامسة والستون بعد الأربع مئة: إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا

متى يصل العطاش إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا

ومن يُثني الأصغر عن مراد وقد جلس الأكابر في الزوايا

وإن ترفع الوضعاء يوما على الرفعاء من إحدى الرزايا

إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا

الفائدة السادسة والستون بعد الأربع مئة: من دعائم الفتوى والمفتي أن يكون عنده كفاية تغنيه عما في أيدي الناس؛ لأنه إذا احتاج إلى الناس مات علمه وهو ينظر

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٦/١٥٥):
ذكر أبو عبد الله بن بطة في "كتابه في الخلع" عن الإمام أحمد أنه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال:

أولها: أن تكون له نية، فإن لم تكن له نية لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور.

والثانية: أن يكون له علم وحلم، ووقار، وسكينة.

الثالثة: أن يكون قويا على ما هو فيه، وعلى معرفته.

الرابعة: الكفاية، وإلا مضغه الناس.

الخامسة: معرفة الناس.

وهذا مما يدل على جلالة أحمد ومحله من العلم والمعرفة، فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي شيء نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه... إلى أن قال (٦/١١٣):

وأما قوله: "الرابعة الكفاية، وإلا مضغه الناس"؛ فإنه إذا لم يكن له كفاية احتاج إلى الناس، وإلى الأخذ مما في أيديهم، فلا يأكل منهم شيئا إلا أكلوا من لحمه وعرضه أضعافه، وقد كان لسفيان الثوري شيء من مال، وكان لا يتروى في بذله، ويقول: لولا ذلك لتمندل بنا هؤلاء، فالعالم إذا منح غناء، فقد أُعِينَ على تنفيذ علمه، وإذا احتاج إلى الناس، فقد مات علمه وهو ينظر. اهـ

الفائدة السابعة والستون بعد الأربع مئة: الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (١/٢١٩):

والناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم، ولكل زمان دولة ورجال. اهـ

الفائدة الثامنة والستون بعد الأربع مئة: من عجائب المتعالمين وصفاتهم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (١١٨ / ٦):

كثير منهم نصيبهم مثل ما حكاه أبو محمد بن حزم، قال: كان عندنا مفت قليل البضاعة فكان لا يفتي حتى يتقدمه من يكتب الجواب، فيكتب تحته: جوابي مثل جواب الشيخ، فقدر أن يختلف مفتيان في جواب، فكتب تحتهما: جوابي مثل جواب الشيخين، ف قيل له: إنهما قد تناقضا، فقال: وأنا أيضا تناقضت، كما تناقضا.

وقد أقام الله سبحانه لكل عالم ورئيس وفاضل من يظهر مماثلته، ويرى الجهال - وهم الأكثرون - مساجلته ومشاكلته، وأنه يجري معه في الميدان، وأنهما عند المسابقة كَفَرَسِي رهان، ولا سيما إذا طَوَّل الأردان، وأرخی الذوائب الطويلة وراءه كَذَنِبِ الأتان، وهذر باللسان، وخلا له الميدان الطويل من الفرسان.

فلو لبس الحمار ثياب خنز لقال الناس: يا لك من حمار!

وهذا الضرب إنما يستفتون بالشكل لا بالفضل، وبالمناصب لا بالأهلية، قد غرهم عكوف من لا علم عنده عليهم، ومسارعة أجهل منهم إليهم، تُعْجُ منهم الحقوق إلى الله تعالى عجيجا، وتضجُّ منهم الأحكام إلى من أنزلها ضجيجا، فمن أقدم - بالجرأة - على ما ليس له بأهل: فتيا أو قضاء أو تدريس استحق اسم الدم، ولم يحل قبول فتياه ولا قضائه، هذا حكم دين الإسلام.

وإن رغمت أنوف من أناس فقل يا رب لا ترغم سواها

الفائدة التاسعة والستون بعد الأربع مئة: كلمة جمعت أصول أعمال القلب وفروعه

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (١١٢ / ٦):

لقد جمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصول أعمال القلب وفروعها كلها في كلمة واحدة، وهي قوله في الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه"، فتأمل كل مقام من مقامات الدين، وكل عمل من أعمال القلوب، كيف تجد هذا أصله ومنبعه. اهـ

الفائدة السبعون بعد الأربع مئة: من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (١١٦ / ٦):
قال عبد الله بن مسعود: "إن كل من يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون".
قال الأعمش: فذكرت ذلك للحكم، فقال: لو حدثني به قبل اليوم ما أفتيت في كثير مما كنت
أفتي به. اهـ

الفائدة الحادية والسبعون بعد الأربع مئة: لا أدري نصف العلم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٤٤٣ / ٣ - ٤٤٥):
وصح عن ابن مسعود وابن عباس: من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون.
وقال ابن شبرمة: سمعت الشعبي إذا سئل عن مسألة شديدة قال: رُبَّ ذات وبر لا تنقاد ولا
تنساق، ولو سئل عنها الصحابة لعضلت بهم.
وقال أبو حصين الأسدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر.
وقال ابن سيرين: لأن يموت الرجل جاهلا خيرا له من أن يقول ما لا يعلم.
وقال القاسم: من إكram الرجل نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه، وقال: يا أهل العراق، والله
لا نعلم كثيرا مما تسألوننا عنه، ولأن يعيش الرجل جاهلا - إلا أن يعلم ما فرض الله عليه - خيرا
له من أن يقول على الله ورسوله ما لا يعلم.
وقال مالك: من فقه العالم أن يقول: "لا أعلم"؛ فإنه عسى أن يتهيا له الخير.
وقال: سمعت ابن هرمرز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده: "لا أدري"، حتى يكون
ذلك أصلا في أيديهم يفرعون إليه.
وقال الشعبي: "لا أدري" نصف العلم.
وقال ابن جبير: ويل لمن يقول لما لا يعلم: إني أعلم.
وقال الشافعي: سمعت مالكا يقول: سمعت ابن عجلان يقول: إذا أغفل العالم "لا أدري"
أصيبت مقاتله، وذكره ابن عجلان عن ابن عباس.
وقال عبد الرحمن بن مهدي: جاء رجل إلى مالك، فسأله عن شيء، فمكث أياما ما يجيبه، فقال:

يا أبا عبد الله إنني أريد الخروج وقد طال التردد إليك، فأطرق طويلا ورفع رأسه فقال: ما شاء الله!
يا هذا إنني أتكلم فيما احتسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرف، قال: وكان
يقول: التآني من الله والعجلة من الشيطان.

وهذا الكلام قد رواه الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس أن
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "التآني من الله والعجلة من الشيطان"، وإسناده جيد.

وقال ابن المنكدر: العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم.

وقال ابن وهب: قال لي مالك - وهو ينكر كثرة الجواب في المسائل - : يا عبد الله، ما علمت فقل،
وإياك أن تقلد الناس قلادة سوء. اهـ

الفائدة الثانية والسبعون بعد الأربع مئة: ليس للمفتي أن يوقع المستفتي في الحيرة والشك

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٦/٧٥):

لا يجوز للمفتي الترويج وتخيير السائل، وإلقاؤه في الإشكال والحيرة، بل عليه أن يبين بيانا مزيلا
للإشكال، متضمنا لفصل الخطاب، كافيا في حصول المقصود، لا يحتاج معه إلى غيره، ولا يكون

كالمفتي الذي سئل عن مسألة في المواريث فقال: يقسم بين الورثة على فرائض الله ويعلم. وكتبه

فلان، وسئل آخر عن صلاة الكسوف فقال: تصلى على حديث عائشة، وإن كان هذا أعلم من

الأول، وسئل آخر عن مسألة من الزكاة فقال: أما أهل الإيثار فيخرجون المال كله، وأما غيرهم

فيخرج القدر الواجب عليه أو كما قال.

وسئل آخر عن مسألة فقال: فيها قولان، ولم يزد.

قال أبو محمد بن حزم: وكان عندنا مفت إذا سئل عن مسألة لا يفتي فيها حتى يتقدمه من يكتب

فيكتب [هو]: جوابي فيها مثل جواب الشيخ، فقد أن مفتين اختلفا في جواب فكتب تحت

جوابهما: جوابي مثل جواب الشيخين، فقل له: إنهما قد تناقضا فقال: وأنا أتناقض كما تناقضا.

وكان في زماننا رجل مشار إليه بالفتوى، وهو مقدم في مذهبه، وكان نائب السلطان يرسل إليه في

الفتاوى فيكتب يجوز كذا أو يصح كذا، أو ينعقد بشرطه فأرسل إليه يقول له: تأتينا فتاوى منك فيها يجوز أو ينعقد أو يصح بشرطه، ونحن لا نعلم شرطه، فإما أن تبين شرطه، وأما أن لا تكتب ذلك.

وسمعت شيخنا يقول: كل أحد يحسن أن يفتي بهذا الشرط، فإن أي مسألة وردت عليه يكتب فيها يجوز بشرطه أو يصح بشرطه أو يقبل بشرطه ونحو ذلك، وهذا ليس بعلم، ولا يفيد فائدة أصلا سوى حيرة السائل وتنكده، وكذلك قول بعضهم في فتاويه: يرجع في ذلك إلى رأي الحاكم، فيا سبحان الله! والله لو كان الحاكم شريحا وأشباهه لما كان مرد أحكام الله ورسوله إلى رأيه، فضلا عن حكام زماننا، فالله المستعان. اهـ

الفائدة الثالثة والسبعون بعد الأربع مئة: كل قول وفعل صادر عن تأويل فلا مؤاخذه فيه

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٥/٥١٠):

وأجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل مال أو دم أصيب بتأويل القرآن، فهو هدر في قتالهم في الفتنة، قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم متوافرون، فأجمعوا على أن كل مال أو دم أصيب بتأويل القرآن فهو هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية، ولم يؤاخذ النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين رمى حاطب بن أبي بلتعة المؤمن البدري بالنفاق لأجل التأويل، ولم يؤاخذ أسيد بن حضير بقوله لسعد سيد الخزرج: "إنك منافق تجادل عن المنافقين"؛ لأجل التأويل، ولم يؤاخذ من قال عن مالك بن الدخشم: "ذلك المنافق نرى وجهه وحديثه إلى المنافقين"؛ لأجل التأويل، ولم يؤاخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ضرب صدر أبي هريرة حتى وقع على الأرض، وقد ذهب للتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره، فمنعه عمر وضربه، وقال: "ارجع"، وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعله، ولم يؤاخذ لأجل التأويل. اهـ

الفائدة الرابعة والسبعون بعد الأربع مئة: من أفتى بخلاف ما يألفه السامع فعليه أن يقدم بمقدمة

تسهل قبوله

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٤/ ٢٠٨):

إذا كان الحكم مستغربا جدا مما لم تألفه النفوس، وإنما ألفت خلافه، فينبغي للمفتي أن يوطئ قبله ما يكون مؤذنا به، كالدليل عليه والمقدمة بين يديه، فتأمل ذكره -سبحانه- قصة زكريا وإخراج الولد منه بعد انصرام عصر الشبيبة وبلوغه السن الذي لا يولد فيه لمثله في العادة، فذكر قصته مقدمة بين يدي قصة المسيح وولادته من غير أب؛ فإن النفوس لما آنست بولد من بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة سهل عليه التصديق بولادة ولد من غير أب، وكذلك ذكر -سبحانه- قبل قصة المسيح موافاة مريم رزقها في غير وقته وغير إبانته، وهذا الذي شجع نفس زكريا وحركها لطلب الولد وإن كان في غير إبانته، وتأمل قصة نسخ القبلة لما كانت شديدة على النفوس جدا كيف وطأ -سبحانه- قبلها عدة موطئات. . . ثم ذكرها إلى أن قال: والمقصود أن المفتي جدير أن يذكر ين يدي الحكم الغريب الذي لم يؤلف مقدمات، تؤنس به، وتدل عليه، وتكون توطئة بين يديه، وبالله التوفيق. اهـ

الفائدة الخامسة والسبعون بعد الأربع مئة: أسئلة السائلين لا تخرج عن أربعة أنواع لا خامس لها

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٤/ ١٩٩):

أسئلة السائلين لا تخرج عن أربعة أنواع لا خامس لها:

الأول: أن يسأل عن الحكم فيقول: ما حكم كذا وكذا؟

الثاني: أن يسأل عن دليل الحكم.

الثالث: أن يسأل عن وجه دلالة.

الرابع: أن يسأل عن الجواب عن معارضيته. اهـ

الفائدة السادسة والسبعون بعد الأربع مئة: السر في خروج الخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مباشرة إلى أبي بكر وعمر وعثمان لا إلى علي رضي الله عنه أجمعين

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٣/ ١١٦٨):

السر - والله أعلم - في خروج الخلافة عن أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي بكر وعمر وعثمان: أن عليا لو تولَّى الخلافة بعد موته، لأوشك أن يقول المبطلون: إنه ملك ورث ملكه أهل بيته، فصان الله منصب رسالته ونبوته عن هذه الشبهة، وتأمل قول هرقل لأبي سفيان: هل كان في آباءه من ملك؟ قال: لا، فقال له: لو كان في آباءه ملك لقلت: رجل يطلب ملك آباءه، فصان الله منصبه العليّ من شبهة الملك في آباءه وأهل بيته وهذا - والله أعلم - هو السر في كونه لم يورث هو والأنبياء، قطعاً لهذه الشبهة؛ لئلا يظن المبطل أن الأنبياء طلبوا جمع الدنيا لأولادهم وورثتهم، كما يفعل الإنسان من زهده في نفسه وتوريثه ماله لولده وذريته، فصانهم الله من ذلك، ومنعهم من توريث ورثتهم شيئاً من المال، لئلا تتطرق التهمة إلى حجج الله ورسوله، فلا يبقى في نبوتهم ورسالتهم شبهة أصلاً.

ولا يقال: فقد وليها علي وأهل بيته؛ لأن الأمر لما استقر أنها ليست بملك موروث، وإنما هي خلافة نبوة تستحق بالسبق والتقدم، كان علي في وقته هو سابق الأمة وأفضلها، ولم يكن فيهم حين وليها أولى بها منه، ولا خيراً منه، فلم يحصل لمبطل بذلك شبهة والحمد لله تعالى. اهـ

الفائدة السابعة والسبعون بعد الأربع مئة: الحكمة في كون اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي "بدائع الفوائد" (٣/١١٦٧):

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"

لأن اللعان إساءة، بل من أبلغ الإساءة، والشفاعة إحسان، فالمسيء في هذه الدار باللعان يسلبه الله الإحسان في الآخرة بالشفاعة، فإن الإنسان إنما يحصد ما يزرع، والإساءة مانعة من الشفاعة التي هي إحسان.

وأما منع اللعان من الشهادة فإن اللعان عداوة، وهي منافية للشهادة؛ ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الشفعاء وشفيع الخلائق؛ لكمال إحسانه ورأفته ورحمته بهم، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ

الفائدة الثامنة والسبعون بعد الأربع مئة: ثلاثة من الصحابة جمعوا بين كونهم أنصاراً مهاجرين

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٤/ ١٣٢٩):

ثلاثة من الصحابة جمعوا بين كونهم أنصارا مهاجرين، ذكرهم ابن إسحاق في "سيرته":
أحدهم: ذكوان بن عبد قيس، من بني الخزرج، قال ابن إسحاق: كان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معه بمكة ثم هاجر منها إلى المدينة، وكان يقال له: مهاجري أنصاري شهد بدرًا، وقتل بأحد شهيدا.

والعباس بن عباد بن نضلة، من بني الخزرج أيضا، قال ابن إسحاق: كان فيمن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، فأقام معه بها، قتل يوم أحد شهيدا.
وعقبة بن وهب، خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة، وكان يقال له: مهاجري أنصاري، حليف لبني الخزرج. اهـ.

الفائدة التاسعة والسبعون بعد الأربع مئة: بيت من الشعر يشتمل على أربعين ألف وثلاث مئة وعشرين بيتا من الشعر

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٣/ ١٢٣٥):

قال بعض الفضلاء بيتا من الشعر يشتمل على أربعين ألف وثلاث مئة وعشرين بيتا من الشعر، وهو لزين الدين المغربي:

لقلبي حبيب مليح ظريف بديع جميل رشيق لطيف

وبيان ذلك: أن هذا البيت ثمانية أجزاء، يمكن أن ينطق بكل جزء من أجزائه مع الجزء الآخر، فتنقل كل كلمة ثمانية انتقالات، فالجزءان الأولان "لقلبي حبيب" يتصور منهما صورتان بالتقديم والتأخير.

ثم خذ الجزء الثالث فيحدث منه مع الأولين ست صور؛ لأن له ثلاثة أحوال؛ تقديمه عليهما وتأخيرهما وتوسطهما، ولهما حالان، فاضرب أحواله في الحالين يكن ستة.

ثم خذ الجزء الرابع، وله أربعة أحوال، فاضربها في الستة التي قبله تكن أربعة وعشرين.

ثم خذ الخامس تجد له خمسة أحوال، فاضربها في الصور المتقدمة، وهي أربعة وعشرون تكن مئة وعشرين.

ثم خذ السادس تجد له ستة أحوال، فاضربها في مئة وعشرين تكن سبع مئة وعشرين.

ثم خذ السابع تجد له سبعة أحوال، فاضربها في سبع مئة وعشرين تكن خمسة آلاف وأربعين.

ثم خذ الثامن تجد له أحوال ثمانية، فاضربها في خمسة آلاف وأربعين تكن ألفا وثلاث مئة وعشرين بيتا فامتحنها تجدها كذلك.

ومثله لي قلته في القدس:

محب صبور غريب فقير وحيد ضعيف كتوم حمول

الفائدة الثمانون بعد الأربع مئة: الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٣/١٢٣١):

من نبت جسمه على الحرام فمكاسبه كبريت به يوقد عليه، الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب. اهـ

الفائدة الحادية والثمانون بعد الأربع مئة: سر لا تقف فالمجد لا يأتي إليك

سر لا تقف فالحلم لا يأتي إليك والحظ لا يأتي ليسقط في يديك

هي هكذا الأيام سعي دائم من يلتفت للخلف يخسر ما لديه

الفائدة الثانية والثمانون بعد الأربع مئة: إن لم أمت عالماً مت طالب علم

قال العلامة ابن دقيق العيد رحمه الله في "مقدمة إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام":

فإنه لما كان طلب العلم على كل مسلم واجبا، اخترت أن أكون من طلبته، فإن لم أمت عالماً مُتُّ طالبا؛ لعل الله أن يكفر بالإخلاص في ذلك بعض تحملي لأوزار الدنيا واقترافي، ويسامحني بعفوه عن ذنوب إذا ادَّعي عليَّ بها لم يكن لي حجة فيها إلا اعترافي. اهـ

الفائدة الثالثة والثمانون بعد الأربع مئة: عمر الفتى ذكره

عُمر الفتى ذِكرُه لا طول مدته وموته خزيه لا يومه الداني

الفائدة الرابعة والثمانون بعد الأربع مئة: مدحناهم فلم نسلم أذاهم

مدحناهم فلم نسلم أذاهم وشاءوا أن نكون لهم عبيدا

الفائدة الخامسة والثمانون بعد الأربع مئة: الشتاء عدو فتأهبوا له

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله في "لطائف المعارف" (ص ٣٣٠):

وروى ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: كان عمر بن الخطاب رضي عنه إذا حضر الشتاء تعاهدتهم، وكتب لهم بالوصية: "إن الشتاء قد حضر وهو عدو فتأهبوا له أهبتة من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعارا ودثارا، فإن البرد عدو سريع دخوله، بعيد خروجه".

وإنما كان يكتب عمر إلى أهل الشام لما فتحت في زمنه، فكان يخشى على من بها من الصحابة وغيرهم - ممن لم يكن له عهد بالبرد - أن يتأذى ببرد الشام، وذلك من تمام نصيحته وحسن

نظره وشفقته وحياطته لرعيته، رضي عنه. اهـ

قلت: الأثر المذكور صحيح الإسناد، والله أعلم

الفائدة السادسة والثمانون بعد الأربع مئة: الله تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٢/ ٢٢٥):

وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ النساء: ١١، أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم. اهـ

الفائدة السابعة والثمانون بعد الأربع مئة: من آداب المتعلم مع المعلم

قال الإمام النووي رحمه الله في "المجموع شرح المهذب" (١/٣٦):
وينبغي أن ينظر معلمه بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على أكثر طبقتة، فهو أقرب إلى انتفاعه به، ورسوخ ما سمعه منه في ذهنه.
وقد كان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني. اهـ

الفائدة الثامنة والثمانون بعد الأربع مئة: وقر شيخك يوقرك تلاميذك والعكس بالعكس

قال الإمام النووي رحمه الله في "المجموع شرح المهذب" (١/٣٦):
وقال الشافعي رحمه الله: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحا رفيقا هيبة له؛ لئلا يسمع وقعها.

وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ؛ هيبة له. اهـ
ومن هذا ما ذكر أن أبا حنيفة كان يقول: ما صليت صلاة منذ مات حماد بن أبي سليمان إلا استغفرت له مع والدي، وإني لاستغفر لمن تعلمت منه أو علمني علما.
وقال أبو يوسف - تلميذ أبي حنيفة - : إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبوي.
وجاء في "موسوعة الأخلاق للخراز" (ص ٣٢٤):

قال الناظم:

وقر مشايخ أهل العلم قاطبةً حتى تُوقَّرَ إن أفضى بك الكبرُ
واخدم أكابرهم حتى تنال به مثلاً بمثلٍ إذا ما شارف العُمُرُ

وأحسن الآخر:

أفْضَلُ أستاذي على فَضْلِ والدي
وإن نالني من والدي المجدُّ والشرف
فهذا مُرَبِّي الروحِ والروحِ جوهرٌ
وذاك مُرَبِّي الجسمِ والجسمِ كالصدف
اهـ

وقال الإمام النووي رحمته الله في "تهذيب الأسماء واللغات" (١/ ١١) - وهو يتحدث عن أهمية تراجم العلماء -:

ومنها: أنهم أئمتنا وأسلافنا، كالوالدين لنا، وأجدى علينا في مصالح آخرتنا، التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا، فيقبُح بنا أن نجهلهم، وأن نهمل معرفتهم. اهـ

وقال رحمته الله في "المجموع" (٣/ ٣٨٦) - وهو يتحدث عن أبي الحسن الماسرجسي -:
وكان متقنا للمذهب، وهو أحد أجدادنا في سلسلة الفقه. اهـ

الفائدة التاسعة والثمانون بعد الأربع مئة: تصدر للتدريس كل مهوس

تصدر للتدريس كل مهوس
جهول يسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا
ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها
كلاها وحتى سامها كل مفلس

الفائدة التسعون بعد الأربع مئة: إذا رُمّت العلوم بغير شيخ؛ ضللت عن الصراط المستقيم

يظن العُمَرُ أن الكُتُبَ تهدي
أخا فهُم لإدراك العلوم
وما يدري الجهولُ بأن فيها
غوامضٌ حَيَّرتْ عقلَ الفهيم

إذا رُمّت العلومَ بغيرِ شيخٍ ضللتَ عن الصراطِ المستقيمِ

وتلتبسَ الأمورُ عليك حتى تصيرَ أضلَّ من توما الحكيمِ

اهـ [الأداب الشرعية لابن مفلح (٢/٢٠٩)]

الفائدة الحادية والتسعون بعد الأربع مئة: كيف تطلب العلم ولا يكون لك ورد من الليل؟!

عن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بت ليلةً عند أحمد بن حنبل رحمته الله، فجاء بالماء فوضعه. فلما أصبح نظر في الماء، فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل؟! اهـ [صفة الصفوة ٢/٦٠٥].

الفائدة الثانية والتسعون بعد الأربع مئة: اقلبني تر العجب

عن إبراهيم بن أدهم، قال: "خرج رجل يطلب العلم فاستقبله حجر في الطريق فإذا فيه منقوش: اقلبني تر العجب وتعتبر، قال: فأقلب الحجر فإذا فيه مكتوب: أنت بما تعلم لا تعمل، كيف تطلب ما لا تعلم؟ قال: فرجع الرجل". اهـ [اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص ٥٩)]

الفائدة الثالثة والتسعون بعد الأربع مئة: على العالم أن يتحلى بأداب الإسلام ليكون قدوة لطلبته

قال القاضي عياض رحمته الله في "ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/١٣٠):

وقال مالك رحمته الله: كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه. اهـ وقال إبراهيم النخعي: كنا إذا أردنا أن نأخذ عن شيخ سألناه عن مطعمه ومشربه ومدخله ومخرجه، فإن كان على استواء أخذنا عنه، وإلا لم نأته. اهـ [الكامل في ضعفاء الرجال (١/٢٦٠)] وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد لابنه: "يا بني، إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهدْيهم، فإن ذاك أحب إليّ لك من كثير من الحديث". اهـ [الجامع للخطيب

[٨٠/١].

وعن أبي زكريا يحيى بن محمد العنبري قال: "علم بلا أدب كمنار بلا حطب، وأدب بلا علم كجسم بلا روح". اهـ [أدب الإملاء للسمعاني (ص ٢)].

الفائدة الرابعة والتسعون بعد الأربع مئة: ما أظهر أحد الاستهزاء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

قال العلامة السعدي رحمته الله في تفسيره (ص ٤٣٥):

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة.

وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة. اهـ

الفائدة الخامسة والتسعون بعد الأربع مئة: من سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ إجماعاً وإن تاب

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في "فتح الباري" (٢٨١/١٢):

وقد نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صريحا وجب قتله، ونقل أبو بكر الفارسي - أحد أئمة الشافعية - في كتاب "الإجماع" أن من سب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مما هو قذف صريح - كفر باتفاق العلماء، فلو تاب لم يسقط عنه القتل؛ لأن حد قذفه القتل وحد القذف لا يسقط بالتوبة. اهـ

الفائدة السادسة والتسعون بعد الأربع مئة: يحرم نشر ما أسىء به إلى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروايته إجماعاً

قال القاضي عياض في "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" (٥٣٥/٢):

وقد ذكر بعض من ألفت في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هُجِيَ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكتابته، وقراءته، وتركه متى وجد دون محو، ورحم الله أسلافنا المتقين، المتحرزين لدينهم، فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله، وتركوا روايته،

إلا أشياء ذكروها يسيرة، وغير مستبشرة على نحو الوجوه الأول؛ ليروا نعمة الله من قائلها وأخذها المفترى عليه بذنبه. اهـ

الفائدة السابعة والتسعون بعد الأربع مئة: ذم أهل الباطل وتعريتهم إعلامياً يخفف شرهم ويحصره

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الصارم المسلول على شاتم الرسول" (ص ٢٠٦):
وكان عدد من المشركين يكفون عن أشياء مما يؤدي المسلمون خشية هجاء حسان، حتى إن كعب بن الأشرف لما ذهب إلى مكة كان كلما نزل عند أهل بيت هجأهم حسان بقصيدة، فيخرجونه من عندهم حتى لم يبق له بمكة من يؤويه. اهـ

الفائدة الثامنة والتسعون بعد الأربع مئة: ﴿إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٧٢/١٣):
قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ٣؛ فلا يوجد من شأ الرسول إلا بتره الله، حتى أهل البدع المخالفون لسنته.

قيل لأبي بكر بن عياش إن بالمسجد قوما يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة، فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه، لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكركم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكركم. اهـ

الفائدة التاسعة والتسعون بعد الأربع مئة: من حقق الاتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفع الله ذكره، ومن خالفه وعارضه قطع الله ذكره، وأبطل أمره

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٥٢٨/١٦):
أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الشرح: ٤، وأهل البدعة شئتوا ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ٣؛ فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ترده لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك

بالشهوات أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله، والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعاً للرسول، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. فاعلم ذلك واسمع وأطع واتبع ولا تبتدع تكن أبتدع عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتدع من الاتباع، ولا خير في عامله، والله أعلم. اهـ

الفائدة الخمس مئة: لا تجد أحداً آذى نبياً ولم يتب إلا أصابته قارعة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في "الصارم المسلول" (ص ١٦٥) ولعلك لا تجد أحداً آذى نبياً من الأنبياء ثم لم يتب إلا ولا بد أن تصيبه قارعة. اهـ

الفائدة الأولى بعد الخمس مئة: من كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في تفسيره (٥/٤٣٦) في الكلام على قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠) وصف نفسه بالقوة والعزة، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديراً، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه، فقير إليه. ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور. اهـ

الفائدة الثانية بعد الخمس مئة: أصناف الحمق أكثر من أصناف التمر

قال الإمام ابن حزم رحمته الله في "الإحكام في أصول الأحكام" (٤/١٤٦): أصناف الحمق أكثر من أصناف التمر. اهـ

الفائدة الثالثة بعد الخمس مئة: وصايا جامعة

قال ابن الوردي رحمته الله:

يا بُنَيَّ اسْمَعْ وصايا جَمَعْتُ حِكْمًا خُصِّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ

اطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
 وَاحْتِفَلْ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوَلٍ
 وَاهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحِقِرْ مَا بَدَّلَ
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ كَلَّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَّ
 فِي ازديادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ

الفائدة الرابعة بعد الخمس مئة: أردت زينك

قال الحافظ المزي في "تهذيب الكمال" (٤٧١/٢٩):

قال يحيى بن معين: حضرنا نعيم بن حماد بمصر فجعل يقرأ كتابا من تصنيفه، قال: فقرأ ساعة ثم قال: حدثنا ابن المبارك، عن ابن عون بأحاديث. قال يحيى: فقلت له: ليس هذا عن ابن المبارك. فغضب، وقال: ترد عليّ؟! قال: قلت: إي والله، أرد عليك أريد زينك، فأبى أن يرجع، فلما رأيته هكذا لا يرجع. قلت: لا والله ما سمعت أنت هذا من ابن المبارك قط، ولا سمعها ابن المبارك من ابن عون قط، فغضب وغضب من كان عنده من أصحاب الحديث، وقام نعيم فدخل البيت فأخرج صحائف فجعل يقول وهي بيده: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس أمير المؤمنين في الحديث؟ نعم يا أبا زكريا غلطت، وكانت صحائف، فغلطت فجعلت أكتب من حديث ابن المبارك عن ابن عون، وإنما روى هذه الأحاديث عن ابن عون غير ابن المبارك. اهـ

الفائدة الخامسة بعد الخمس مئة: الحمى تنفع القلب والبدن، ولا يجوز سبها، وأبيات طريفة

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "زاد المعاد" (٢٩/٤):

فالحمى تنفع البدن والقلب، وما كان بهذه المثابة، فسببه ظلم وعدوان، وذكرت مرة - وأنا محموم

- قول بعض الشعراء يسبها:

زارت مكفرة الذنوب وودعت تبا لها من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد فقلت أن لا ترجعي

فقلت: تبا له إذ سب ما نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سبه، ولو قال:

زارت مكفرة الذنوب لصبها أهلا بها من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد فقلت: أن لا تقلعي

لكان أولى به، ولأقلعت عنه، فأقلعت عني سريعا. اهـ

الفائدة السادسة بعد الخمس مئة: أبيات حسنة في حسن الظن بالإخوان

قال الشاعر:

أحسن بنا الظن إنا فيك نحسنه إن القلوب بحسن الظن تنسجم

والمس لنا العذر في قول وفي عمل نلمس لك العذر إن زلت بك القدم

لا تجعل الشك يبني فيك مسكنه إن الحياة بسوء الظن تنهدم

الفائدة السابعة بعد الخمس مئة: للحق سلطان لا يمكن دفعه

قال النيسابوري في كتابه "عقلاء المجانين" (ص ٢٣):

أدخل أحدهم عل الواثق والناس يضربون ويقتلون في الامتحان - أي بفتنة خلق القرآن - قال

فقلت: والله لئن امتحنني قتلني، فبدأته فقلت:

أعظم الله أجرك أيها الخليفة

فقال: فيمن؟

فقلت: في القرآن.

فقال: ويحك! والقرآن يموت؟!!

فقلت: نعم. كل مخلوق يموت، فإذا مات القرآن في شعبان فبأي شيء يصلي الناس في رمضان؟

فقال: أخرجوه فإنه مجنون. اهـ

الفائدة الثامنة بعد الخمس مئة: لا يجوز ترك الذب عن الحق خوفا من الخلق

قال العلامة ابن الوزير رحمته الله في "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم" (١/٢٤):

ولو أن العلماء رحمهم الله تركوا الذب عن الحق خوفا من كلام الخلق، لكانوا قد أضاعوا كثيرا، وخافوا حقيرا، وأكثر ما يخاف الخائف في ذلك أن يكل حسامه في معترك المناظرة، وينبو ويعثر جواده في مجال المحاجة ويكبو، فالأمر في ذلك قريب، إن أخطأ فمن الذي عصم؟ وإن خطئ فمن الذي ما وصم؟ اهـ

الفائدة التاسعة بعد الخمس مئة: إن الديار جميلة بذويها

الدار ليست بالبناء جميلة إن الديار جميلة بذويها

قد يعشق الإنسان أسوأ ويزورها من أجل شخص فيها

وفي هذا المعنى قول الناس: البلاد بأهلها.

الفائدة العاشرة بعد الخمس مئة: الكريم وإن تغير وده يستر القبيح ويبيد المليح

إن الكرام وإن تغير ودهم ستروا القبيح وأظهروا الإحسانا

الفائدة الحادية عشرة بعد الخمس مئة: يحتاج العبد إلى الاستغفار مما لا يعلم من ذنوبه أضعاف

ما يعلم منها

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "بدائع الفوائد" (٢/٧٧٠):

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما

يعلمه منها، وما ينسأه مما عمله وعلمه أضعاف ما يذكره.

وفي الدعاء المشهور: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم"، فما يحتاج العبد إلى الاستغفار مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب. اهـ

ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله وتضرع إليه، وتاب وأتاب إلى ربه، ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليّ. اهـ

الفائدة الثانية عشرة بعد الخمس مئة: ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيرا من عبادة ألف سنة

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في "تليس إبليس" (ص ٢٦٣):

ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيرا من عبادة ألف سنة. اهـ

الفائدة الثالثة عشرة بعد الخمس مئة: خل الفلسفة تنفعك

قال العلامة عبد الكريم الخضير حفظه الله في بعض دروسه:

شايب ولده حصل على شهادة دكتوراة في علم الفلسفة، وفي يوم جلس هو وولده الدكتور على الغداء، سأل الشايب ولده: أنت دكتور وش بالضبط؟ أنت تعالج الناس؟ قال: لا يا أبوي، أنا دكتور في علم الفلسفة.

قال الشايب: الفلسفة؟! يعني إيش؟!

قال الولد: حنا هالحين قدامنا صحن رز، وفوقه دجاجة، صح يا ئيه؟

قال الشايب: اي بالله صح.

قال: الفلسفة إني أقدر أقنعك إن اللي موجود على الرز دجاجتين، ماهي دجاجة واحدة!

هنا قام الشايب وأخذ الدجاجة وحطها على صحنه وقال: خلاص أنا باكل هادي، وأنت كل الثانية إذا لقيتها... وخل الفلسفة تنفعك.

الفائدة الرابعة عشرة بعد الخمس مئة: تبليغ سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من تبليغ السهام إلى
نحور الأعداء

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "جلاء الأفهام" (ص ٤١٥):
وقد أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثا، وتبليغ سنته إلى
الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ
السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم. جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. اهـ
الفائدة الخامسة عشرة بعد الخمس مئة: العُجب من أعظم الذنوب وأمحقها للأعمال

قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمته الله:
وإن العُجب من أعظم الذنوب وأمحقها للأعمال، فتحفظوا حفظنا الله وإياكم من العجب والرياء.
اهـ [رسائل ابن حزم (٣/١٨٠)]

الفائدة السادسة عشرة بعد الخمس مئة: من أحسن ما قيل
لا تحملوا الأرض على رؤوسكم وقد جعلها الله تحت أقدامكم؛ فموسى وهو رضيع لم يغرق
وهو في قمة ضعفه، وغرق فرعون وهو في قمة جبروته، فمن كان مع الله فلن يضره ضعفه، ومن لم
يكن مع الله فلن تنفعه قوته.

الفائدة السابعة عشرة بعد الخمس مئة: البرد يقتل والحر يؤذي
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٢/٢٥٦):
البرد يقتل؛ فلا يقدر أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء، بخلاف الحر، فإنه أذى، لكنه لا يقتل
كما يقتل البرد، فإن الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرهما، وأهله أيضا لا يحتاجون إلى وقاية
كما يحتاج إليه البرد، بل أدنى وقاية تكفيهم، وهم في الليل وطرفي النهار لا يتأذون به تأذيا كثيرا؛
بل لا يحتاجون إليه أحيانا حاجة قوية. اهـ

الفائدة الثامنة عشرة بعد الخمس مئة: رأس الحكمة الصمت بإجماع الحكماء

قال وهب بن منبه، رحمه الله: «أجمعت الأطباء أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت». اهـ [الصمت لابن أبي الدنيا (ص ٢٧٨)]

الفائدة التاسعة عشرة بعد الخمس مئة: من ظاهر الكفار على المسلمين فهو كافر إجماعاً

قال سماحة الإمام ابن باز رحمه الله كما في مجموع فتاواه (١/ ٢٦٩):

وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين، وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة، فهو كافر مثلهم، كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ المائدة: ٥١

الفائدة العشرون بعد الخمس مئة: من زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (٢/ ٢٩٤):

الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ، فمن زاد عليك في الخُلُقِ زاد عليك في الدِّينِ. اهـ

وقال رحمه الله في المصدر السابق (٢/ ٢٨٩):

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٣١﴾﴾ الأعراف: ١٩٩

قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. اهـ

الفائدة الحادية والعشرون بعد الخمس مئة: ذكر الله والإنابة إليه كم شفي به من عليل، وعوفي به من مريض

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٧١٢):

ذكر الله والإقبال عليه والإنابة إليه والفرع إلى الصلاة، كم قد شفي به من عليل! وكم قد عوفي به من مريض! وكم قام مقام كثير من الأدوية التي لا تبلغ قريبا من مبلغه في الشفاء! وأنت ترى كثيرا من الناس بل أكثرهم لا نصيب لهم من الشفاء بذلك إليه أصلا. اهـ

الفائدة الثانية والعشرون بعد الخمس مئة: ولم يصف الله في كتابه بالشفاء إلا القرآن والعسل

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مفتاح دار السعادة" (٧١٣/٢):

ولم يصف الله في كتابه بالشفاء إلا القرآن والعسل، فهما الشفاءان؛ هذا شفاء القلوب من أمراض غيها، وضلالها، وأدواء شبهاتها وشهواتها، وهذا شفاء للأبدان من كثير من أسقامها، وأخلاطها، وآفاتها.

ولقد أصابني أيام مقامي بمكة أسقام مختلفة، ولا طيب هناك ولا أدوية كما في غيرها من المدن، فكنت أستشفى بالعسل وماء زمزم، ورأيت فيهما من الشفاء أمرا عجيبا. اهـ

الفائدة الثالثة والعشرون بعد الخمس مئة: الماء للحيوان البحري كالهواء للحيوان البري

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مفتاح دار السعادة" (٧١٦/٢):

الماء للحيوان البحري كالهواء للحيوان البري، فهما بحران أحدهما ألطف من الآخر: بحر هواء يسبح فيه حيوان البر، وبحر ماء يسبح فيه حيوان البحر، فلو فارق كل من الصنفين بحره إلى البحر الآخر مات، فكما يختنق الحيوان البري في الماء يختنق الحيوان البحري في الهواء.

فسبحان من لا يحصي العادون آياته، ولا يحيطون بتفصيل آية منها على الانفراد، بل إن علموا منها وجها جهلوا منها أوجها. اهـ

الفائدة الرابعة والعشرون بعد الخمس مئة: كما تدين تدان

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "مفتاح دار السعادة" (٧٢٠/٢):

يحكى أن بعض أصحاب الماشية كان يشوب اللبن ويبيعه على أنه خالص، فأرسل الله عليه سيلا فذهب بالغنم، فجعل يعجب، فأتي في منامه فقيل له: أتعجب من أخذ السيل غنمك؟

إنه تلك القطرات التي شبت بها اللبن، اجتمعت وصارت سيلا!

ففس على هذه الحكاية ما تراه في نفسك وفي غيرك، تعلم حينئذ أن الله قائم بالقسط، وأنه قائم على كل نفس بما كسبت، وأنه لا يظلم مثقال ذرة. اهـ

الفائدة الخامسة والعشرون بعد الخمس مئة: العلمانية تحترم كل الأديان إلا الإسلام

قال بعض الأذكياء: العلمانية تحترم كل الأديان إلا الإسلام، وتحترم كل اللغات إلا العربية، وتحترم كل الآراء إلا الفتوى، وتحترم كل الألبسة إلا الحجاب. اهـ

الفائدة السادسة والعشرون بعد الخمس مئة: من عاش بالمكر مات بالفقر

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "إغاثة اللهفان" (١/٦١٣):

فالمحتال بالباطل يعامل بنقيض قصده شرعا وقدرًا، وقد شاهد الناس عيانا أنه من عاش بالمكر مات بالفقر.

ولهذا عاقب الله سبحان من احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت الجداد: بحرمانهم الثمرة كلها.

وعاقب من احتال على الصيد المحرم: بأن مسخهم قرده وخنازير.

وعاقب من احتال على أكل أموال الناس بالربا: بأنه يمحق ماله، كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة: ٢٧٦؛ فلا بد أن يُمحق مال المرابي ولو بلغ ما بلغ.

وأصل هذا: أنه سبحانه جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضد ما قصدوا له بتلك الجرائم. اهـ

الفائدة السابعة والعشرون بعد الخمس مئة: من قرّت عينه بالله تعالى قرّت به كل عين

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في "طريق الهجرتين وباب السعادتين" (ص ٦):

من قرّت عينه بالله سبحانه قرّت به كل عين، وأنس به كل مستوحش، وطاب به كل خبيث، وفرح به كل حزين، وأمّن به كل خائف، وشهد به كل غائب، وذكّرت رؤيته بالله، فإذا رُوي ذكر الله. اهـ

وقال رحمته الله في "إغاثة اللهفان" (١/٧٢):

وقال آخر: "من قرّت عينه بالله تعالى قرّت به كل عين، ومن لم تقرّ عينه بالله تقطّع قلبه على الدنيا حسرات".

وقال يحيى بن معاذ: "من سر بخدمة الله سرّت الأشياء كلها بخدمته، ومن قرّت عينه بالله قرّت عيون كل واحد بالنظر إليه". اهـ

وقال عليه السلام في "الجواب الكافي" (ص ٨٤):

فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه علي الدنيا حسرات، والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن بالله وعمل صالحا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ النحل:

٩٧

فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة، والحسني يوم القيامة، فلهم أطيب الحياتين وهم أحياء في الدارين، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَّأَلْزَامَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ النحل: ٣٠

ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ لَبَسُوا لَئِيْلًا يَّمُتَعَمَّرُونَ حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴿٣٠﴾﴾ هود: ٣؛ ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة، وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين؛ فإن طيب النفس، وسرور القلب، وفرحه ولذته وابتهاجه، وطمأنينته وانسراحه، ونوره وسعته، وعافيته من ترك الشهوات المحرمة، والشبهات الباطلة، هو النعيم على الحقيقة، ولا نسبة لنعيم البدن إليه؛ فقد قال بعض من ذاق هذه اللذة: لو علم الملوك وأبناء ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف. وقال آخر: إنه يمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن أهل الجنة في مثل هذا؟! إنهم لفي عيش طيب. وقال الآخر: إن في الدنيا جنة، هي في الدنيا كالجنة في الآخرة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وقد أشار النبي إلى هذه الجنة بقوله: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا". قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: "حلق الذكر". وقال: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة". ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣] يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى، ومحبته والعمل على موافقته. اهـ

الفائدة الثامنة والعشرون بعد الخمس مئة: من علامات صحة القلب

قال العلامة ابن القيم عليه السلام في "إغاثة اللهفان" (١/ ٧٢ - ٧٣):

ومن علامات صحة القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدلّه عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورده وَجَدَ لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

ومن علامات صحته: أنه يشفق إلى الخدمة كما يشفق الجائع إلى الطعام والشراب.

ومن علامات صحته: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحتته ونعيمه، وقرّة عينه وسرور قلبه.

ومن علامات صحته: أن يكون همه واحداً، وأن يكون في الله.

ومن علامات صحته: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعا من أشد الناس شحا بماله.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل؛ فيحرص على الإخلاص فيه، والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه، وتقديره في حق الله.

فهذه ست مشاهد، لا يشهداها إلا القلب الحي السليم.

وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله

له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهى إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم على

مراضيه ومحابه، الخلوة به أثر عنده من الخلطة، إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضى له، قرّة

عينه به، وطمأنينته وسكونه إليه، فهو كلما وجد من نفسه التفاتا إلى غيره تلا عليها: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ

رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ الفجر: ٢٨، فهو يردد عليها الخطاب بذلك ليسمعه من ربه يوم لقائه، فينصبغ

القلب بين يدي إلهه ومعبوده الحق بصبغة العبودية، فتصير العبودية صفة له وذوقا لا تكلفا، فيأتي

بها توددا وتحببا وتقربا، كما يأتي المحب المقيم في محبة محبوبه بخدمته وقضاء أشغاله، فكلما

عرض له أمر من ربه أو نهي أحس من قلبه ناطقا ينطق: لبيك وسعديك، إني سامع مطيع ممتثل،

ولك علي المنّة في ذلك، والحمد فيه عائد إليك، وإذا أصابه قَدْرٌ وجد من قلبه ناطقا يقول: أنا

عبدك، ومسكينك وفقيرك، وأنا عبدك الفقير العاجز، الضعيف المسكين، وأنت ربي العزيز

الرحيم، لا صبر لي إن لم تُصبرني، ولا قوة لي إن لم تحمِلني وتُقوّنني، لا ملجأ لي منك إلا إليك،

ولا مستعان لي إلا بك، ولا انصراف لي عن بابك، ولا مذهب لي عنك، فينطرح بمجموعه بين يديه، ويعتمد بكليته عليه، فإن أصابه بما يكره قال: رحمة أهديت إليّ، ودواء نافع من طبيب مشفق، وإن صرف عنه ما يحب قال: شرّاً صرفَ عني . اهـ

الفائدة التاسعة والعشرون بعد الخمس مئة: اختاروا الموت على ترك الترضي عن الصحابة فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين

قال الحافظ الذهبي رحمته الله في "سير أعلام النبلاء" (١١/٤٢١):

قال أبو الحسن القابسي - صاحب "الملخص" -: إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه - وهم من الباطنية الإسماعلية لعنهم الله - أربعة آلاف، في دار النحر في العذاب - من عالم وعابد - ليردهم عن الترضي عن الصحابة، فاختروا الموت. اهـ

الفائدة الثلاثون بعد الخمس مئة: الزهد فيمن يرغب فيك من الظلم

قال الإمام ابن حزم رحمته الله في "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" (ص ٤٠):

لا تزهد فيمن يرغب فيك؛ فإنه باب من أبواب الظلم. اهـ

الفائدة الحادية والثلاثون بعد الخمس مئة: من صفات المؤمن والمنافق

قال الحسن البصري رحمته الله: إن المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر واحد ووجه واحد، وإن

المنافق تلقاه متلوناً يشاكل كل قوم، ويسعى مع كل ربح. اهـ [المجالسة وجواهر العلم (١٢٠/٥)]

الفائدة الثانية والثلاثون بعد الخمس مئة: احفظ لسانك

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في "صيد الخاطر" (ص ١٤٢):

ورب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان. اهـ

الفائدة الثالثة والثلاثون بعد الخمس مئة: اجعل فرحك شكراً وحزنك صبراً

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٢٧ / ٨):

قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرا، والحزن صبورا. اهـ

الفائدة الرابعة والثلاثون بعد الخمس مئة: من حرم بركة الطاعات ولم يألفها سخر بأهلها

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في "تحفة الذاكرين" (ص ٢٩):

وكثيرا ما يُرى من لا شغلة له بالطاعات، أو من هو مشغول بمعاصي الله، يظهر السخرية بأهل الطاعات، والاستهزاء بهم؛ لأنه قد طبع على قلبه وصار في عداد المخذولين. اهـ

الفائدة الخامسة والثلاثون بعد الخمس مئة: لا تقل فيما أنفقت في الطاعات خسرت

قال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار» (ص ٥٨٤):

ينبغي أن يُقال في المال المُخْرَج في طاعة الله تعالى: أنفقتُ وشبّههُ، فيقال: أنفقتُ في حجتي ألفاً، وأنفقتُ في غزوتي ألفين، وكذا: أنفقتُ في ضيافة ضيفاني، وفي ختان أولادي، وفي نكاحي، وشبّه ذلك؛ ولا يقول ما يقوله كثيرون من العوام: غرمتُ في ضيافتي، وخسرتُ في حجتي، وضيعتُ في سفري. وحاصله: أن أنفقتُ وشبّههُ يكونُ في الطاعات، وخسرتُ وغرمتُ وضيعتُ نحوها يكونُ في المعاصي والمكروهات، ولا تُستعمل في الطاعات. اهـ

الفائدة السادسة والثلاثون بعد الخمس مئة: لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره (ص ٩٢٩):

وقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥] بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا". اهـ

الفائدة السابعة والثلاثون بعد الخمس مئة: دع الاعتراض فما أجهلك

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية" (١٣ / ٢٥٣) في حوادث سنة ٦٦٥هـ:

وفيها توفي الشيخ عفيف الدين، يوسف بن البقال، شيخ رباط المرزبانية، كان صالحا، ورعا زاهدا، حكى عن نفسه قال:

كنت بمصر، فبلغني ما وقع من القتل الذريع ببغداد في فتنة التتار، فأنكرت في قلبي وقلت: يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟

فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب، فأخذته فقرأته، فإذا فيه هذه الأبيات فيها الإنكار عليّ.

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك

ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك

إليه تصير أمور العباد دع الاعتراض فما أجهلك

اهـ

الفائدة الثامنة والثلاثون بعد الخمس مئة: خطر العجب على العامل وعمله

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في "سير أعلام النبلاء" (١٣ / ٣٧٧):

فربما أعجبتة نفسه، وأحب الظهور فيعاقب، ويدخل عليه الداخل من نفسه، فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه؛ لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داء سار في نفوس المنفقين من الأغنياء، وأرباب الوقوف والترب المزخرفة، وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين؛ فتراهم يلتقون العدو ويصطدم الجمعان، وفي نفوس المجاهدين مخبات وكماثن: من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال، ولبس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة، على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر، فأنى ينصرون؟! وكيف لا يخذلون؟!

اللهم: فانصر دينك ووفق عبادك، فمن طلب العلم للعمل؛ كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء، والفخر والرياء؛ تحامق واختال وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ الشمس: ٩ - ١٠. اهـ

الفائدة التاسعة والثلاثون بعد الخمس مئة: لا بد للعبد من أوقات ينفرد فيها بنفسه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٤٢٦/١٠):
ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه: في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكره، ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته، كما قال طاوس: نعم صومعة الرجل بيته: يكف فيها بصره ولسانه، وإما في غير بيته. اهـ

الفائدة الأربعون بعد الخمس مئة: سب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والوقعة في عرضه سبب لخراب الديار ودمار أهلها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الصارم المسلول على شاتم الرسول" (ص ١١٧):
ونظير هذا، ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول - أهل الفقه والخبرة - عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن، التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر، وهو ممتنع علينا، حتى نكاد نياس منه، حتى إذ تعرض أهله لسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والوقعة في عرضه، فَعُجِّلْنَا فتحه وتيسر، ولم يكذ يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة.

قالوا: حتى إن كنا لتبأشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم، بما قالوا فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات، أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين. اهـ

الفائدة الحادية والأربعون بعد الخمس مئة: اتق الله ثم نم حيث شئت

قال قتادة: مكتوب في التوراة: يا ابن آدم " اتق الله، ثم نم حيث شئت؛ فإنك إن اتقيت الله كانت معك من الله صحبة وحافظ من كل شيء. ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] "الزهد الكبير للبيهقي (ص ٣٥٠)

الفائدة الثانية والأربعون بعد الخمس مئة: كيف أصبحت؟

قيل لمالك بن دينار: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد.

وقيل لبعض الحكماء: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت لا أرضى حياتي لمماتي ولا نفسي لربي.

وقيل لحكيم كيف: أصبحت؟

قال: أصبحت أكل رزق ربي وأطيع عدوه إبليس.

وقيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟

قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة.

وقيل لحامد اللفاف: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت أشتي عافية يوم إلى الليل.

ف قيل له: ألسنت في عافية في كل الأيام؟

فقال: العافية يوم لا أعصى الله تعالى فيه. اهـ [الإحياء (٢/٢٣٠)]

الفائدة الثالثة والأربعون بعد الخمس مئة: لو أنه كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين

المسلمين عصمة ولا أخوة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٧٣/٢٤):

ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة، ولقد كان

أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - سيدا المسلمين - يتنازعا في أشياء، لا يقصدان إلا الخير. اهـ

الفائدة الرابعة والأربعون بعد الخمس مئة: لولا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (٤/ ١٧٦):

قال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا القيام مفاليس. اهـ

الفائدة الخامسة والأربعون بعد الخمس مئة: كان السلف يعدون فوات صلاة الجماعة مصيبة

قال أبو بكر الدمياطي في "إعانة الطالبين" (٢/ ٥):

وقد كان السلف يعدون فوات صلاة الجماعة مصيبة. اهـ

الفائدة السادسة والأربعون بعد الخمس مئة: من عامل الله بالتقوى في رخائه عامله باللطف في

شدته

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" (١/ ٤٧٤):

من عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته. اهـ

الفائدة السابعة والأربعون بعد الخمس مئة: شر الإخوان الخاذل عند الشدة، وشر البلاد ما لا أمن

فيها ولا خصب

قال الإمام أبو حاتم ابن حبان رحمه الله في "روضة العقلاء" (ص ٢٤٧):

والإخوان يعرفون عند الحوائج، كما أن الأهل تختبر عند الفقر؛ لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء،

وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا

أمن. اهـ

الفائدة الثامنة والأربعون بعد الخمس مئة: ما الأخبار؟

قيل لأحد الصالحين: ما الأخبار؟

فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ الانفطار: ١٣ - ١٤.

الفائدة التاسعة والأربعون بعد الخمس مئة: ابن المبارك كان يتجر لينفق على خمسة صاروا من

علماء الدنيا

قال عبد الله بن المبارك: لولا خمسة ما اتجرت.

فقيل له: يا أبا محمد، من الخمسة؟ فقال: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض،
ومحمد بن السماك، وابن عليّة. اهـ [تاريخ بغداد (٦/ ٢٣٤)]

الفائدة الخمسون بعد الخمس مئة: الشيطان يعرض للإمام أحمد عند الموت

قال العلامة ابن الجوزي رحمته الله في "مناقب الإمام أحمد" (ص ٥٤٧):

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: لما حضرت أبي الوفاة، جلست عنده، ويدي الخرقة؛ لأشدّ بها
لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق، ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا، لا. بعدُ... لا. بعدُ... لا. بعدُ -
ثلاث مرات -، ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة، قلت له: يا أبا، أي شيء هذا قد لهجت
به في هذا الوقت؟! تغرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا. بعدُ، فقال لي: يا بُنيّ ما
تدري؟! فقلت: لا، فقال: إبليس - لعنه الله - قائم حذائي، عاض على أنامله، يقول لي: يا أحمد،
فُتني! وأنا أقول له: لا. بعد... حتى أموت. اهـ

الفائدة الحادية والخمسون بعد الخمس مائة: ليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في مدارج السالكين (٢/ ٤٧٨):

فليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف، فإن معاملة الناس بذلك: إما أجنبي فتكسب مودته
ومحبته، وإما صاحب وحيب فتستديم صحبته ومودته، وإما عدو ومبغض، فتطفئ بلطفك
جمرته، وتستكفي شره، ويكون احتمالك لمبغض لطفك به دون احتمالك لضرر ما ينالك من
الغلظة عليه والعنف به. انتهى

الفائدة الثانية والخمسون بعد الخمس مائة: إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله فرب آخر ليل أجاج النارا.

الفائدة الثالثة والخمسون بعد الخمس مائة: من أحسن ما قيل في صيانة العلم

قال أبو الحسن الجرجاني رحمته الله:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ... ومن أكرمه عزة النفس أكرما
إذا قيل هذا منهل، قلت: قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظماً
ولم أقض حق العلم إن كنت كلما ... بدا مطمع صيرته لي سلماً
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لا خدم من لاقيت لكن لا خدما
أشقي به غرساً وأجنيه ذلة ... إذا فاتباع الجهل قد كان أسلماً
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محيياً بالأطماع حتى تجهما .

**الفائدة الرابعة والخمسون بعد الخمس مائة: كان المسلمون إذا أصاب خيولهم إمساك وعسر
هضم جاؤوا بها إلى قبور الكفار والمنافقين فتنطلق بطونها لما تسمع من عذابهم**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٣٩ / ٣٥) :

وإذا أصاب الخيل مغل أتوا بها إلى قبورهم كما يأتون بها إلى قبور الكفار وهذه عادة معروفة
للخيل إذا أصاب الخيل مغل ذهبوا بها إلى قبور النصارى بدمشق وإن كانوا بمساكن الإسماعيلية
والنصيرية ونحوهما ذهبوا بها إلى قبورهم وإن كانوا بمصر ذهبوا بها إلى قبور اليهود والنصارى أو
لهؤلاء العبيدين الذين قد يتسمون بالأشراف وليسوا من الأشراف ، ولا يذهبون بالخيل إلى قبور
الأنبياء والصالحين ؛ ولا إلى قبور عموم المسلمين وهذا أمر مجرب معلوم عند الجند وعلماهم
وقد ذكر سبب ذلك : أن الكفار يعاقبون في قبورهم فسمع أصواتهم البهائم ... فإن البهائم إذا
سمعت ذلك الصوت المنكر أوجب لها من الحرارة ما يذهب المغل وكان الجهال يظنون أن
تمشية الخيل عند قبور هؤلاء لدينهم وفضلهم فلما تبين لهم أنهم يمشونها عند قبور اليهود
والنصارى والنصيرية ونحوهم دون قبور الأنبياء والصالحين وذكر العلماء أنهم لا يمشونها عند
قبر من يعرف بالدين بمصر والشام وغيرها ؛ إنما يمشونها عند قبور الفجار والكفار : تبين بذلك

ما كان مشتبهها . انتهى

الفائدة الخامسة والخمسون بعد الخمس مائة : لا تسكن بلدا ليس فيها طيب ولا عالم

قال الإمام الشافعي رحمه الله : لا تسكن بلدا لا يكون فيه عالم يفتيك عن دينك، ولا طيب ينبئك عن أمر بدنك . انتهى مناقب الشافعي للبيهقي (١١٥/٢) .

الفائدة السادسة والخمسون بعد الخمس مائة : الشافعي كان يرى الطب ثلث العلم ويتحسر على

تضييع المسلمين له

قال حرمة بن يحيى : كان الشافعي يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب ، ويقول : ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى . انتهى مناقب الشافعي للبيهقي (١١٦/٢)

الفائدة السابعة والخمسون بعد الخمس مائة : الصادقون يدوم أمرهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٢٠٣)
فالصادقون يدوم أمرهم، والكذابون ينقطع أمرهم، هذا أمر جرت به العادة وسنة الله التي لن تجد لها تبديلا. انتهى

الفائدة الثامنة والخمسون بعد الخمس مائة : أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينا

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (٣ / ٤٢٨) :

ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله -صلى الله عليه وسلم- وبما كان هو عليه وأصحابه رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينا، والله المستعان.

وأى دين وأى خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذي إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟

وخيارهم المتحزن المتملمظ ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء -مع سقوطهم من عين الله

ومقت الله لهم - قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل. وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثرا أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب كيف وفيهم فلان العابد؟ فقال: به فابدأ؛ فإنه لم يتمعر وجهه في يوم ما قط . انتهى

الفائدة التاسعة والخمسون بعد الخمس مائة : من كان الله معه فمعه الفئة التي لا تهزم

قال قتادة: من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه، فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل. انتهى جامع العلوم والحكم (١ / ٤٧١)

الفائدة الستون بعد الخمس مائة : أهل السنة والحديث أقل الناس اختلافا

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٣ / ٥٥٦) :

ولهذا تجد أقل الناس اختلافا هم أهل السنة والحديث؛ فليس على وجه الأرض طائفة أكثر اتفاقا وأقل اختلافا منهم لما بنوا على هذا الأصل، وكلما كانت الفرقة عن الحديث أبعد كان اختلافهم في أنفسهم أشد وأكثر، فإن من رد الحق مرج عليه أمره واختلط عليه والتبس عليه وجه الصواب فلم يدر أين يذهب، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ ق: ٥ انتهى

الفائدة الحادية والستون بعد الخمس مائة : من كانت نعمة الله عليه أتم كانت عقوبته إن عصى أعظم

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٣ / ٣٥٨)

فإن الرجل كلما كانت نعمة الله عليه أتم كانت عقوبته إذا ارتكب الجرائم أتم؛ ولهذا قال تعالى في حق من أتم نعمته عليهن من النساء: ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهِنَّ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ الأحزاب: ٣٠ - ٣١ وهذا على وفق قضايا العقول

ومستحسناتها؛ فإن العبد كلما كملت نعمة الله عليه ينبغي له أن تكون طاعته له أكمل، وشكره له أتم، ومعصيته له أقبح، وشدة العقوبة تابعة لقبح المعصية؛ ولهذا كان أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه، فإن نعمة الله عليه بالعلم أعظم من نعمته على الجاهل، وصدور المعصية منه أقبح من صدورها من الجاهل، ولا يستوي عند الملوك والرؤساء من عصاهم من خواصهم وحشمهم ومن هو قريب منهم ومن عصاهم من الأطراف والبعداء . انتهى

الفائدة الثانية والستون بعد الخمس مائة: عمارة العالم بالعلم وخرابه بالجهل

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٣ / ٥٧٠) :

فما خراب العالم إلا بالجهل، ولا عمارته إلا بالعلم، وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قل الشر في أهلها، وإذا خفي العلم هناك ظهر الشر والفساد، ومن لم يعرف هذا فهو ممن لم يجعل الله له نورا.

قال الإمام أحمد: ولولا العلم كان الناس كالبهائم، وقال: الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، والعلم يحتاج إليه كل وقت . انتهى

الفائدة الثالثة والستون بعد الخمس مائة: كان السلف يسمون المقلد الإمعة والأعمى

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٣ / ٥٧٣) :

وكانوا يسمون المقلد الإمعة ومحقب دينه، كما قال ابن مسعود: الإمعة الذي يحقب دينه الرجال ، وكانوا يسمونه الأعمى الذي لا بصيرة له، ويسمون المقلدين أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صائح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق، كما قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكما سماه الشافعي حاطب ليل ، ونهى عن تقليده وتقليد غيره؛ فجزاه الله عن الإسلام خيراً، لقد نصح الله ورسوله والمسلمين ودعا إلى كتاب الله وسنة رسوله، وأمر باتباعهما دون قوله، وأمر بأن نعرض أقواله عليهما فنقبل منها ما وافقهما ونرد ما خالفهما . انتهى

الفائدة الرابعة والستون بعد الخمس مائة: من أعمق وأرق ما ذكر في الصداقة

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (١/ ٤٦٤): سأل الصاحب بن عباد مرة صديقا له عن سبب تخلفه عن مجلسه فأجابه:

أخشى أن أثقل عليك فقال الصاحب بن عباد:

ومتى يثقل الجفن على العين؟! اهـ

الفائدة الخامسة والستون بعد الخمس مائة: الجماعة والسواد الأعظم ما وافق الحق ولو كنت وحدك

قال العلامة ابن القيم رحمته الله في إعلام الموقعين (٥/ ٣٨٩):

قال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ، ذكرهما البيهقي وغيره.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم، فقال: أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه، فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة

هم الجمهور، وجعلوهم عيارا على السنة، وجعلوا السنة بدعة، والمعروف منكرا لقلّة أهله

وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: من شذ شذ الله به في النار، وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحدا منهم فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم

زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا يسيرا؛ فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم تحمل هذا عقول

الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم

على الباطل وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك؛ فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل؛ فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة، وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة

حتى يلقوا ربهم، مضى عليها سلفهم، ويتظرها خلفهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) الأحزاب: ٢٣ ولا حول ولا قوة إلا

بإله العلي العظيم . انتهى

الفائدة السادسة والستون بعد الخمس مائة : من صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع

لغيره

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الفوائد (ص : ١٨٦) :

ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره . انتهى